حالياً في الأسواق

متوفر باللغة الإنجليزية ،
واللغة الفرنسية وقريباً
اللغة الإسبانية

ترجمات معاني القرآن الكريم

مميزات الترجمة :

- سلامة اللغة و سهولة الترجمة
- الدقة العلمية في الترجمة
- اختيار القول الراجح من كتب التفسير
- قام بالترجمة فريق من الغربيين المسلمين
- متوفر بأحجام مختلفة
- أسعار مناسبة للجميع

www.quranabc.com

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
جوال : 966502210920+ هاتف : 966114944949+ فاكس : 966114942900+

كلمة التحرير

ثقافةُ العمل الخيري

يمثّل العملُ الخيريُّ العمودَ الفقريّ للعمل الإسلاميّ العامّ والدعوي، وهو بمثابة الروح التي تسري في الجسد الإسلاميّ لتُحيي فيه معاني التضحية والبناء والكرامة، ومن فضل الله – تعالى – على هذه الأمّة: استيقاظُ وَعْي كثيرٍ من النّخب فيها بأهمية أعمال التطوع والبرّ والخير بكلّ أشكالها، حيث أخذت المؤسسات الخيرية تتنامى بطريقة ملاحظة، وأخذ كثيرٌ من الشباب يبحثون عن دورٍ في المشاركة في العمل التطوعيّ الخيري، لذا فنحن لا نفتقر إلى كوادر تمارس العمل العام، لكن المشكلة تكمن في غياب ثقافة العمل التطوعيّ الخيريّ المبنيّ على أسسٍ علمية لدى كثيرٍ من قطاعات الأمّة، وهو ما يؤدي إلى ضعف الدعم الثابت النفسيّ والمادي، كذلك غياب رؤية واضحة لإدارة العمل الخيري وقطاعاته عند الكثيرين، فضلاً عن قلة الدراسات المتخصّصة في هذا المجال.

ولذلك؛ فإنّ العمل الخيريّ الإسلاميّ يحتاج إلى دفعة قوية ودعم، من خلال الإعلام ومراكز الأبحاث والدراسات، وذلك للوصول به إلى المستوى المنشود.

إنّ وجود كراسي علمية في الجامعات تكون متخصّصة في العمل الخيريّ هو أمرٌ في غاية الأهمية، بل يستدعي الأمر أن نطالب بإنشاء أقسام علمية في الجامعات المعنية تكون متخصّصة في العمل الخيري، حتى نخطو خطوات متزنة وسريعة في تحويل العمل الخيريّ من مجرّد نزعات وجهود فردية أو مؤسسية تفتقر إلى العلم والدراسة؛ إلى جزءٍ أصيلٍ من ثقافتنا واهتماماتنا، يكون مبنياً على أسسٍ أكاديمية تخضع للموازين العلمية، وتستفيد من النقلة التقنية والتكنولوجية الكبيرة التي شهدتها السنوات الأخيرة.

وبناءُ جيلٍ متخصّصٍ في مجال العمل الخيريّ، بناءً علمياً على أُسسٍ أكاديمية، هو طموحٌ لا يصعب تحقيقه، خصوصاً أنّ الأمّة قد خطت خطوات كبيرة في نشر الوَعْي والاهتمام بالعمل الخيريّ بين أفرادها.. فقط نحتاج إلى الإرادة الفاعلة، والقرار الحكيم الذي يختصر المسافات والأزمان لتحقيق الطموح المرجوّ.

رئيس مجلس الإدارة
خالد بن عبد الله الفواز
fawaz@qiraat.org

المشرف العام
عبدالله بن عبد المغني الفايز

رئيس التحرير
د. محمد بن عبد الله اللعبون
info@qiraat.org

مدير التحرير
رأفت صلاح الدين
editors@qiraat.org

الهيئة الاستشارية
المشير: عبدالرحمن سوار الذهب (السودان)
د. إبراهيم أبو عباة (السعودية)
أ. إبراهيم كنتاو (مالي)
د. حقار محمد أحمد (تشاد)
أ. د. حمدي عبد الرحمن حسن (مصر)
أ. د. عبدالغفور البوسعيدي (كينيا)
د. محمد أحمد لوح (السنغال)
د. محمد الثاني عمر (نيجيريا)

هيئة التحرير
أ.د. جلال الدين محمد صالح
أ.د. محمد عاشور مهدي عاشور
د. ربيع محمد القمر الحاج
أ. محمد العقيد محمد أحمد
أ. بسام المسلماني

الإخراج الفني
وائل خالد كريزان

المراسلات: بريطانيا - لندن:
7 Bridges Place, Parsons Green
Fulham, London SW6 4HW, UK
هاتف: 0044-207-4718261
فاكس: 0044-207-7364255

المملكة العربية السعودية - الرياض:
هاتف: 0096614944949
فاكس: 0096614942900
جوال: 00966555097415

جمهورية مصر العربية - القاهرة:
هاتف: 002 02 22874277
فاكس: 002 02 22874275

جمهورية السودان - الخرطوم:
هاتف: 00249188266666
فاكس: 00249183285830

التسويق/التوزيع: marketing@qiraat.org

ثقافية فصلية محكّمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية تصدر عن المنتدى الإسلامي

أسعار البيع والاشتراك السنوي لمجلة قراءات إفريقية

الدول	الجهة	سعر البيع	اشتراكات	
			أفراد	مؤسسات
مصر وإفريقيا		١,٥ دولار	١٠ دولار	٢٠ دولار
السعودية والخليج		١٠ ريال	٦٠ ريال	١٠٠ ريال
أوروبا وأمريكا		-	٢٠ دولار	٣٠ دولار

المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

الحج وأعمال القلوب.. نماذج إفريقية ٤

الرحلات الإفريقية للحج ٦
د. أمل بنت صالح الشمراني

الاستعمار البلجيكي في إفريقيا: الأسباب والنتائج ١٦
أ. عبير شيلغم

الدور السياسي للسلطة القضائية في ظل التحول الديمقراطي ٢٨
أ. سيد علي أبو فرحة

واقع الجريمة المنظمة بمنطقة الساحل الإفريقي ٣٨
أ. نوال بو مليك

الألغام في إفريقيا بين تحديات الأمن وقيود التنمية ٤٨
د. صبحي رمضان فرج

دور السعودية في تنمية اقتصاديات البُلدان الإفريقيَّة ٦٢
أ. محمد أحمد جعفر هني

عيد الأضحى في المجتمع الإفريقي.. رصد لبعض مضامينه الحضاريَّة ٧٤
د. آدم بمبا

اللغات الإفريقية في التكنولوجيا المعلوماتية ٨٦
أ. محمد تفسير بالدي

المشهد الإفريقي ٩٨
تحرير المجلة

إفريقيا الوسطى وتحقيق السلم الاجتماعي ١١٤
د. محمد البشير

تجربة مركز يوسف الخليفة في كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي ١٢٤
بروفيسور كمال محمد جاه الله

من الحاكم القوي إلى المؤسسات القوية ١٢٨
ترجمة: قراءات إفريقية

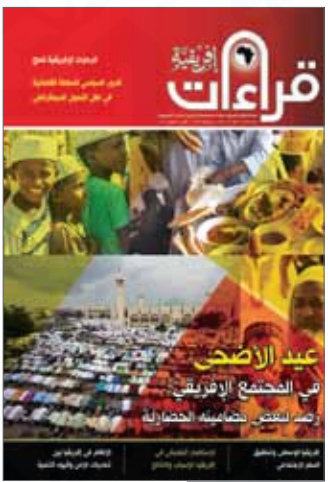

العدد ٢٦
شوال - ذو الحجة ١٤٣٦هـ
أكتوبر - ديسمبر ٢٠١٥م

الحج وأعمال القلوب.. نماذج إفريقية

ليس الأمر هيناً أن يتجرّد القلب من كلّ منازع وشاغلٍ ليصفو لله تعالى وتبارك، بل إنّ ارتقاءً القلب وسموّه إلى مقام التوحيد الخالص يحتاج إلى تضحياتٍ جسام، وجهدٍ دؤوب، وتربيةٍ شاقة في كلّ لحظة من لَحظاتها، ليتخلّص القلب من كلّ شائبةٍ تحول بين إقبال القلب وإذعانه لمولاه.

والحج من أعظم مقاصده تجريد التوحيد لله تعالى وتربية النفس على الإذعان والاستسلام له سبحانه، منذ أن يتجرد من ملابسه ويكتفي بالإزار والرداء، ويلبي معلنًا التوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك ..»، إلى أن يتم أعمال الحج.

وفي هذا السياق؛ يمكننا أن نسأل: لماذا جعل الله مكّة المكرمة صحراء مجدبة مشمسة، ولم يجعلها أرضاً خضراء وجناناً وارفة الظلال؟

والجواب – والعلم عند الله –: لتتهاوى كلّ المقاصد والرغبات إلا مقصود الله ورضاه، وإمعاناً في تحقيق هذا المعنى الدقيق كان لزاماً على الحاجّ ترك محبوبات مكة، كالكعبة والمسجد الحرام والحجر الأسود، بل أرض الحرم، ليتربى قلب الحاج على المقصود الأعظم الذي هو العبودية لله تعالى، وليس شيئاً آخر، فيخرج الحاجّ إلى عرفة، وعرفة خارج حدود الحرم صحراء جرداء، لا تلتفت لها النفوس ولا تذكرها القلوب إلا في هذا اليوم فحسب، وليس شيءٌ من عرفة له تعظيم، وهنا يتجلّى أنّ المقصود هو تحقيق ذلّ العبودية ولذة المناجاة.

وهكذا لو جرينا على مناسك الحج الأخرى لظهرت صورٌ أخرى تعمّق هذا المعنى وتَستظهرهُ، والمقصود أن يكون العبد باحثاً عن مقام التوحيد في قلبه، يستكشف عور نفسه وضعفها، ليبلغ افتقاره لربه غايته ومداه، وليستزيد من الله وقود الإيمان، ما يجعله يبلغ درجة سابقة في شتى أعمال القلوب، فهو مضطرٌ مفتقرٌ إلى الله تعالى، يوقن بعظيم منّته ورحمته وعظيم انتقامه وجبروته، فتزداد نفسه خضوعاً وذلاً وعبودية.

وفي هذا المقام؛ نجد أمامنا نماذج إفريقية عظيمة، استطاعت أن تصل إلى هذا المستوى الراقي من أعمال القلوب، وتتمثل فيها مدرسة في التقرب إلى الله، والتجرد له، في سبيل تحقيق التوحيد، من خلال الرحلة إلى أداء الركن الخامس من أركان الإسلام.

ففي جانب التضحية والمجاهدة تمثّل رحلة الحج من إفريقيا، وخصوصاً رحلات المناطق الغربية، نماذج بارزة، وصوراً مبهرة، لا تزال ماثلة في التاريخ لمن أرد أن يتعلم منها الإقبال على الله تعالى، والمجاهدة في سبيله، والتجرد من الدنيا.

ولكي نتصور هذا ونعيش في أجوائه؛ لتتأمل معنا – أخي القارئ – كيف كانت رحلة الحج في إفريقيا تستغرق شهوراً طويلة أو سنة أو سنوات كاملة، حتى يعود الحجاج إلى بلادهم وديارهم، كان الحجاج الأفارقة يُقدمون على رحلة الحج وهم يعلمون مدى ما فيها من مشقةٍ في السفر، ومخاطر الطرق، والأهوال، والتعرض للأمراض المختلفة، وكلفة الرحلة، وعلى الرغم من ذلك كانوا مقبلين على أداء الحج، تهفو أنفسهم إلى مكة المكرمة، حتى كان أهل الدار يحجّون كلهم، لا يبقى فيها أحدٌ من شدة اعتنائهم بالحج وحرصهم عليه، بل كان منهم مَن يحمل كلّ متاعه في الدنيا ويكتب وصيته لطول الرحلة،

ومظنـــة الهلاك في أثنائهـــا، والمدهش أنه مع كلّ ذلك كانـــت أعداد الحجاج الأفارقة في تلك الأزمنة كبيرة، إذ يقدّر عدد الحجاج ســـنوياً في (الركب الشنقيطي)[1] وحده، في تلك الفترة، ما بين (٣٠٠٠ - ٥٠٠٠) آلاف حاجّ، وهو رقمٌ كبيرٌ في ذلك العصر.

وفـــي جانب آخر من جوانب أعمال القلوب، وهو التجرد من متاع الدنيا والزهد في محابها، فإنّ من أعظم ما يصـــرف العبد عن إرادة الله والدار الآخرة إلـــى إرادة الدنيا هي (المحاب)، كالمحابّ الثمانية في سورة التوبة: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَـــوْنَ كَسَـــادَهَا وَمَسَـــاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِـــقِينَ﴾ [التوبة : ٢٤]، والمحابّ السبعة في آية آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّـــهَوَاتِ مِنَ النِّسَـــاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِـــكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران : ١٤].

وتتسم عبادة الحج بخالصة لا تكاد تكون إلا فيه، بجعل الحاج يضحّي بـــكلّ محبوباته تلك، التي تزاحـــم محبة الله تعالـــى، حتى لو كانت مجبولة أو مشـــروعة، فهو يترك - مثلاً - طفلاً رضيعاً، وزوجة محبة، وأماً رؤوماً، وبيتاً تســـكن فيه نفســـه، وتجارة تجري بدمـــه، ومالاً ذهب عمره وهو يجمعه؛ وليس هذا فحســـب، بل إنه إذا شرع في الإحرام تجرّد من محبوبات ألفتها نفسه؛ برغم أنها مباحة في الأصل، لتصبح بعد إحرامه محرمة.

وفي هذا الجانب، نجـــد النماذج الإفريقية المبهرة، فـــي التخلي عن هـــذه المحاب، ومن أبرزها سلطان مالي منسا موسى سلطان مالي، في عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م، الذي أنفق من الذهب ما يتقاتل عليه الناس والملوك، وقد أشـــاد كثيرٌ من أمراء مصر بطيبته وحُســـن أخلاقه وكرمه وصلاحـــه، ولم يكن عطاؤه وســـخاؤه مقصوراً على الحجـــاز ومصر، بل كان يلقي بالذهب هنا وهناك، وأنعم علـــى كلّ القبائل التي كانت تقيم علـــى طول الطريق منذ خروجـــه من بلده حتى وصوله إلى مكة المكرمة[2].

ولا تقتصر فوائد الحجّ التربوية على أعمال القلـــوب، بل كان لرحلات الحـــج فوائد عظيمة أخرى، على مرّ التاريخ الإســـلامي في إفريقيا، فكلّ رحلـــة مثلّت تجربة ثريـــة، ليس في حياة الأفارقة من الحجيج فحســـب، بل تعدى أثرها واتســـع مداها بحســـب ما تهيأ من الأسباب، وأحاط بها من ملابسات.

وقد حرصنا في هذا العـــدد على أن نقدّم دراسةً مفصلةً عن رحلات الحج الإفريقية، وما كان يسودها من حيويةٍ ونشاطٍ وتفاعلٍ اجتماعيٍّ ودينيٍّ وعلمـــيٍّ وثقافي، وما كان لتلك الرحلات من تأثيراتٍ عامّةٍ في حياة المســـلمين الدينية والعلميـــة والثقافية والاجتماعية والسياســـية والاقتصاديـــة، مما نحتاج إلى أن نســـتثمره في تصفية القلـــوب، وتنقية النفـــوس، وبناء وَعْي إيمانيٍّ يســـاهم في بناء المجتمع المســـلم في إفريقيا ■

(١) بوابة إفريقيا الإخبارية، دور الرحالة الموريتانيين في التواصل الحضاري بين ليبيا وموريتانيا.. ابن طوير الجنة نموذجاً، محمود المعلول - كاتب وباحث ليبي.

(٢) نبيلة حسن محمد، في تاريخ إفريقية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، ص ٢٤٦.

الرحلات الإفريقية للحج

د. أمل بنت صالح الشمراني
عضو هيئة التدريس بجامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

للحج مكانةٌ عظيمةٌ في نفوس المسلمين، فهي لم تزل تستجيب لنداء يستحثها حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج : ٢٧]، فلبّى المسلمون من إفريقيا النداء – كإخوانهم –، وتداعت وفود حجيجهم منذ أن دخلها الإسلام، من فجاجها ووهادها ونجادها، زرافات ووحدانا، تفيض نفوسهم وجْداً وشوْقاً إلى مكة والمدينة والمشاعر المقدسة:

هتف المنادي فانطلق يا حادي
وارفق بنا إنّ القلوب صوادي

تتجاذب الأشواق وجدنفوسنا

ما بين خافٍ في الضلوعِ و بادِ

وكان لكلّ رحلة من رحلات الحج في إفريقيا طابعها الخاص، وحظها من الأمن أو الخوف، والراحة أو وعثاء السفر، فكلّ رحلة مثّلت تجربة حية، ليس في حياة الأفارقة من الحجيج فحسب، بل تعدى أثرها واتسع مداها بحسب ما أحاط بها من ملابسات، كرحلات حجّ بعض ملوك الممالك الإسلامية المشهورة التي سجلها التاريخ، ووجدت تلك الرحلات عناية من الكتاب والرحالة والمؤرخين الذين وثّقوا لها، وسجّلوا وقائعها وتفاصيلها في حينها، كابن بطوطة، وابن كثير، والعمري، ومحمود كعت، وهي جديرة بأن تلقى اهتماماً من الباحثين والدارسين المعاصرين.

وقد مثّل الحج وأداء فريضته أعظم ما يرنو إليه الأفارقة بعد الدخول في الإسلام، حيث العبادة والثواب والأمن والأمان[1]، وللحج والحجاج عندهم مكانة وتقدير فقد حظي «لقب حاج» أو «حاجة» ذكراً كان أو أنثى في إفريقيا بقيمة كبيرة، فأعطى صاحبه هالة ووجاهة، واعتز به بين أهله وذويه، كما أن هذا اللقب كان يرفع من مكانة أي فرد في المجتمع فتعلو مكانته، وكان الناس يولون اهتماماً كبيراً للحجاج، ويحرصون على إكرامهم، ويستقبلهم الملوك والسلاطين وشيوخ القبائل، كما يهتمون بتوديعهم عند السفر إلى الحج[2].

وما ذلك إلا تعظيما لركن الحج وتقديراً للجهد الذي بذله المسلم في سبيل تحقيقه ؛فقد كانت رحلة الحج من إفريقيا بالغة المشقة؛ تكتنفها المخاطرة.

الاستعداد والإعداد للحج، تنظيمات القوافل، والتقاليد المتبعة في ذلك:

كانت رحلة الحج رحلة مضنية، تتطلب جهوداً كبيرة في سبيل الإعداد والتجهيز للحج، وبالرغم من ذلك فقد حرص الأفارقة من ملوك ورعايا على أداء فريضة الحج؛ غير آبهين بما يواجههم من مصاعب وتكاليف في رحلاتهم الحجية التي تستمر لمدة عام تقريباً.

ولما كانت تتعرض له قوافل الحجاج أو التجار في بعض الأحيان من مخاطر، من قطاع الطرق وانعدام الأمن، إلى جانب تقلبات المناخ التي كثيراً ما كانت تتسبب في ضياع القوافل وعطشها وموت أفرادها[3]؛ فقد اعتمد السلاطين على تعيين رؤساء للقوافل، إلى جانب تنظيم بعض الحرس المزودين بالأسلحة، للحدّ من عمليات النهب والقتل التي كانت تحدث، كما عقدوا «معاهدات مع شيوخ القبائل القوية مقابل مبلغ من المال؛ بهدف حماية قوافل الحج والتجارة أثناء مرورها عبر أراضيها»[4].

ومن ضمن الاستعدادات للحج أن يُزوَّد ركب الحج بالماء والزاد وأنواع الأطعمة، والقضاة والمؤذنين والأئمة والأطباء[5]، والعلماء والفقهاء والكثير من العساكر لحماية

---

(١) عوض عبدالهادي العطاء: الرحلة الحجازية وأثرها العلمي على إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، (ع ٢٣، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ص ١٩١.

(٢) التنبكتي، محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، ترجمة هوداس ودي لافوس، باريس، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، ص ١١١.

(٣) حبيب وداعة الحسناوي: الحج وأثره في دعم الصلات العربية الإفريقية ودور فزان في تسهيل قوافل حجاج السودان الأوسط حتى القرن الثامن، بحث ضمن إصدرا بعنوان: (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط ١ (د-ت)، ص (٩٤، ٨٨، ١٠٠).

(٤) حبيب وداعة الحسناوي، الحج وأثره في دعم الصلات العربية الإفريقية، ص ٩٠.

(٥) السيوطي، عبدالرحمن بن كمال الدين: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م، (د - ت)، ج ٢، ص ٣١٠.

القافلة من الغارات، وفي المقدمة دليل للقافلة[١]، إضافة إلى انضمام الكثير من أهالي الأقاليم التي يمرون بها رغبة في الحج، منذ بداية رحلتها وحتى وصولها المشاعر المقدسة في مكة والمدينة.

ولتجنب مخاطر الطريق كان الحجاج يسلكون أكثر الطرق أمناً، ويُعدّ طريق فزان وواحاته من الطرق المفضلة للحجاج على مرّ العصور؛ فارتفعت مكانة فزان بسبب مرور قوافل الحجاج بها، حتى أصبحت ملتقى لحجاج شمالي إفريقيا والسودان الغربي،... ما جعل منها سوقاً حافلةً بأنواع النشاط التجاري في كلّ عام[٢].

ومن ضمن تنظيم القوافل في حلّها وترحالها الاهتمام بالتكشيف، حيث كان يخرج أحد أفرادها قبل مدة وجيزة ليخبر بقدوم القوافل قبل وصولها إلى بلادهم، فكانوا يخرجون لمسافة أربعة أيام يحملون معهم الطعام والماء، كما أنّ بعض القبائل تبيع الماء للحجاج، وخصوصاً في الأماكن التي ينعدم وجوده بها[٣]، وكان سكان القرى والواحات يستقبلون الحجيج أحسن استقبال وإكرام، كما أحسنوا ضيافتهم، وقدموا لهم كلّ مساعدة يحتاجون إليها، وأعفوا الحجاج من الضرائب التي تؤخذ على البضائع التي يحملونها معهم.

وكان الحجاج الأفارقة يحرصون على أداء مناسك الحج بالطريقة الصحيحة التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، مستفيدين من دروس العلماء المصاحبين في الرحلة وفتاويهم وإرشاداتهم وتوجيهاتهم، كما كانوا يحرصون على أعمال الخير والإكثار من التصدق على فقراء الحرم والإنفاق على الفقراء والمساكين.

(١) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص (٣٤ – ٣٦).

(٢) حبيب وداعة الحسناوي: الحج وأثره في دعم الصلات العربية الإفريقية، ص ٩٣.

(٣) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحها وكتب هوامشها طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص (٦٨٥ ، ٦٨٦).

طرق رحلات الحج:

سلك حجاج بلاد إفريقية الغربية عدة طرق للوصول إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وفيما يلي عرضٌ لأهم هذه الطرق:

١ – طريق تبدأ من نياني عاصمة مملكة مالي، مروراً بمدينة تنبكت فولاته، ثم إلى إقليم توات[٤]، وقد سلك منسا موسى في حجه عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م هذه الطريق، وكان أكثر حجاج إفريقيا من السودان الغربي يسلكونها[٥].

٢ – الطريق الأخرى؛ فتبدأ من تكدا شرق السودان الغربي في إفريقيا، ثم تمر بمدينة غدامس[٦]، وكانت تمثل أهم المراكز الصحراوية في استقبال قوافل الحجاج، والتي قال عنها ابن خلدون: «استبحرت في العمارة، واتسعت في التمدن، بما صارت محطاً لركب الحجاج من السودان»[٧]، ثم تستمر هذه الطريق حتى بلدة تاجورة[٨]، ثم إلى مصر، وقد سلك الملك ساكورة (٦٨٤ – ٧٠٠هـ / ١٢٨٥ – ١٣٠٠م) هذه الطريق في رحلة حجه، ثم قُتل بالقرب من تاجورة إثر اعتداء تعرّض له من بعض قبائل البدو المقيمة هناك[٩].

٣ – طريق الدرب الصحراوي، والتي تعرف بطريق غات

(٤) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، ج ٧ ص ٦٨؛ توات: مدينة ومركز تجاري تقع على الطريق التجاري التي تربط بلاد السودان الغربي مع بلاد الشمال الإفريقي، (الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ٢، ص ١٥١).

(٥) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص (٣٣ ، ٣٤).

(٦) غدامس: مدينة بالصحراء، تبعد عن جبل نفوسة مسيرة سبعة أيام، (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ط٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٤٢٧).

(٧) ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ٧٠.

(٨) تاجورة: بلدة صغيرة في المغرب بالقرب من هنين على سواحل تلمسان، (الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي: معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٥).

(٩) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٢٣٨.

التي تقع في جنوب غرب ليبيا، وكانت هذه الطريق تمر عند أهرامات الجيزة في مصر[١].

٤ - طريق نحو الشرق، ثم سودان وادي النيل، ثم تتصل بساحل البحر الأحمر، إلى أن تصل إلى الحجاز[٢].

وهنـــاك عاملان كانـــا يتحكمان في خط ســـير ركب الحجيج:

الأول: الحرص على توفير ما من شأنه أن يحافظ على سلامة الحجاج.

والثاني: التعاون التام بين ســـلاطين الأقاليم الإفريقية وحـــكام البلاد التي يمـــرون بها، ويشـــمل الاهتمام بتوفير الأمن، وحماية الحجاج من أية اعتداءات، وتســـهيل دخولهم وخروجهم من أراضيها[٣].

كانت بلاد المغرب محطة لالتقاء ركب حجاج إفريقيا، فهناك يجتمعون مع الحجاج المغاربة، ثم يسيرون في موكبٍ واحـــدٍ إلى ليبيـــا، ومنها إلى مصر، ومن ثـــم يتوجهون إلى الحجاز، وقد أولى الحـــكام المغاربة الركب الإفريقي عناية تامّة، حيث أصدر ســـلطان المغرب أوامره بحراســـة موكب منسا موسى حتى اجتيازه الصحراء[٤].

وكان لقبيلة كنتـــه دورٌ مهمٌّ في حمايـــة قوافل التجار والحجـــاج في إفريقيـــا، فقد تطوّع بعـــض رجالها كلّ عام لمرافقـــة ركب الحجـــاج إلى مكة، وهذا مـــا أدى إلى كثرة انضمام حجاج الشـــمال الإفريقي إلـــى قافلة الحجاج التي تحرســـها قبيلة كنته، والذي سمي بركب شنقيط، وكان أكثر مـــا تميزت به هذه القبيلة هو حرصهـــا على العلم وتعليمه للناس، وتعمير الأرض بإصلاحها، وحفر الآبار، كما اختصت بتسيير القوافل وإكرام الضيف[٥].

نـمـوذج مـن رحـلات الـحـج.. رحـلـة منسا (السلطان) موسى :

تُعدّ رحلة منسا موسى سلطان مالي في عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م مـــن أهم رحلات الحج؛ لما خلّفته من آثارٍ مهمّةٍ في أنحاء العالم الإسلامي، بل في أوروبا.

تولى منســـا موســـى الحكم بين عَامَيْ (٧١٢ - ٧٣٧هـ / ١٣١٢ - ١٣٣٧م) «وكان رجـــلاً صالحاً، وملكاً عظيماً، له أخبارٌ في العـــدل تؤثر عنه، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية، وافتتح الكثير من البلاد»[٦]، قال عنه السعدي: «كان صالحاً عادلاً، لم يكن فيهم مثله في الصلاح والعدل»[٧].

أخذ الاســـتعداد لهـــذه الرحلة وقتاً طويلاً، وأحســـن تجهيـــزه لأداء هـــذه الفريضة: فقام بجمـــع المال والجهاز للســـفر، ونادى من بأرضه من كلّ جانب يطلب الزاد والعون، ثم استناب على بلاده ابنه منسا مغا الثاني، ليخلفه في حكم البلاد إلى حين عودته.

بـــدأت هذه الرحلة في أواخر عـــام ٧٢٣هـ / ١٣٢٤م، واستمرت ســـبعة أشـــهر، إلى أن وصل إلى مصر في عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م[٨]، وســـلك في رحلته طريق ولاته، ثم توات وورقلة[٩] وســـرت، وأكمل مســـيره حتى وصل إلى ســـاحل

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٥١٥؛ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م، ص ١٨٩.

(٢) Trimingham, Islam in West Africa. p-88

(٣) جميلة إمحمد التكيتك: مملكة سنغاي في عهد الأسكيا محمد الكبير (٨٩٣ - ٩٢٨هـ / ١٤٩٣ - ١٥٢٨م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ٦٠.

(٤) شوقي عطا الله الجمل: الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها ودور المغرب فيها، (مجلة المناهل المغربية، ع ٧، ذو القعدة، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، ص ١٤٥.

(٥) أحمد الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديداً وتخطيطاً وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص (٤٢٦ ، ٤٧٨).

(٦) القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج ٥ ص ٢٨٣.

(٧) السعدي، عبدالرحمن بن عبدالله بن عامر: تاريخ السودان، باريس، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص ٧.

(٨) نبيلة حسن محمد: في تاريخ إفريقية الإسلامية:...، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، ص ٢٢٠.

(٩) ورقلة: مدينة صغيرة تبعد عن برقة عشر مراحل، «متحضرة وفيها قوم ساكنون كثيرو التجارة...»، (الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ١، ص ٣١٢).

الإسكندرية ثم القاهرة[١].

واختلفت المصادر العربية في تحديد عدد مرافقيه الذين صاحبوه إلى بلاد الحجاز[٢]، أما موكبه؛ فكان يضمّ زوجته «إنار كنت»، وجمعاً كبيراً من الأمراء والوزراء وحكام الولايات والقضاة والعلماء والفقهاء والأتباع والخدم والحاشية والعبيد والحرس الملكي، والكثير من العساكر لحماية القافلة من الغارات، وفي مقدمة القافلة سليمان بن يعت، وكان بمثابة دليل للقافلة[٣].

وقد أحاط نفسه بمظاهر الترف والأبهة في مصر بما كان يحمله من قطع الذهب الخام[٤]، وكان يركب على جوادٍ يسير في مقدمته خمسمائة رقيق، يحمل كلّ منهم ما يزن خمسمائة مثقال من الذهب[٥].

(١) عبدالرحمن زكي: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية في ظل الإسلام، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة،١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص ١٠١؛ شوقي الجمل وآخرون: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٩٠.

(٢) يرى ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، يقول: «وصحبه أكثر من عشرة آلاف تكروري» ، أما ابن كثير (ت ٧٧٤هـ /١٣٧٢م)، فيقول: «جمع ما بين الركب المغربي والسوداني، فوصل العدد إلى عشرين ألفاً»، أما ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)، فيقول: «اثنا عشر ألفاً»، أما في رواية محمود كعت (ت ١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م) فثمانية آلاف، وستون آلفاً في رواية السعدي (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م) .
ولعل رواية محمود كعت هي أقرب للحقيقة لأنه من أهل البلاد، وأعلم بأحوال حكامها وسكانها.

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش ص ٣٤-٣٦.

(٤) شوقي الجمل وآخرون: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة، القاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٩٠.

(٥) إبراهيم طرخان، دولة مالي الإسلامية دراسات في التاريخ القومي والإفريقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م، ص ٨١. اختلف المؤرخون بشأن مقدار ما كان يحمله عند خروجه من بلده مالي، فابن خلدون وابن حجر قالا: «أعد لذلك مائة حمل من التبر، كلّ حمل ثلاثة قناطير»، ومن المؤرخين من قال إنه كان معه حمل أربعين بغلة من الذهب، ومهما يكن من المبالغات في تقدير كميات الذهب التي حملها معه من بلاده فلا نستغرب هذا، وخصوصاً إذا عرفنا أنّ مالي بها الكثير من مناجم الذهب، وخصوصاً في ونقارة التي توصف بأنها «أرض التبر».

وعند وصوله لمصر استقبله الأهالي بكلّ مظاهر الحفاوة والتكريم، وأرسل إليه السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون المهمندار[٦] الأمير أبا العباس شهاب الدين أحمد بن علي الحاكي، فاستقبل منسا موسى وجميع ركب حجه، وأنزلهم بقصر القرافة الكبرى في القاهرة[٧]، وكان في استقبالهم وضيافتهم والي القرافة والقاهرة الأمير أبو الحسن علي بن أمير حاجب (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، وقد جرت بينهم عدة اجتماعات وأحاديث عن مملكة مالي وأحوالها[٨]، وتحدث المهمندار عن كرم منسا موسى، وأنه أفاض على أهل مصر، فقال بشأن ذلك: «ثم قدّم للخزانة السلطانية حملاً من التبر، ولم يترك أميراً ولا ربّ وظيفة وخليفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب»[٩].

ثم صعد للقلعة لمقابلة السلطان الناصر، واجتمع به وأكرمه، وتوطدت العلاقات بينهما، كما أقطعه الناصر قصر القرافة للإقامة فيه، وقدّم له هدايا كبيرة وقيمة... وركز له العلمين في الطرق، وأمر أمير الركب بإكرامه واحترامه[١٠].

(٦) المهمندار: كلمة فارسية مركبة من لفظين، الأول: مهمن، وتعني الضيف، والثانية: دار، وتعني الممسك، وعليه استقبال رسل ووفود السلطان وإنزالهم في الدور التي أعدت لاستقبالهم وضيافتهم، (محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٣٣٤).

(٧) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية في التاريخ، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج١٤، ج ٥، ص ٥١٥.

(٨) العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مصطفى أبو ضيف أحمد، من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر (ممالك إفريقيا ما وراء الصحراء وممالك إفريقية وتلمسان وجبال البربر وبر العدوة والأندلس)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ٦٧.

(٩) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ٧١؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٥، ص ٢٨٣.

(١٠) العمري: مسالك الأبصار، ص ٧٢. وقد اختلف المؤرخون حول لقاء الملك الناصر محمد قلاوون منسا موسى، وهل قبّل الأرض في حضرة الملك الناصر أو لا، فجميع ما ورد من روايات تتفق في أنّ منسا موسى لم يقبّل الأرض.

كما التقى عدداً كبيراً من الفقهاء المالكية، وتحدث معهم في كثيرٍ من الأمور.

وقد أشاد الكثير من الأمراء بطيبة منسا موسى وحُسن أخلاقه وكرمه وصلاحه بقولهم: «كان على نمطٍ واحدٍ في العبادة والتوجه إلى الله عزوجل، كأنه بين يديه لكثرة حضوره، وكان هو ومن معه على مثل هذا، مع حسن الزي في الملبس والسكينة والوقار»[١].

وبعد أن وصلت قافلة منسا موسى إلى الحجاز أدى هو وأتباعه أركان الحج وواجباته على أتمّ وجه وأكمله، ثم غادروا إلى المدينة، وزاروا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تصدق على الحجاج وأهل الحرمين بمالٍ كثيرٍ ووافرٍ من التبر قُدّر بعشرين ألف مثقال من الذهب[٢].

وكلفته العودة إلى بلاد مصر جهداً كبيراً، «فقد هلك الكثير من أصحابه وجماله بالبرد؛ حتى لم يصل معه إلى مصر إلا نحو الثلث منهم»[٣]، كما ساءت أحوال ركب الحجاج، خصوصاً بعد نفاد أموال منسا موسى بسبب الحادثة التي تعرضت لها قافلته وهو في طريق عودته من الحجاز[٤].

ولسوء أحواله وبعد أن نفد كل ماله اضطر إلى الاستدانة «فاستدان على ذمته من تجار مصر بما لهم عليه فيه من المكاسب الكثيرة، بحيث يحصل لأحدهم في كل ثلاثمائة دينار سبعمائة دينار ربحاً ، وبعث إليهم بذلك بعد توجهه إلى بلاده»[٥].

وبعد رجوعه إلى القاهرة أرسل إلى الملك الناصر محمد هدايا كثيرة، فقبلها السلطان، وبعث إليه بالخِلَع والعطايا له، ولكلّ أصحابه، مثل التحف الألطاف من البزّ السكندري والأمتعة الفاخرة[٦].

وفي أثناء إقامة منسا موسى في مصر كان «كريماً جواداً كثير الصدقة،...»[٧]، والجدير بالذكر أنّ خيراته لم تكن مقصورة على الحجاز ومصر، بل كان يلقي بالذهب هنا وهناك، وأنعم على كلّ القبائل التي كانت تقيم على طول الطريق منذ خروجه من بلده حتى وصوله إلى مكة المكرمة[٨]، وهذا ما كان سبباً في انخفاض قيمة معدن الذهب في أسواق مصر، ولم يسترد سعره السابق إلا بعد اثنتي عشرة سنة[٩].

وسلك في العودة طريق القوافل الشرقي الذي يبدأ من مصر ثم برقة ثم طرابلس وغدامس، حتى وصل إلى جاو في عام ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م[١٠]، وفي طريق عودته اشترى عدة كتب في الفقه المالكي[١١].

ومن الآثار المهمة لحجته أنه أنشأ الكثير من المساجد، «فبعد جوازه إلى الحج وبطريقها رجع، فابتنى مسجداً ومحراباً خارج مدينة كاغ (جاو)، صلى فيها الجمعة، وهي هناك إلى الآن»[١٢].

وبعد هذه الرحلة المشهورة لحج منسا موسى ذاع صيت مالي وأخبار موكبه في أوروبا، فَأُصْدِرَت الكثير من الخرائط

(١) المصدر السابق، ص ٧٠.

(٢) السعدي: تاريخ السودان، ص ٧.

(٣) المقريزي، أحمد بن علي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، (د-ت)، ص ١٤٣.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٥١٥، يحدثنا ابن خلدون عنها بقوله: «ذلك أنه ضل في الطريق عن المحمل والركب، وانفرد بقومه عن العرب وهي كلها مجاهل لهم، فلم يهتدوا إلى عمران، ولا وقفوا على مورد، وساروا على السمت إلى أن نفذوا عند السويس.... والأعراب تتخطفهم من أطرافهم إلى أن خلصوا».

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥ ص ٢٨٤؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١٤٣.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٥، ص ٢٨٤.

(٧) المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ص ١٤٣.

(٨) نبيلة حسن محمد: في تاريخ إفريقية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، ص ٢٤٦.

(٩) إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٣٠٣.

(١٠) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د - ت)، ص ١٠٠؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص ٨٦.

(١١) محمد فاضل باري وآخرون: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الرشاد الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ٩٢.

(١٢) السعدي: تاريخ السودان، ص ٧.

عام ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م، والتي رسم عليها طريق لأهم المدن في مالي، كما رُسم طريقٌ يمر بجبال أطلس ثم الصحراء الكبرى، وينتهي في مالي، وصورة لمنسا ملك الذهب، وقد رسمها أنجلو دولسرت، كما وضع أبراهام كريسك خريطة أخرى لملك فرنسا شارل الخامس ورسم عليها أيضاً دولة مالي[١].

وبعد حياة حافة توفي منسا موسى عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م بعد أن حكم خمساً وعشرين سنة، وحكم من بعده ابنه منسا مغا الثاني (٧٣٧ - ٧٤١هـ / ١٣٣٧ - ١٣٤١م)[٢].

أثار الرحلات الإفريقية إلى الحج:

١ - الآثار الدعوية :

١ - انتشار الإسلام في مناطق السودان الغربي:

كان الحج أحد طرق انتشار الإسلام في السودان الغربي، فقوافل الحج السودانية في رحلتها كلّ عام إلى مكة تمر بمناطق وأقاليم كثيرة يعيش فيها العديد من القبائل الوثنية، أو قبائل حديثة عهد بالإسلام؛ فمرور الحجيج بها واستقرارهم فيها مدة من الوقت للراحة كان سبباً في انتشار الإسلام وتعاليمه ومبادئه بين سكان تلك المناطق، وكانت بعض قوافل الحجيج تقوم بإنشاء المساجد وتحرص على أداء الصلاة فيها؛ فيختلط السكان بالحجاج، ويتعرفون عن قرب على الإسلام وأركانه وتعاليمه، كما فعل منسا موسى الذي حرص على تشييد المساجد والجوامع في الأماكن التي توقف بها لأداء صلاة الجمعة، فكثيرٌ من المسافرين كانوا يُصَلّون في المساجد التي أقيم بعضها داخل المدن أو على جنبات الطرق[٣].

كما اتضح أثر الحج في نشر الإسلام باطلاع حجاج السودان الغربي على مختلف الأحداث والعلوم التي تُدَّرس، وذلك خلال مرورهم بالبلاد الإسلامية، وبعد انتهاء موسم الحج يعودون إلى بلادهم وقد انتهوا من أداء فروضهم الدينية واطلعوا على آثار الصحابة رضي الله عنهم والعلماء، ودرسوا شتى العلوم العربية والإسلامية[٤]، الأمر الذي ساعدهم في نشر الإسلام والدعوة وإرشاد الناس وتوجيههم.

٢- الشعور بالأخوة الإسلامية وتحقيق الإنتماء لأمة الإسلام:

لا شك أن رحلات الحج كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على سكان البلاد من شعورهم بالأخوة الإسلامية التي تمثلت في الالتقاء بجميع إخوانهم المسلمين من شتى البقاع الإسلامية على اختلافها، يقول ترمنجهام: «إن الشعور بأن الإسلام دين الأفارقة جميعاً كان شعوراً يتملك المسافرين من الأفارقة الحجاج»[٥]. ففي رحلات الحج الشاقة الطويلة التي يقطعها الحاج حتى يصل إلى الأماكن المقدسة سرعان ما يجد كرم الضيافة وحسن المعاملة من أهالي المناطق التي يمر خلالها، وعندما يصل إلى مكة وأمام هذا العدد الهائل من الحجاج القادمين من مختلف البقاع الإسلامية يشعر أنه في مؤتمر إسلامي كبير تتجلى فيه معاني الإسلام، فالناس فيه سواسية، ولا فضل لواحد منهم على آخر فسرعان ما يجد في الحج الأخوة الإسلامية التي يطلبها، والفرصة له لتبادل الخبرات والمعارف والتجارب والآراء.[٦]

كما كان للحج أثرٌ كبير في توطيد علاقة الأفارقة بالإسلام، «و لا يزال الحج على مر العصور نظاماً لا يبارى،

(١) فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة: يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢، ص ٥٧؛ مادهو بانيكار، الوثنية و الإسلام «تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية»، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١٤١٨،٢هـ / ١٩٩٨م، ج ١، ص ٢١٥.

(٢) محمود شاكر وآخرون: مالي، المكتب الإسلامي، الرياض، ١٣٨٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٤٣.

(٣) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٣٤؛ السعدي، تاريخ السودان، ص ٧.

(٤) مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٦٦.

(٥) Islam inWest Africa . p88Trimingham.

(٦) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، دار مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ٣٩٠، ٤٠٠؛ نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقية الغربية، الشركة الوطنية، الجزائر، ط ٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ١٠٢، ١٠٣.

فيه تشـــيد عرى التفاهم الإســـلامي والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين، وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحالة مرة على الأقل في حياته، وأن يجتمع مع غيره من المسلمين اجتماعاً أخوياً، وبفضل هذا النظام يتيســـر للزنوج والبربر والصينيين والفرســـوالترك والعرب وغيرهـــم أغنياء كانوا أم فقراء عظماء أو صعاليك الدنيـــا أن يتآلفوا لغة وإيماناً وعقيدة»[١].

«وهكذا أصبح خروج المسلمين في غربي إفريقيا ملوكاً وشـــعوباً إلى الحج واتصالهم بالشعوب الإسلامية المختلفة في المغرب ومصر والحجاز تأكيداً لروح الأخوة الإســـلامية التي فرضها الإسلام»[٢].

٢- الآثار العلمية:

أســـهمت رحلات الحج في انتشـــار وازدهـــار الحركة العلمية في أفريقيا، من أوجه متعددة، منها:

١ - التقاء علماء أفريقيا بإقرانهم:

ومن الأمثلة على ذلك:

- الفقيه أحمـــد بن عمر التنبكتي، كان فاضلاً صالحاً ورعاً حافظاً للســـنة فقيهاً نحوياً عروضياً معتنياً بتحصيل العلم، ونسخ ســـبعمائة مجلد من الكتب بخط يده واحتفظ بها في مكتبته، وفي عام ٨٩٠ هـــ / ١٤٩٠م ســـافر للحج، والتقى بالشيخ عبد الرحمن السيوطي، وخالد الأزهري[٣].

- أبو عمرو عثمان بن موسى الجاني، فقيه مالي وكبير قضاتها، نبغ في روايـــة التاريخ، اتصف بالعدل وحب العلم، لا يخاف في الله لومة لائم، وهذا ما جعله صارماً في تنفيذ أحكامـــه[٤]، وقد أدى فريضة الحج، والتقى بابن خلدون في مصر أثناء مروره بها عام (٧٩٩هـ/ ١٣٩٨م) والذي ســـأله عن بلاد مالي وأهم سلاطينها وشؤون البلاد وأوضاعها[٥].

- محمـــد بـــن أحمد بـــن أبي محمـــد التاذختي (ت ٩٣٦هـ/ ١٥٣٨م)، اشـــتهر بأيد محمد، وقد رحل إلى بلاد الحجاز للحج وطلب العلم، ومن كبار العلماء الذين أجازوه في مكة أبو البركات النويري (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٨م) وابن عمه عبدالقادر[٦].

- وكذلك التقاء السلاطين بالعلماء واستضافتهم في بلدانهم.

فقد التقى منسا موسى بالفقيه عبد الرحمن التميمي، وعاد برفقته إلى مالي، وســـكن في تنبكت مدة قصيرة، ثم تركهـــا ورحل إلى فاس بعد أن وجـــد أن علماء تنبكت على درجـــة كبيرة من العلم وأكثر تفقهاً في الدين منه، ولكنه عاد بعد ذلك إلى تنبكت واســـتقر بها بعد أن تبحر في كثير من العلوم وأتم تعليمه[٧].

وأثناء إقامته في القاهرة حرص على مجالســـة العلماء والفقهاء، مثل مدرس المالكية القاضي محمد بن أحمد بن ثعلـــب المصري[٨]، والفقيه أبي الروح عيســـى الزواوي (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٤م)[٩].

٢ - طلب العلم والاستفادة من علماء البلدان:

اعتـــاد الحجاج فـــي رحلة حجهم إلى بـــلاد الحرمين على المجاورة والتوقف والمكوث في بعض المناطق ســـواء فـــي الحجاز أو في مصر أو في الشـــمال الإفريقي بغرض الدراســـة أو التدريس فمنهم من كان يقيم في مكة والمدينة

(١) فيليب حتى، إدوارد جرجي، جبرائيل جبور: تاريخ العرب، دار الغندور للنشر، بيروت، ط ٥، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) شوقي عطا الله الجمل: الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها ودور المغرب فيها، (مجلة المناهل المغربية، ع ٧، ذو القعدة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ص ٧, ١٤٤.

(٣) التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبدالحميد عبدالله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٣٧، ١٣٨؛ التنبكتي: كفاية المحتاج في معرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج ١، ص ١٣٣.

(٤) النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد: تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢٣٧.

(٦) السعدي، تاريخ السودان ص ٣٩؛ التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٥٨٧.

(٧) السعدي، تاريخ السودان ص ٥١.

(٨) التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص (٣٩٥، ٣٩٦).

(٩) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ٧٤.

ينضمون فيها إلى حلقات العلم، ولا سيما الحلقات العلمية في المسجد الحرام الذي يعتبر من أكبر دور العلم التي يلتقي فيه الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم و يدرسون كثيراً من العلوم المختلفة.

كما أن طلاب العلم لم يكتفوا في تلقيهم العلم على الحلقات التي كانت تعقد في الحرمين وإنما كانوا يتلقونه أينما وجدت حلقات علمية في مختلف أنحاء مكة والمدينة، والتي كانت تتضاعف في مواسم الحج بسبب كثرة زوار بيت الله الحرام في هذا الموسم وتزدحم بالعلماء ورجال وشيوخ القراءات والحديث، ويحضرون أيضاً المناظرات التي كانت تعقد بين العلماء الذين قدموا الحرمين الشريفين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي[١].

وحرص الطلاب والعلماء في هذه الحلقات على مجالسة الشيوخ من مختلف المذاهب الفقهية الإسلامية وخاصة المذهب المالكي، فكانوا يميلون إليه كثيراً، لاسيما أنه كان منتشراً بينهم فهو أقرب إليهم[٢].

وظهر تأثير الحياة العلمية في المشرق على حلقات العلم في المدن الإفريقية، فأصبحت تحاكيها و صورة مصغرة لها ، ويظهر ذلك في قيام الكثير من حلقات العلم والتي اجتمع حولها الكثير من الطلاب لتلقي الدروس وضروب المعرفة، فجامع سنكري في تنبكت كان محاكياً لجامع الأزهر في نظام التعليم، كالكتاتيب والمدارس الابتدائية لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، أما الدراسة فكانت في المعاهد العليا كالجامع الأزهر[٣]، وكانت الكتب نفسها التي تدرس في الحجاز ومصر هي التي تدرس في جامع سنكري[٤].

ج - تعلم اللغة العربية وانتشارها:

من أهم عوامل انتشار اللغة العربية، كونها لغة القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية، كما أنّ مَن يدخل الإسلام عليه أن يتعلم اللغة العربية حتى يستطيع معرفة الأمور الدينية، ومنها قراءة القرآن الكريم[٥]، وأداء العبادات، ومنها شعائر الحج، فمناسك الحج والتلبية والدعاء كانت بالعربية؛ وقد حرص علماء وطلاب العلم من حجاج إفريقيا على تعلم اللغة العربية عند أداء فريضة الحج والدراسة على مشايخ الحرمين وحضور حلقات العلم والدروس، والعلوم تتطلب ضرورة معرفة اللغة العربية؛ ولذا حرص هؤلاء الطلاب على إتقان العربية وإجادتها، كما دونوا بها كثيراً من العلوم، وهذا ما دلّ على نبوغهم وتفاعلهم مع لغة القرآن الكريم[٦].

د - انتشار الكتب والمكتبات:

مما ساعد على نشاط وازدهار الحركة العلمية والثقافية في بلاد إفريقيا توافر الكتب والمكتبات الخاصة والعامة، حيث اهتم المجتمع الإفريقي بشرائحه كافةً باقتناء الكتب ونسخها، وقد حرص العلماء على شراء الكتب مهما

(١) حجازي علي طراوه: دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهدي الراشدين والأمويين، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، ص ٦، ٢٢ ؛ طرفة بنت عبد العزيز العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنيين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٥٥.

(٢) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي: ٦٢٨-٨٣٤هـ/ ١٢٣٠-١٤٣٠م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٢٢٣.

(٣) اهتم الجامع الأزهر بجميع الطلبة الوافدين عليه من مختلف أنحاء إفريقيا وخاصة السودان الغربي، واتضح ذلك الاهتمام في توفير سبل الراحة كافة في أروقته، كما خصص لهم مرتبات مالية لمساعدتهم على العيش والدراسة، وخاصة بعد أن ازدادت أعدادهم في مصر، وكانت ثمرة ذلك الاهتمام والرعاية أن كان لأولئك الطلبة دور كبير في توثيق أواصر العلاقات الطيبة بين بلاد مصر مع كثير من شعوب إفريقيا، ولذلك علت مكانة الأزهر وازدادت، (شوقي عطا الله الجمل: الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ٤٤، ٤٦).

(٤) أمين توفيق الطيبي: أثر الإسلام الحضاري في مالي وغانا في العصر الوسيط من ق ١٠-١٤م، بحث ضمن إصدار بعنوان (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ط ١ (د-ت) ، ص ١٢٦.

(٥) الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلامية مالي وسنغي ، دار المجمع العلمي، جده، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩، ص ١٨١.

(٦) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ٧١.

كانت أثمانها، وفي مختلف العلوم والآداب، من أجل تزويد مكتباتهم بها، وقد حرص بعضٌ منهم على جلب الكثير من نوادر الكتب وأهمها من بلاد الحجاز ومصر وجميع البلاد التي مروا بها.

فقد أنفق منسا موسى جزءاً من أمواله على شراء كتب الفقه المالكي، وزود بها بلاده، واطلع عليها الكثير من العلماء والسكان، وازدادوا فهماً ووعياً بالدين[١].

أدى كلّ ذلك إلى انتشار الكثير من المكتبات العامة والخاصة التي كان يقصدها العلماء والحكام والطلاب في سبيل البحث والمطالعة، ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة أسرة آل أقيت التي أثْرَت الثقافة الإسلامية والفكر العربي في إفريقيا، وقد اهتموا بتزويدها بالكثير من أمهات الكتب وفي شتى أنواع العلوم والموضوعات، وكان معظمها مِمَّا جلبه الحجاج معهم أثناء مرورهم ببلاد المشرق الإسلامي، أما بعضها الآخر فتم شراؤه من بعض التجار[٢]

يقول أحمد بابا التنبكتي: «وترك جدي (أحمد بن عمر بن أقيت) نحو سبعمائة مجلد»[٣].

وهناك أيضاً مكتبة ماسنة الإسلامية، وهي مكتبة خاصة للعالم عبد الرحمن السعدي، تميزت بتنوع كتبها التي جلبها من مختلف بلاد العالم الإسلامي، مثل الحجاز واليمن والشام والعراق والسودان والمغرب[٤].

٣- الآثار الحضارية:

تكمن أهمية الحج في أنه أتاح لملوك وسلاطين إفريقيا على اختلاف دولهم وفترات حكمهم فرصة للقاء والتعرف على حكام الدول الإسلامية المختلفة في مصر و الحجاز والشمال الإفريقي، فتمت بينهم مراسلات كثيرة تبادلوا فيها الكثير من الهدايا، كما اقتبسوا الكثير من النظم الحضارية لتلك الدول خاصة ما يختص بنظام الحكم والإدارة [٥].

كذلك الاستفادة من الخبراء والمبرزين فقد التقى منسا موسى في مكة بالشاعر الأندلسي إبراهيم الساحلي الطويجن، وجمعت بينهما صداقة متينة جعلته يترك بلده غرناطة في الأندلس، ويستقر بمالي، وعاش بقية حياته بها حتى توفي عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٨م [٦]، وكان للطويجن جهد كبير في ازدهار الحركة العمرانية في بلاد إفريقيا ، وبهر بلاد مالي ببراعته في الهندسة المعمارية الإسلامية ، فبنى قصراً للسلطان ، كما نسب إليه بناء مساجد في كل من مدينتي تنبكت وجاو بقيت لمدة ثلاثمائة سنة وكانت أساساتها من الآجر الذي لم يكن قد عرف بعد في بلاد السودان في تلك الفترة[٧].

والحقيقة إن حكام الممالك الإسلامية الإفريقية كانوا يستفيدون من رحلاتهم الحجية، فإلى جانب أداء هذه الفريضة كانوا يتصلون بالعلماء والفقهاء ويرحلون معهم إلى بلادهم، وهذا ما ساعد على رفع مستوى الناس الثقافي، و تطوير الدولة في جميع مرافقها وشؤونها.

ختاما:

إن هذه بعض الآثار العامة – وغيرها كثير– لرحلة الحج المباركة؛ إضافة إلى الآثار الفردية لكل حاج هي مصداق لقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ سورة الحج ■

(١) المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ص ١١٣.

(٢) محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٥٥٧.

(٣) التنبكتي: كفاية المحتاج في معرفة من ليس في الديباج، ج ١، ص ١٣٣.

(٤) محمد أمين الهلاسي: أهم المراكز الثقافية القديمة في مالي الحديثة، بحث غير منشور لنيل دبلوم فوق الجامعة، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٦١.

(٥) حبيب وداعة الحسناوي، الحج وأثره في دعم الصلات العربية الإفريقية، ص ٨٨.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج ٦ ، ص ٢٣٨؛ المقري، أحمد محمدالتلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مج ٢، ص ١٩٤.

(٧) عبدالرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية في ظل الإسلام، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ١٠٩.

الاستعمار البلجيكي في إفريقيا:
الأسباب والنتائج

أ. عبير شليغم
جامعة العفرون البليدة – الجزائر

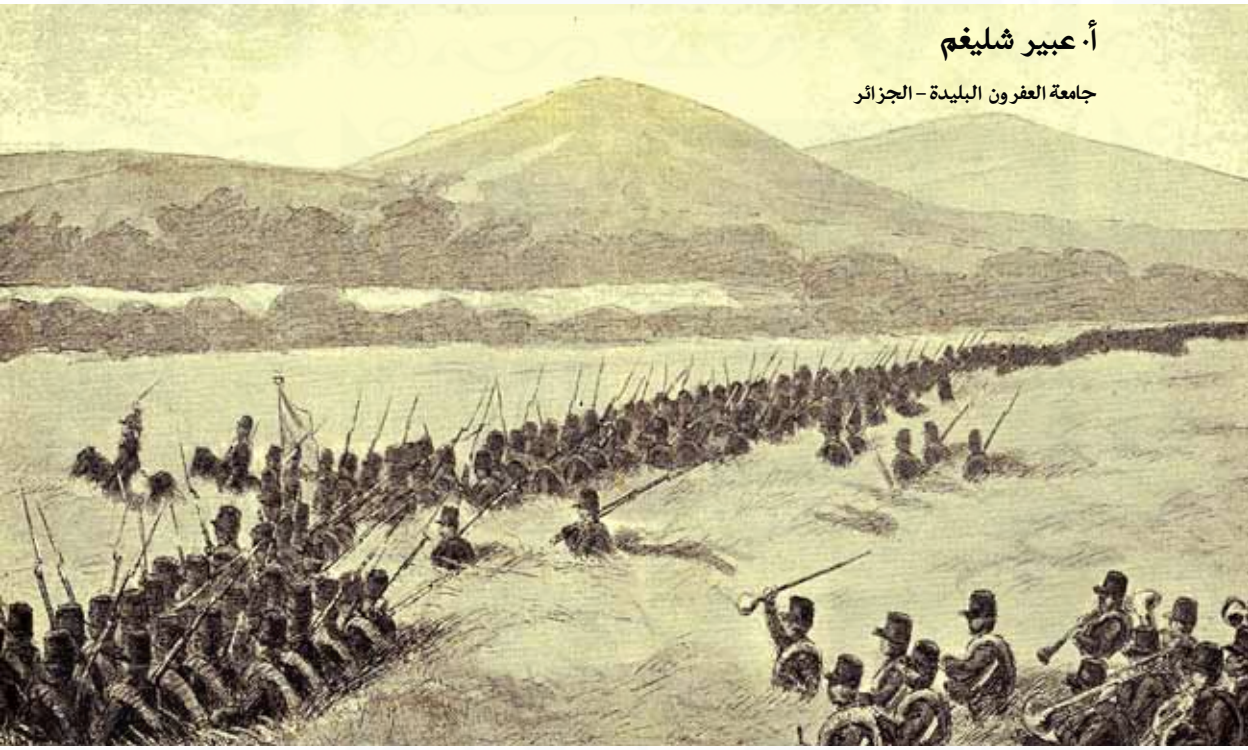

صوّرت القوى الاستعمارية (وعلى رأسها: بريطانيا، فرنسا، بلجيكا، ألمانيا) أنّ هدفها نشر الحضارة والمدنية في مناطق العالم المتخلف، ومنها إفريقيا، وهو ما أثبتت الشواهد والوقائع نقيضه؛ حيث برز العامل الاقتصادي بوصفه دافعاً رئيساً، فاستنزف الاستعمار مواردها الطبيعية، ووجّهها لخدمة الاقتصاد الأوروبي[1]، وكان ذلك هو السبب الحقيقي لتخلف القارة في شتّى المجالات، وأصبح الأوروبيون ينادون: «بأنّ العقل الأبيض والعضل الأسود يجب أن يتعاونا لخير الطرفين»[2]!

وعليه؛ تبنّى الاستعمار البلجيكي في إفريقيا الفكرة نفسها؛ إذْ كانت بدايته الشركة التي أسّسها الملك ليوبولد الثاني Leobold ملك بلجيكا، برأسمال مليون فرنك، لاستغلال

(١) حمدي عبد الرحمن: قضايا في النظم السياسية الإفريقية، (القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقي، ١٩٩٨م)، ص (٥١ – ٥٥).

(٢) جمال حمدان: استراتيجية الاستعمار والتحرير، (القاهرة: ١٩٦٨م)، ص (١٤٧، ١٤٨).

الكونغو، واعتبارها من أملاكه الشخصية، ثم أصبحت مستعمرة بلجيكية حكومية، حتى نالت استقلالها سنة ١٩٦٠م.

في ضوء ما تقدم، وبناء عليه تصاغ الإشكالية على النحو الآتي: ما حقيقة الاستعمار البلجيكي ودوافعه في إفريقيا؟ وفي محاولة الإجابة عن الإشكالية السابقة سيتم تناول الموضوع من خلال المطالب الرئيسة الآتية:

المطلب الأول: الاستعمار البلجيكي في إفريقيا دوافعه وتطوره:

احتل النموذج البلجيكي في إفريقيا موقعاً فريداً في سجل التنافس الأوروبي على المستعمرات، ومرد ذلك لجهود الملك ليوبولد الثاني، في وضع المقدمات الأساسية البلجيكية نحو الكونغو، فضلاً عن الرغبة في الامتلاك والتنافس مع الدول الأوروبية حول الفريسة الإفريقية[١].

أولاً: نشاط الملك ليوبولد المتعلق بإفريقيا:

قام الملك ليوبولد[٢] عام ١٨٧٦م بدعوة

يُعدّ الاستعمار البلجيكي من أشدّ أنواع الاستعمار فظاعةً وتجرّداً عن معاني الإنسانية والقيم الأخلاقية بممارساته ضدّ الشعب الكونغولي

جغرافي العالم والمهتمين بالدراسات الإفريقية إلى عقد مؤتمرٍ دوليٍّ في بروكسل، حمل اسم: (المؤتمر الجغرافي العالمي)، بهدف البحث في الوسائل الكفيلة لكشف الأقاليم الواقعة في قلب القارة الإفريقية، وزعم نشر الحضارة فيها، والعمل على وضع حدٍّ لتجارة الرقيق التي كانت ولا تزال منتشرة – وقتها – على نطاقٍ واسعٍ في تلك الجهات، والتمهيد لاستثمار مواردها.

وقد أسفر المؤتمر عن تأليف ما سُمّي: (الجمعية الدولية لكشف إفريقيا وإدخال الحضارة فيها) International Association for Exploration and Civilising of Africa، وتقرّر أن تنشأ في كلّ دولةٍ شعبة محلية تابعة لهذه الهيئة، وبادرت بلجيكا في نوفمبر ١٨٧٦م بتكوين (الشعبة البلجيكية للجمعية)، التي بدأت ممارسة نشاطها بإرسال عدة بعثاتٍ للعمل على وضع يدها على نقاط في القارة الإفريقية، وتأسيس محطاتٍ فيها باسم الجمعية[٣].

ويأتي الاهتمام البلجيكي بالكونغو خاصّة

(١) رياض زاهر: استعمار إفريقية، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م)، ص ١٤٣.

(٢) زاهر رياض: استعمار إفريقية، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م)، ص ١٤٣. اعتلى الملك ليوبولد عرش بلاده، وهو في الثلاثين من عمره وكان طموحاً يحب الجغرافيا والرحلات، ويتوق إلى أن يخلّد ذكراه ويرفع من شأن بلاده، إلا أنّ بلجيكا كانت بلاداً فقيرة، لا تملك جيشاً ولا أسطولاً قوياً؛ يساعدانه على التنافس الداخلي؛ إذْ لا بد أن يصطدم بالقوى الأوروبية الأخرى إذا فكّر في أي مشروع توسعيٍّ داخل أوروبا؛ ففكّر أولاً في آسيا، ثم غيّر وجهته نحو إفريقيا، متأثراً بكتابات أحد موظفي وزارة الخارجية، وهو المستر بانتج Banning الذي طرح في مقالاته ضرورة الاهتمام بالقارة الإفريقية.

(٣) شوقي عطا الله الجمل: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، (الرياض: دار الزهراء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، ص ١٣٥.

لكونها أكبر وأغنى دولة إفريقية حرّة، يبلغ عدد سكانها ما يقرب من ١٤ مليوناً، وقد أصبحت أهمّ مناطق إفريقيا جنوبي الصحراء؛ بسبب الاكتشافات المعدنية الواسعة التي تبلغ نسبتها للإنتاج العالمي ما يأتي: الماس الصناعي ٧٥٪، والكوبالت ٦٩٪، والماس الطبيعي ١٥٪، والبلاتين ٩٪، والنحاس ٨٪، والمنجنيز ٥٪، والزنك ٣٪، والذهب ٢٪، وأفضل هذه المعادن من حيث القيمة هو النحاس ومعه الزنك، حيث يجدان سوقاً رائجة في الولايات المتحدة وألمانيا وكندا[١].

ثانياً: دور المستكشف ستانلي في إفريقيا:

استعان الملك ليوبولد بأحد المغامرين المشهورين، وهو الإنجليزي «هنري مورتون ستانلي» Henry Stanty الذي سبق له أن قام برحلة استكشافية مشهورة ما بين أعوام: (١٨٧٣م – ١٨٧٧م)[٢]، واقترح عليه التعاون في تنفيذ مشروعه في الكونغو، ثم عقد مؤتمراً دوليّاً آخر في بروكسل بشأن مشروعه، وذلك بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٨٧٨م، حضره ممثلون عن فرنسا، وهولندا فضلاً عن ستانلي.

انتهى المؤتمر إلى تأليف: (لجنة دراسة الكونغو الأعلى) للسعي لعقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين في الكونغو، ثم تحوّل اسمها إلى: (جمعية الكونغو الدولية) Intrational[٣] Association of The Congo ، وهي مستقلة عن: (جمعية الكشف عن إفريقيا)، كما أنّ طبيعة الأهداف المحددة ضمن برامجها تختلف عن أهداف (جمعية الكشف في إفريقيا)، حيث أكد مؤسسو الجمعية ضرورة الاتصال المباشر بالزعامات القبلية في المنطقة، ومن ثمّ تحديد الأطر الأساسية لاستغلال مواردها، ويمكن القول بأنّ (جمعية الكونغو الدولية) اتسمت بالطابع الشمولي قياساً بـ (جمعية الكشف عن إفريقيا)[٤].

لقد برزت على الساحة البلجيكية في تلك الفترة معطياتٌ كثيرة، فرضت على الملك ليوبولد الثاني تمويل (جمعية الكونغو الدولية) من ماله الخاص، وقدره أربعون ألف جنيه آنذاك[٥].

من جانب آخر؛ مثّلت جهود (جمعية الكونغو) بداية مرحلة الاستعمار البلجيكي، والتي تُعدّ خطوة بالغة الأهمية لمطامع ليوبولد الثاني الشخصية؛ إذْ أصبح هو رئيساً لهذه الجمعية؛ ما أضفي عليها بذلك طابعاً بلجيكياً خالصاً.

كلّفت الجمعية ستانلي بالذهاب في رحلة استكشافية لبحث طرق الوصول إلى الكونغو عام ١٨٧٨م، ما أتاح له الفرصة للتوسع شرقاً على حساب العرب الذين كانوا أصحاب النفوذ في هذه المنطقة، وتمكّن من الوصول إلى الكونغو في آب / أغسطس من عام ١٨٧٩م، وقام بتأسيس أول محطة فيها باسم الجمعية في عام ١٨٨٠م، وتتابع نجاحه بإنشاء اثنتين وعشرين محطة تجارية على نهر الكونغو وفروعه[٦]، وأيضاً عقد عدة اتفاقات مع رؤساء القبائل، كما قام بتشييد بعض المدن هناك،

(١) المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

(٢) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٥.

(٣) رياض زاهر، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٤.

(٤) دياب أحمد ابراهيم: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، (الرياض، ١٩٨٩م)، ص ١٢٤.

(٥) رياض زاهر، المرجع نفسه.

(٦) Slade Ruth, Belgain Congo, London, 1960, p .111

مثل: مدينة فيفي veve التي كانت أول عاصمة للإقليم، وتوّج نجاحه بالتوغل على طول مجرى نهر الكونغو، وتأسيس مدينة جديدة أطلق عليها اسم: (ليوبولدفيل leopoidville)، ومن ثمّ المدينة الثانية في الإقليم الآخر التي عُرفت باسم: (ستانلي فيل Stanlyville) تكريماً لذلك الشخص[١]، كلّ تلك الإجراءات أوجدت نوعاً من الاطمئنان في نفوس زعماء القبائل الموجودة في البلاد؛ إذ أكدت لهم أنّ هذا مجرد نشاطٍ تجاريٍّ بحت[٢].

إلا أنه بعد هذا النجاح الذي حقّقه ستانلي في مهمّته سارع الملك ليوبولد الثاني إلى كشف النقاب عن أغراض الجمعية الحقيقية، بتجريد الجمعية من الصفة الدولية لتصبح مشروعاً بلجيكياً ملكياً اقتصادياً بحتاً، وحين ظهر أنّ إقليم «كاتنجا» غنيٌّ بالنحاس أسرع ليوبولد لعقد اتفاقيات مع زعماء القبائل في هذه الجهات للحصول على امتيازات في هذا الإقليم، وهكذا تكوّنت دولة الكونغو، وأصبحت تضم مجموعات متعددة[٣].

ثالثاً: مؤتمر برلين وإقرار الاستعمار البلجيكي للكنغو:

وقفت بعض الدول الأوروبية في وجه مشاريع بلجيكا في الكونغو، مثل بريطانيا والبرتغال، وفي خضم التسابق الاستعماري على هذه البلاد؛ دعا الزعيم الألماني بسمارك لعقد مؤتمرٍ للدول الأوروبية في برلين لحلّ مشكلاتها في إفريقيا، بين ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٨٨٤م حتى ٣٠ شباط / فبراير ١٨٨٥م؛ لتنظيم عملية السيطرة على القارة الإفريقية، ويعتبر هذا المؤتمر خاتمة المطاف للصراع الدولي الأوروبي على إفريقيا، وثمرة من ثمار الدبلوماسية الأوروبية في تكالبها على السيطرة على قارة إفريقيا[٤] (خريطة رقم ١).

في هذا المؤتمر؛ تمكّن الملك ليوبولد الثاني من كسب طرفٍ دوليٍّ جديد لصالحه، وهو الولايات المتحدة الأمريكية، التي اعترفت بالجمعية الدولية وأملاكها في الكونغو؛ مقابل أن يترك باب الكونغو مفتوحاً أمام التجارة الأمريكية، منذ ذلك التاريخ بدأت المصالح الأمريكية في البلاد، وتماشياً مع تلك السياسة أخذ الملك ليوبولد الثاني بالسعي نحو كسب تأييد باقي الدول الأوروبية واعترافها بحقوق الجمعية.

الخريطة رقم (١): الاستعمار الأوروبي في إفريقيا بعد مؤتمر برلين ١٨٨٥م.

المصدر: فيصل محمد موسي، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (بنغازي: منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٧)، ص ٢٠٣.

(١) رياض زاهر، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٣.

(٢) Salde, op. cit , p 123.

(٣) شوقي عطا الله الجمل: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، (الرياض: دار الزهراء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، ص ١٥٥.

(٤) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٢.

المطلب الثاني: الكونغو تحت وطأة الاستعمار البلجيكي: طبيعة الاستعمار ومراحل تطوره:

أولاً: إدارة جمعية الكونغو الدولية:

تمّ في البيان الختامي لمؤتمر برلين الاتفاق على أنّ (الكونغو) دولة إفريقية مستقلة ذات سيادة، تقوم على إدارتها (جمعية الكونغو الدولية) التي يرأسها الملك ليوبولد، ولها عَلَمٌ خاصٌّ، هو قطعة من القماش الأزرق في وسطها نجمة ذهبية[١]، وقد أقرّ البرلمان البلجيكي الوضع قانونياً في أبريل ١٨٨٥م، لكنه تحفّظ حول طبيعة العلاقة مع الكونغو، وعدّها جزءاً تابعاً لممتلكات الملك الشخصية[٢].

ووفقاً لتلك التحولات؛ استمر ملك بلجيكا ليوبولد يستثمر موارد الكونغو لحسابه الخاص مدّة زادت عن العشرين عاماً؛ وذلك من خلال إنشائه مشروعاً اقتصادياً ضخماً، نفّذ من خلاله طروحاته التجارية والصناعية، فأسّس عام ١٨٨٦م شركة الكونغو لاستغلال الثروات المعدنية، ليصبح بذلك مشروعاً بلجيكياً في قلب إفريقيا، ونواة لمشاريع احتكارية أخرى[٣]، علاوة على ذلك؛ فقد صدر قرارٌ سريٌّ في سنة ١٨٩١م يحفظ للحكومة حقّ احتكار العاج والمطاط في كلّ الأراضي الخالية بمقتضى قانون سنة ١٨٨٥م، وصدر منشورٌ يفسّر هذا القرار بتكليف موظفي الشركة بالإشراف على جمع المطاط، وإجبار الأهالي على بيع ما يحصلون عليه إلى الشركة.

إزاء هذه السياسات الجائرة ارتفعت الأصوات بمختلف التهم ضدّ حكومة الكونغو، خصوصاً أنّ شركة الكونغو لم تكن تتورّع عن ارتكاب كلّ أنواع القسوة مع الأهالي، فضلاً عن ارتكاب أبشع الجرائم والمخالفات للقانون الدولي في الكونغو بواسطة ممثلي الملك[٤].

وعلى أساس القوانين السالفة الذكر أصبح كلّ من يوجد عنده أية كمية من المطاط أو العاج يعتبر سارقاً وتوقع عليه أقصى العقوبات، وكان على ضباط البوليس أن يراقبوا العمال الذين يُجبرون على العمل في جمع المطاط والعاج، وحدّد لكلّ عاملٍ قَدَرٍ معيّن يقدّمه يومياً، ومَن يعجز عن ذلك لأيِّ سببٍ تعرّض لأشدّ أنواع العقاب، وكان القتل بالرصاص وقطع الأيدي من العقوبات التي تُمارس بكلّ بساطة ضدّ المواطنين، كما استخدمت وسائل الإرهاب لإجبار رؤساء القبائل في الكونغو على تقديم العمّال اللازمين للعمل، وتنفيذ ما يُؤمرون به، وكان عدم تحقيق أرباح مقبولة لرأس المال الذي يستغله البلاط الملكي البلجيكي في الاستثمار في الكونغو معناه المزيد من أعمال القسوة والوحشية والسّخرة.

عمدت سلطات (دولة الكونغو) إلى إخفاء الحقيقة عن كثيرٍ من الشخصيات والبعثات الأجنبية التي لم يكن يُسمح لها إلا بزيارة أماكن معيّنة في الكونغو؛ حيث يشاهدون مظاهر المدنية الأوروبية متمثلة في المباني والمدارس والمستشفيات وغيرها، وينقلون صورة غير صحيحة عن الأوضاع في الكونغو.

ظلّ الوضع كذلك حتى كُشِف القناع عن حقيقة ما كان يجري؛ حيث أثيرت المسألة أمام مجلس العموم البريطاني في سنة ١٩٠٣م على إثر تقريرٍ كتبه القنصل البريطاني عمّا يجري في

(١) رياض زاهر، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٥.

(٢) ووديس جاك، ترجمة/ أحمد فؤاد بلبع: جذور الثورة الإفريقية، (القاهرة، ١٩٧١م)، ص ٣٢١.

(٣) ووديس، المرجع نفسه، ص ٣٦١.

(٤) رياض زاهر، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٧.

الكونغو من أعمال، وطالب بوجوب التدخل لوقف هذه الأعمال المنافية لقرارات مؤتمر برلين، كما أثيرت المسألة أمام البرلمان البلجيكي؛ فكان أن أصدر الملك قراراً بتأليف لجنة تحقيق في أكتوبر ١٩٠٤م، فكتبت تقريرهـــا في ١٩٠٥م، واعترفت فيه بكلّ هذه المســـاوئ[١]، وأُجبر الملك ليوبولد على التنازل لحكومته عن إدارة الكونغو[٢].

ثانياً: الكونغو مستعمرة بلجيكية:

نتيجة لما تقدّم قام البرلمان البلجيكي سنة ١٩٠٨م بنزع الخصوصية الشـــخصية التي كان يتعامل بها الملك مع المســـتعمرة، لتُعرف بعد ذلك باســـم: (الكونغو البلجيكي)[٣]، والموضحة في (الخريطة رقم ٢).

الخريطة رقم (٢): مستعمرة الكونغو البلجيكي

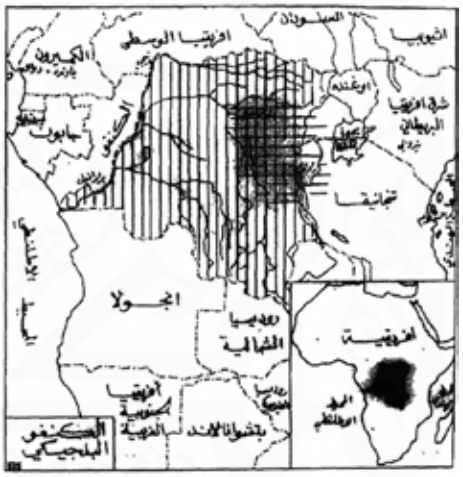

المصدر: شوقي عطا الله الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، (الرياض: دار الزهراء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، ص ١٥٤.

ويبدو أنّ طبيعة الحكم البلجيكي لم يكن لها أطرٌ سياسية – عسكرية مستقرة وواضحة، كما هو حال المســـتعمرات البريطانية والفرنسية، فقد كانت هناك ثلاثُ قوى رئيسة يكمل بعضها بعضـــاً، اعتمد عليهـــا النظـــام البلجيكي في الكونغو، وهي:

أ – الإدارة البلجيكية:

ممثلة بالحاكم العام، وهو مسؤول أمام وزير المســـتعمرات الذي يحاسبه البرلمان، وللحاكم العام مطلق السلطات، وهو يُعيّن بمرسوم ملكيٍّ مع وكيل يعيّن بالطريقة نفســـها، ومن الطّبيعي أن يكون كلاهما بلجيكيا، وقد كان للحاكم العام مطلق السلطات[٤].

وفي عام ١٩١٠م؛ أخذت الأوضاع في الكونغو تزداد تعقيداً، فوجد المسؤولون البلجيك ضرورة إدخال قـــوة زعماء القبائـــل لتحريك الأحداث لصالح البلجيـــك، باعتبارهم مفتاحـــاً للتوغل الاقتصـــادي في عمق الكونغو، ووســـيلة لتهيئة أبناء القبائل في أعماق المستعمرة.

ب – الكنيسة:

لقد ألقـــت بلجيكا التعليم كلّـــه على عاتق الجمعيات التبشـــيرية، وأصبـــح دور الحكومة البلجيكية مجرّد التنســـيق بين عمل الجمعيات الكاثوليكيـــة والجمعيات البروتســـتانتية التي تعمل جنباً إلـــى جنبٍ في الميـــدان التعليمي، وفي سنة ١٩٣٨م بلغ عدد المدارس في الكونغو ٢٤ مدرســـة للأوروبيين و ٧ فقط للإفريقيين، وارتفـــع العدد ســـنة ١٩٠٤م إلى ٣١ مدرســـة كاثوليكية للأوروبيين، و ١٣ مدرسة علمانية، أما نصيب الأفارقة فهو ١٥ مدرســـة ابتدائية كلها للمبشّـــرين، ولم يزد عدد المدارس الثانوية عن

(١) رياض زاهر، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٨.

(٢) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٩.

(٣) عبدالوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م، ط ٢، الجزء ٣)، ص ١٤.

(٤) Slade, op. cit, P 203.

خمس مدارس فقط[١].

جـ - المؤسسات الاقتصادية الكبرى:

تُعدّ السلطة الموجّهة للسياسة البلجيكية في البلاد، وهي عبارة عن هيئاتٍ حكوميةٍ تسيطر عليها السلطات، وتعمل على تمكينها لاستغلال موارد البلاد، ومن أهمّها خمس شركات كبرى تتحكم في نحو ٧٠٪ من اقتصاديات البلاد، مثّلت حينها تركيزاً اقتصادياً هائلاً ليس له نظير في التاريخ الحديث، وهذه الشركات هي[٢]:

١ - شركة بروكسل للتمويل والصناعة «بروميتنا»: وهي تتحكم في بنك بروكسل وعدة مؤسسات صناعية.

٢ - شركة الكونغو للتعدين والتجارة: ولها أملاكٌ زراعيةٌ شاسعة.

٣ - شركة يونيلفر الصناعية: تمثّلها في الكونغو شركة هويلفير.

٤ - بنك أمبان: الذي يسيطر على كثيرٍ من وسائل النقل.

٥ - الشركة البلجيكية العامّة: وهي أعظم هذه المؤسسات جميعاً؛ إذْ تضم أكبر المجموعات الائتلافية في البلاد، وتضم أعضاء العائلة المالكة، والحكومة، والطبقة الرأسمالية، وقد بدأت تلك الشركة بممارسة نشاطها الفعلي على اقتصاديات الكونغو منذ عام ١٩٢٨م.

المطلب الثالث: الحركة الوطنية واستقلال الكونغو:

حاولت بلجيكا أن تواجه مشكلة ظهور التيارات التحررية بإصدار بعض التشريعات عام ١٩٥٧م، وذلك بإنشاء مجالس المديريات والمجلس الاستشاري العام للكونغو، إلا أنّ هذه المجالس وقلّة عدد الوطنيين فيها لم تكن البديل السليم للنظام التشريعي الذي يطالب به الكونغوليون، بالإضافة إلى المطالب الأخرى الخاصّة بالأجور والمساواة في الحقوق لكافة المواطنين دون تمييز بسبب اللون، وكذلك الإصلاحات الاجتماعية التي أخذ بعض الكونغوليين يشعرون أن مجتمعهم في مسيس الحاجة إليها، ولم يلبث أن ظهرت عدة أحزاب وطنية، أهمها ما يأتي[٣]:

١- تحالف الباكانجو الأباكو Abako:

تشكل برئاسة جوزيف كازافوبو Joseph Kosavubu، ساهم الأباكو في الحياة السياسية بشكلٍ فاعلٍ ومؤثر؛ إذ طرح في عام ١٩٥٦م مطلب إعطاء الكونغو الاستقلال وجلاء القوات البلجيكية عن البلاد، وقد حصل الأباكو على تمثيلٍ واسعٍ في الانتخابات البلدية سنة ١٩٥٧م، وهو ما دفعه إلى الإصرار على المطالبة بالاستقلال.

٢- حزب الاتحاد الإفريقي Party SoldairrAfricain:

ويرأسه أنتوني جيزنكا Antonie Gigenage، وتشكّل هذا الحزب في نيسان عام ١٩٥٩م في مقاطعة ليوبولدفيل، وقد كان أكبر نفوذ لهذا الحزب في منطقتي كفانفو و كفليو[٤].

٣- حزب التقدم الوطني Party National Progress:

ويرأسه بويل بوليا Paul Boly، وقد تشكّل في تشرين الثاني من عام ١٩٥٩م، وكان نشاطه في المنطقة الاستوائية، وقد انضم لهذا

(١) Lumumba, Part rice, Conge my countre - 1961-1925 .London 1963, p 113

(٢) رياض زاهر، نفس المرجع، ص (١٣٠ - ١٣١).

(٣) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٣.

(٤) Legum, Colin, Africa a hand book , London, 1969, P15.

الحزب الكثير من الأحزاب الصغيرة التي كانت تعمل على انفراد حتى ذلك الحين، ويذكر أنّ المستعمرين هم الذين دعوا إلى تأليف هذا الحزب خدمة لمصالحهم الاستعمارية[١].

٤- حزب الحركة القومية الكونغولية Mouvement National Congres:

تشكّل هذا الحزب في تشرين الأول من عام ١٩٥٨م، وبالرغم من أنه كان يستند إلى قبيلة البانجالا الواقعة في القسم الشرقي من البلاد، إلا أنه أكد منذ قيامه على ضرورة تكوين دولة مركزية مستقلة وقوية على أرض الكونغو البلجيكي.

تنامى دور الحركة الوطنية الكونغولية إثر توقف نشاط الأباكو، وعُرفت الحركة بحسّها الوطني الذي لا يقوم على أساس قبلي، وانتخب الحزب باتريس لومومبا PatriceLumumba زعيماً له، ويُرمز لهذا الحزب بالرمز M.N.C، وما لبثت أن انقسمت الحركة إلى جناح يميني معتدل بزعامة الثلاثي: (كالوندجي، إيليو، أدولا)، وجناح يساري بزعامة لومومبا الذي سُجن في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٩م[٢].

ونتيجة لاندلاع الاضطرابات في كلّ أنحاء الكونغو، والتي استمرت إلى نهاية سنة ١٩٥٩م، اضطرت بلجيكا إلى الاجتماع في بروكسل، في ٢٠ يناير / كانون الثاني ١٩٦٠م، مع رموز الحركة الوطنية التي مثّلها كلٌّ من: الأباكو والحركة الوطنية الكونغولية، فضلاً عن بعض قادة الأحزاب الأخرى، وتمّ الاتفاق على منح الكونغو الاستقلال يوم ٣٠ يونيو / حزيران ١٩٦٠م.

ونتيجة لذلك؛ تمّ إجراء انتخابات عامّة

الدولة الإفريقية هي نتاجٌ استعماريّ، أي أنّ أساسها مصطنع، ولا تعبّر عن واقعٍ اجتماعي، واقتصادي، وسياسي، وفقاً لمفهوم الدولة القومية

لتشكيل أول حكومة وطنية بعد الاستقلال، وافق البرلمان البلجيكي عليها، تولى فيها لومومبا رئاسة الحكومة، وصار جوزف كازافوبو رئيساً للكونغو، إلا أنّ بلجيكا قامت - عن طريق المكر والخيانة - بعزل لومومبا في سبتمبر عام ١٩٦٠م واعتقاله، ثم نُقل إلى كاتنجا، وحلّ محلّه عميل بلجيكا «تشومبي»، واغتيل لومومبا في ١٧ يناير ١٩٦١م، بالرغم من ذلك؛ استطاعت الكونغو أن تحافظ على استقلالها، وأن تصبح عضواً في منظمة الوحدة الإفريقية منذ قيامها في عام ١٩٦٣م، كما تولى السلطة بعد ذلك الرئيس موبوتو سيسيكو بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥م[٣].

الأسباب التي عجلت باستقلال الكونغو:

ساعدت بعض الأحداث على تسريع الاستقلال في المستعمرة البلجيكية الكونغو، نوجزها فيما يأتي[٤]:

العوامل الخارجية، منها:

أ - تراجع القوى الاستعمارية: بسبب ما تعرضت له أثناء الحرب العالمية الثانية، ما

(١) وديس، مرجع سبق ذكره، ص ٤٦٧.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

(٣) رياض زاهر، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٤.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٦٤.

أكسب سكان المستعمرات جرأة على المطالبة بحقوقهم.

ب – مناهضة العملاقين للاستعمار: ساند الاتحاد السوفييتي حركات التحرر الوطني من منطلق صراعه مع المعسكر الغربي الإمبريالي أثناء الحرب الباردة، كما دعم تكوين حركات شيوعية في عدة بلدان آسيوية (فيتنام) وإفريقيا (أنغولا).

بالإضافة لذلك؛ فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية في أوت / أغسطس ١٩٤١م مناهضتها للاستعمار وحقّ الشعوب في تقرير مصيرها، من خلال توقيع «ميثاق الأطلسي» بين الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت وونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا.

ت – مناهضة المنظمات الدولية والإقليمية للاستعمار: برزت في ذلك العديد من المنظمات الدولية وحتى الإقليمية، منها: منظمة الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، ومنظمة الوحدة الإفريقية.

ث – التضامن الإفريقي الآسيوي: انطلقت فكرة التضامن الآسيوي – الإفريقي Asian-African من مؤتمر باندونغ Bandung Conference (مدينة بجزيرة جاوة الإندونيسية) الذي انعقد في ١٨ أبريل ١٩٥٥م، إذ أقرّ المؤتمر مبادئ حقوق الإنسان، كما أكد حقّ الشعوب في تقرير مصيرها، ومساندة الشعوب المضطهدة .

ج – موجة استقلال المستعمرات في آسيا وإفريقيا: اتبعت القوى الاستعمارية سياسات مختلفة إزاء القضية الاستعمارية، فتنوعت تبعاً لذلك حركات التحرر الوطني؛ بين حركات تستمد مقوماتها من الفكر الليبرالي الغربي، وأخرى معادية للاستعمار والنظام الرأسمالي، تزعمتها أحزابٌ اشتراكية أو شيوعية.

فضلاً عن ذلك؛ فقد تنوعت طرق تحقيق الاستقلال، بين المقاومة المسلحة، والنضال السياسي.

العوامل الداخلية، وأبرزها:

أ – تعمّق أزمة المجتمعات الخاضعة للاستعمار: استمر ملك بلجيكا ليوبولد يستثمر موارد الكونغو لحسابه الخاص مدة زادت عن العشرين عاماً، حيث قام بعقد اتفاقيات مع زعماء القبائل في إقليم «كاتنجا» الغني بالنحاس للحصول على امتيازات في هذا الإقليم[1]، مما نتج عنه تفاوتٌ اجتماعيٌّ كبيرٌ في الأرياف، بسبب تجمع الملكيات بين أيدي كبار الملاك من الأهالي، أو من المستعمرين والشركات الاستعمارية، تفقير الفلاحين الصغار، وتفاقم ظاهرة النزوح، وكذا تردي أوضاع الطبقة العاملة، بالإضافة لضعف الأجور، وسوء التغذية، وانتشار البطالة الذي تزامن مع الانفجار الديموغرافي الناجم عن تراجع الوفيات بفضل القضاء على بعض الأوبئة، مما أدى لتصاعد الغضب الشعبي ضد الاستعمار.

ب – مشاركة المستعمرات في المجهود الحربي لفائدة الدول الاستعمارية: قامت المستعمرات بدورٍ كبيرٍ في المجهود الحربي لفائدة الدول الاستعمارية، إلا أنّ الاستعمار تنكّر لهذه التضحيات، فرفض منح الشعوب المستعمرة الحرية، فأدى ذلك إلى تنشيط الحسّ المعادي للاستعمار.

ت – تنامي الوعي الوطني في المستعمرات أثناء الحرب العالمية: بعد اقتصار الحركات الوطنية على برامج الإصلاح أو الحكم الذاتي لمدة طويلة؛ فإنّ تضافر القوى الوطنية، من أحزاب ونقابات ومنظمات، سارع في تشكيل

(١) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سبق ذكره، ص 155.

جبهـــات وطنية من أجل تحريـــر البلاد، وبروز قيادات وطنية، مرد ذلك لانتشار التعليم نسبياً، برغم التضييقات الاســـتعمارية على بروز نخب وطنية وإطارات مثقفة.

ث - سياســـة الجنـــرال ديغـــول تجـــاه المســـتعمرات، وترحيبـــه برغبة الشـــعوب في الاســـتقلال: ومن ذلك ما جاء في خطابه الذي ألقاه في ٢٤ آب / أغسطس في صيف ١٩٥٨م، أثناء زيارته لبرازافيـــل، والذي قال فيه: «يمكن لكلّ مَن يرغب في الاستقلال أن يناله فوراً، وفي الوقت الذي يريده»، وبعد يومين فقط من زيارة ديغول سارع الكونغوليون بتقديم عريضة لوضع برنامج ســـريع للإصلاح، من خلال لجنة تشكّل في بروكسل، يشترك الكونغوليون فيها.

ج - مؤتمـــر الجامعـــة الإفريقيـــة في أكرا بتاريخ ٢٥ نيســـان ١٩٥٨م: حضـــره الكثير من زعماء الأحزاب السياســـية والنقابات العمالية من شـــتى أنحـــاء القارة، وقد حضـــر باتريس لومومبا المؤتمر ممثلاً عن الحركة القومية في الكونغو، وقد عُدّ ذلك أول انتصار لتلك الحركة؛ وتعرّف لومومبا من خلاله على تجارب الزعماء والقـــادة الأفارقة الذين التقاهـــم في المؤتمر، وتبنّى الكثير من وجهات نظرهم ومقرراتهم التي طالبت بالاستقلال.

عاد لومومبا إلى الكونغـــو وهو مفعمٌ بروح الثـــورة والقتـــال؛ بدلاً مـــن الحلول الســـلمية والتفاوضية الســـابقة، وعمد لومومبا إلى تعبئة الجماهيـــر في صفـــوف الحزب، وتـــمّ تنظيم مظاهـــرة ضمّت عشـــرة آلاف شـــخص، نادت بالاســـتقلال، وبذلك دخلت مجريات الأحزاب السياســـية في انعطافـــةٍ بارزةٍ حـــول طبيعة المواجهة مع الاستعمار البلجيكي.

ح - اضطرابـــات كانـــون الثانـــي / يناير ١٩٥٩م: فقد شهدت الكونغو في ٤ كانون الثاني ١٩٥٩م اضطرابات شديدة، خصوصاً في منطقة ليوبولدفيل، كان السبب المباشر لها هو اجتماع فريقٍ من حزب الأباكو لتحديد أهداف الحزب، وكذلك للتحدث مع الشـــعب عن مقررات مؤتمر أكرا، فبادرت السلطات البلجيكية ردّاً على ذلك إلى حلّ حركة الأباكو واعتقال قادتها، كما وعد

ملك بلجيكا بودوان، في ١٣ كانون الثاني / يناير ١٩٥٩م، على إثـر تفاقم الأحداث بمنح الكونغو استقلالها.[١]

خ – مؤتمـر المائدة المسـتديرة البلجيكية الكونغوليـة: أمام النقمة الشـعبية الشـاملة اضطـرت بلجيكا إلـى دعوة زعمـاء الحركة الوطنية في الكونغو لعقد مؤتمر في بروكسـل؛ للاتفاق على إعلان الاسـتقلال في البلاد، وقد حدّد موعده في ٢٠ كانون الثاني / يناير ١٩٦٠م، وقد خرج المؤتمر بقراراتٍ، منها منح الاستقلال لدولة الكونغو يوم ٣٠ يونيو ١٩٦٠م.

المطلب الرابع: المشكلات التي خلّفها الاستعمار البلجيكي:

بدأت متاعب الكونغو عشية الاستقلال منذ أن أقيم فيها حفل بمناسـبة الاستقلال، حضره الملك البلجيكي بودوان، وألقى خطاباً عبّر فيه عن فرحه بحصـول الكونغو على الاسـتقلال وتشـكيل حكومـة وطنية، واعتبـر ذلك نتيجة صداقتهـا مع بلجيكا، وحذّر من الانقسـامات العشـائرية، وقلة التجربة التي قـد تؤدي إلى عـودة النفوذ الأجنبي لها، إلا أنّ جواب لومومبا على خطاب الملـك البلجيكي جـاء ردّاً قوياً؛ حيث وصف الاستعمار بأنه: «عبودية الذلّة التي فُرضت علينا بالقوة»، كما اسـتهلّ كلامه أيضاً بقائمة عنيفة ومفصلة لشـرور الحكم البلجيكي التي مورست في الكونغو، ما جعل بلجيكا عازمة على الإطاحة بلومومبا في أقرب فرصة سانحة، كما أبدى كازافوبو كامل الاستعداد لمساعدتها في مثل تلك المهمة[٢].

بناءً على ذلك؛ أخذت العلاقات بين جمهورية الكونغولية الفتية وحكومة بلجيكا تتوتر، وعمّت حالـة الفوضى والصدامات بيـن القبائل، كما حدثت صدامات أخرى بين الكونغوليين والقوات البلجيكية، وتمخضت بعد ذلك تطورات سـيئة لـم تكن في صالح البـلاد، أو في صالح حركة التحـرّر الإفريقية، وفيما يلي نسـتعرض أبرز تلك الاضطرابات والمشـكلات التي حدثت في البلاد:

أولاً: مشكلة انفصال كاتانغا:

بعد إعلان الاستقلال بـ ٥ أيام مباشرة أعلن موريس تشومبي – بدعم من بلجيكا – استقلال إقليم (كاتنغـا)، بتاريخ ١١ تموز / يوليو، وعقد مع بلجيكا شراكة اقتصادية، كما أرسلت بلجيكا قواتها لحماية الإقليم المنفصـل، و (كاتانغا): هـي مقرّ الاسـتثمارات البلجيكيـة الضخمة، ومصدر قرابة ٦٠٪ من ثـورة البلاد، فهي بلاد غنيـة بالنحـاس واليورانيوم، اعتبـر لومومبا بلجيكا مسـؤولة عن هذا الانفصال، فقام بقطع العلاقات الدبلوماسية معها في أواسط تموز / يوليو.

استمرت سلسلة الانفصالات في الكونغو بعد استقلالها، لتعلن مقاطعة (كازائي) بقيادة ألبير كالونغي اسـتقلالها عن الكونغو بعد أسبوعين من انفصـال إقليـم (كاتنغا)، وأعلـن زعيما الانفصال في كاتنغا وكازائـي عن إقامة اتحادٍ بين المقاطعتين، وبدآ السـعي معاً إلى إسقاط باتريس لومومبا بدعـم من الحكومة البلجيكية عبر شركات المناجم البلجيكية في الكونغو، كما ساهمت العديد من القوى المحلية والإقليمية في دعم الانفصاليين ولم تُجد نداءات لومومبا لدعم شـرعيته والوقوف ضد الانفصاليين تجاوباً من الاتحاد السـوفييتي والولايات المتحدة إضافة إلى الأمم المتحدة.

(١) عبد الوهاب الكيالي، مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

(٢) عبدالرزاق الفهد: تاريخ حركات التحرر في العالم الثالث، (الموصل: مديرية مطابع الجامعة، ١٩٨٥م)، ص ٢٧.

ثانياً: الأزمة السياسية في الكونغو:

دخلت البلاد حالةً من الفوضى استمرت خمس سنوات، وتقاسمتها ثلاث مناطق حكم، يتلقى كلّ واحدٍ منها دعماً من جهةٍ معينة:

١ - السلطة المركزية في ليوبولدفيل مدعومة من الأمم المتحدة والبلدان الغربية.

٢ - أما روسيا والبلدان الإفريقية «الثورية» فقد دعمت أتباع لومومبا بزعامة أنطوان جيزينغا، حيث يسيطرون على ستانليفيل والمناطق الشرقية.

٣ - وأخيراً حكومة كاتانغا غير الشرعية برئاسة تشومبي التي تدعمها الشركات الغربية وحكومة بلجيكا[١].

وفي ١٤ سبتمبر ١٩٦٠م قام موبوتو رئيس أركان الجيش الكونغولي بانقلابٍ عسكري ضدّ حكومة لومومبا، وانتهى الأمر باعتقال لومومبا وسجنه ثم اغتياله.

وبعد صراعات عنيفة بين كازافوبو وتشومبي وموبوتو؛ تمكن الأخير من أن يصبح رئيساً للجمهورية في ١٩٦٥/١١/٢٥م، وغيّر اسم البلاد إلى: (جمهورية زائير)، وهو الاسم الذي كان يُعرف به حوض الكونغو قبل الاستعمار، كما غيّر اسم العاصمة ليوبولدفيل إلى: (كينشاسا)[٢].

حكم موبوتو البلاد حكماً دكتاتورياً ما يقرب من ٣٢ عاماً، واستغل ثروة البلاد الطائلة للإثراء، حتى نجح «رولا كابيلا» في ١٧ مايو عام ١٩٩٧م، وبدعم من أوغندا ورواندا، في دخول العاصمة (كينشاسا) على رأس عددٍ من المسلحين من قبائل التوتسي سرّاً، وأعلن عزل موبوتو، وغيّر اسم زائير إلى: (جمهورية الكونغو الديمقراطية)، وتوالت الأزمات السياسية بعد ذلك.

ثالثاً: تدهور الوضع الاقتصادي:

كانت الأطراف الأجنبية ذات المصالح الاقتصادية هي السبب الرئيس المباشر في أحداث تلك الاضطرابات في البلاد، فقد عملت جاهدة على افتعال الأحداث للتدخل في البلاد، وفرض نفوذها الذي يحمي مصالحها، تلك الأيادي الأجنبية مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وبلجيكا[٣].

فقبل حزيران ١٩٦٠م عجّلت الشركات العاملة في البلاد، وبخاصة الأمريكية، بمناوراتها حتى تمنع الشعب الكونغولي من أن يضع يده على ميراثه، وقبيل إعلان الاستقلال بثلاثة أيام صدرت مراسيم بحلّ بعض الشركات، وحتى تستطيع الشركات البلجيكية أن تثبت أنه لا يمكن للكونغو أن تستغني عن عون بلجيكا المالي؛ عمدت إلى سحب مبالغ ضخمة من رؤوس الأموال، ورفع تصدير المنتجات الكونغولية إلى الحدّ الأقصى، وتحديد واردات البلاد إلى الحدّ الأدنى، وقد كانت النتيجة أن اختل ميزان التجارة الكونغولي.

وعندما حصلت الاضطرابات في الكونغو؛ أسرعت القوات البلجيكية العاملة في البلاد إلى التدخل، وقد وصلت قوات إضافية للبلاد في الثامن من تموز ١٩٦٠م، كانت موضع ترحيب من قِبَل الرئيس الكونغولي كازافوبور، ولم يمض وقتٌ حتى بدأت المعارك بين القوات الكونغولية والقوات البلجيكية[٤] ■

(١) عبدالوهاب الكيالي، مرجع سبق ذكره، ص ١٧.

(٢) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سبق ذكره، ص ٤١٤.

(٣) قلعجي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣١.

(٤) الفهد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧١.

الدور السياسي للسلطة القضائية في ظل التحول الديمقراطي

ماهيته وحدود تأثيره في النظم السياسية الإفريقية (حالة جنوب إفريقيا)

أ. السيد على أبو فرحة

مدرس مساعد العلوم السياسية بكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة بني سويف

أضحى موضوع ما يمكن تسميته: (الدور السياسي للسلطة القضائية) من الموضوعات الراهنة المثيرة للجدل والاهتمام في حقل النُّظم السياسية المقارنة؛ حيث يلاحظ أنّ السلطة القضائية في العديد من تلك النُّظم، وعلى تنوّعها وتباينها – أي تلك النُّظم السياسية – بين فيدرالية وموحدة، أو أنجلوسكسونية أو اللاتينية، أو رئاسية أو برلمانية أو مختلطة، تمارس فعل السياسة بشكلٍ أو بآخر، أو تُمارس عليها السياسة بدرجةٍ تجعلها تشارك في العملية السياسية إيجاباً أو سلباً، وإن اختلفت مساحات الممارسة ومستوياتها.

لذا تسعى الدراسة إلى تناول هذا الموضوع – الجديد نسبياً – في حقل النُّظم السياسية المقارنة، وذلك من خلال محورين، يمثّلان مدخلاً لدراسةٍ أكثر عمقاً واتساعاً لهذا الموضوع المعتبر، وهما:

١ – المقصود بما يمكن وصفه بـ (الدور السياسي للسلطة القضائية)، أو (التحول نحو الصبغة القضائية للسياسة Judicialization of Politics)، ومؤشرات هذا المفهوم.

٢ – شكل الدور السياسي للسلطة القضائية وحدوده في إفريقيا؛ بالتطبيق على دولة جنوب إفريقيا.

المحور الأول: المقصود بما يمكن وصفه بـ (الدور السياسي للسلطة القضائية)، أو (التحول نحو الصبغة القضائية للسياسة Judicialization of Politics)، ومؤشرات هذا المفهوم الجديد:

يلعب القضاء دوراً معتبراً في الدول الديمقراطية في ممارسات التوازن والرقابة بين فروع الحكومة الأخرى، وهو ما يجعله – في حدّ ذاته – قريباً من الساحة السياسية، وبنى المنافسة وهياكلها، من أجل السيطرة داخل النظام السياسي؛ حيث تتنافس الأحزاب والأفراد والمؤسسات فيما بينها، وهو التنافس الذي يُفهم أنّ من ضمن نتائجه: ظهور نزاعات على الساحة السياسية، وعليه تنهض المحاكم أو القضاء بوصفه طرفاً ثالثاً (محايداً)، يكون له (الحكم النهائي) في العديد من تلك النزاعات؛ وهو ما جعل بعض الباحثين يطرح تساؤلاً حول: المسائل القانونية المحددة التي للمحكمة أن تمارس بموجبها سلطتها القضائية على منازعاتٍ سياسية بحتة؛ فدخول القضاء للفصل في منازعاتٍ سياسيةٍ يجعله – في نظر بعض الباحثين – فاعلاً سياسياً، فعلى الرغم من اختصاصه الأصيل في الفصل في النزاعات؛ فإنّ المحاكم من خلال موقعها في النزاعات السياسية يمكن أن تحوذ نفوذاً سياسياً معتبراً، وهي المتصور فيها الحيادية أو الحفاظ على حياديتها.

كما أنها – أي المحاكم- يمكن أن تفقد استقلاليتها في خضم تلك المنازعات السياسية، خصوصاً في مسألة (الطعون السياسية political contestations)؛ حيث يحاول كلّ طرفٍ من طرفَي النزاع أن يكون أقرب للمحكمة عبر آليات عدة – نفوذ أيٍّ من السلطتين التشريعية والتنفيذية في تعيين القضاة وغيرها-؛ ما يجعل شرعية المحاكم نفسها محلّ تساؤلٍ في نظر بعض الباحثين؛ فعلى سبيل المثال يمكن تتبع المحكمة العليا في كينيا بصفتها فاعلاً سياسياً مؤثراً في أيٍّ من مستويات التقاضي التي تتصل بالمسائل السياسية، كما أنّ مسألة المراجعة الدستورية من قِبَل المحاكم العليا يجعلها – وفقاً لذلك – فاعلاً معتبراً في العملية السياسية، كما سيرد لاحقاً[1].

(١) Apollo Mboya, "Judiciary is A Political Actor

تعريف المقصود بـ (الدور السياسي للسلطة القضائية):

تُعنى الدراسة – في هذا المقام – بمحاولة تلمّس درب المساحة المتداخلة بين القضاء والسياسة؛ عبر تعريف المقصود بـ (الدور السياسي للسلطة القضائية)، وما قد يُثيره هذا الدور في نُظم التحول الديمقراطي – حال وجوده – من تساؤلاتٍ مهمّة من قِبَل الباحثين الغربيين المعنيين بهذا الدور خاصّة، ونُظم الحكم بصفة عامّة، لا يتسع مقام الدراسة للإجابة عنها، ولكن من المفيد إثارتها.

اختلف هؤلاء الباحثون في تعريف (الدور السياسي للسلطة القضائية) وتوصيفه، وقد أثاروا بشأنه عدة تساؤلات، منها على سبيل المثال: ما مصادر النشاط القضائي في الساحة السياسية (judicial activism)؟ وما إذا كانت هذه المصادر تعود إلى التفسير الخاطئ أو الواسع للدستور، أو تراكمات الممارسة القضائية؟ وما إذا كان هذا النشاط يُعدّ ابتعاداً عن الدستور؟ وإلى أي مدى يؤثّر قيام القضاء بحماية الحقوق والحريات العامّة، وبخاصة حقوق الأقليات، على الساحة السياسية؟ ولماذا زحفت المؤسسة القضائية على مساحات السياسة؟ أو بمعنى آخر: ما أسباب تمكين المؤسسة القضائية سياسياً في عدد من نُظم التحول الديمقراطي؟ وهل إعادة النظر في الدساتير، وما لحقها من تعديلات تتجه في سبيل تأكيد أو تعزيز دورٍ ما ذي صبغة سياسية للمؤسسة القضائية في العملية السياسية؟ وما نقاط الضعف التي يمكن أن يوصم بها أداء السلطة القضائية حال محاولاتها تجاوز إرادة السلطتين التشريعية والتنفيذية؟ وكذا:

وفقاً للاعتبارات العملية للسياسة؛ فإنّ الدور السياسي للمؤسسة القضائية يتزايد مع حاجة النخبة السابقة – التي في سبيلها لأن تفقد السلطة – لإجراء تعديلات دستورية تتواءم مع مرحلة التحول نحو الديمقراطية

ما نقاط الضعف التي تلحق بالسلطة القضائية حال دخولها في صراعٍ مؤسسيٍّ مع إحدى السلطتين التشريعية والتنفيذية؟

بداية؛ يلاحظ أنه قد تنامى الحديث عمّا اصطُلح على تسميته في الأوساط الأكاديمية المعنية بـ (الدور السياسي للسلطة القضائية)، واختلاف عدد من الباحثين الغربيين حول التسمية، وحول تعريف هذه الظاهرة أو هذا السلوك وحدوده، وإن كان إسهام Peter Russell الإسهام الأسبق في هذا الموضوع، وذلك بدراسة تحت عنوان (محاضرة عن القانون والسياسة Lecture on Law and Politics)، نُشرت بعنوان (معضلة السلطة القضائية The Paradox of Judicial Power)، في دورية جامعة الملكة للقانون بولاية أونتاريو الكندية عام ١٩٨٧م[١].

وكذا إسهام TorbjörnVallinder، وهو يُعدّ من أفضل الإسهامات وأسبقها في هذا الموضوع الأكاديمي الجديد نسبياً بالمقارنة بغيره من

(١) Peter Russell, The Paradox of Judicial Power, (1987),in The Queen's Law Journal,(Vol: 12, number 3, p 421).

In A Democracy", An Article published at standard digital in February 5th 2014, Via Link: http://www.standardmedia.co.ke/?articleID=2000104068&story_title=judiciary-is-a-political-actor-in-a-democracy (12-2-2014)

موضوعات العلوم السياسية، بدراسة بعنوان: (التحول نحو الصبغة القضائية للسياسة: مدخل عن الانتشار العالمي للظاهرة)، نُشرت عام ١٩٩٤م بدورية العلوم السياسية الدولية: The Judicialization of Politics: A world-wide Phenomenon: Introduction

وقد طوّر هذه الدراسة بمساعدة Tate, C. Neal لتصدر في كتابٍ في العام ١٩٩٧م، بعنوان: (التنامي العالمي للسلطة القضائية The Global Expansion of Judicial Power)[١].

وقد أطلق عليها بعض الباحثين تعبير: (الظاهرة القضائية Judicial Phenomenon)، وهناك فريقٌ ثانٍ من الباحثين أسماها: (النشاط القضائي judicial activism) لدى Ari Gordon، فضلاً عن فريقٍ ثالث أطلق عليها: Judicialization of Politics، لدى Torbjrn Vallinder، وهو ما يمكن ترجمته من قبل الباحث تحت عنوان: (التحول نحو الصبغة القضائية للسياسة)، بالإضافة إلى فريقٍ رابع يطلق عليها: Judicial Politics، والتي يترجمها الباحث باسم: (السياسة القضائية)، ويسميها فريقٌ خامسٌ باسم: (حكم القضاة governing with judges)، ومنهم الباحث Alec Stone Sweet[٢]، أو (حكومة المحكمة courtocracy) عند الباحث Kim Lane Scheppele[٣]، أو (حكم الفقيه القانوني juristocracy) عند الباحث Ran Hirschl[٤].

وهي ظاهرة اختلفت أسماؤها، وتعددت مظاهرها، وانتشرت كلّ أبعادها أو بعضها في عددٍ من دول العالم؛ راسخة الديمقراطية منها وحديثة العهد؛ لتُشير إلى الاجتهادات التي دارت مجملها حول ما قد يرتبط بدور السلطة القضائية الذي يطول مساحات سياسية، وما يتصل بهذا الدور – الذي يمكن وصفه بالسياسي للمؤسسة القضائية – من الزحف على مساحات قد تكون واسعة من لعبة السياسة؛ ما قد يطول بالتأثير على عملية صنع السياسات العامّة التي طالما كانت حكراً على السلطة التنفيذية، ديمقراطية كانت أو غير ديمقراطية، وهو ما قد يتعدى إلى قطاعات واسعة من المواطنين غير المعتادين أو غير المنتظرين لهذا الدور.

وسيعرض الباحث للأبعاد المختلفة لكلٍّ من تلك التعبيرات المختلفة لموضوع الدور السياسي للسلطة القضائية محاولاً في النهاية إجمالها في تعريفٍ يعبّر عن تلك الظاهرة، ويشمل الأبعاد المختلفة لها.

وأول تلك التعبيرات التي تصف موضوع الدراسة هو تعبير: (السياسة القضائية أو Judicial Politics)، وهو يُوصف بأنه حقلٌ علميٌّ يتصل بأبعاد هذا الدور الواسع في موضوع عينه هو البعد السياسي فيما يتصل بالمحكمة العليا بصفةٍ خاصّة، ويُشير هذا التعبير – وهو تعبيرٌ أمريكيٌّ في الأساس، ومستندٌ في مظاهره للخبرة الأمريكية – إلى أنه بما أنّ القانون والمحاكم مؤسسات سياسية؛ فإنّ القضاء يمارس دوراً معتبراً داخل النظام السياسي للحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال (الهيراركية القضائية)، والسياسة التي تصطبغ بها عملية صنع

(١) Tate C Neal &TorbjörnVallinder (eds), "The Global Expansion of Judicial Power" (New York:New York Univ. Press, 1997), P 5.

(٢) Alec Stone Sweet, "Governing with Judges: Constitutional Politics in Europe" (London: Oxford Univ. Press, 2000), pp 2-5.

(٣) Kim Lane Scheppele,"DEMOCRACY BY JUDICIARY: Or Why Courts Can Sometimes Be More Democratic Than Parliaments", A Paper prepared for the conference on Constitutional Courts, Washington University, 1 November 2001, P 31 3.

(٤) Ran Hirschl,"TOWARDS JURISTOCRACY: THEORIGINSANDCONSEQUENCESOFTHE NEW CONSTITUTIONALISM"(Cambridge: Harvard University Press, 2004.), pp 1,2.

القرار في المحكمة العليا الأمريكية، وكذا التعيينات السياسية بتلك المحكمة، بالإضافة إلى دور جماعات الضغط في توجيه الرأي العام وتشكيله حول العقيدة القضائية The Judicial Doctrine، والتأثير الاجتماعي لذلك، وكذا مدى شرعية المحاكم، والتاريخ السياسي للنظام القانوني، وتتمثل أبعاد هذا التعبير – وفقاً للخبرة الأمريكية – في النقاط الآتية:

أولها: لماذا وكيف تصنع القرارات في المحكمة العليا؟

وثاني تلك الأبعاد: مسألة الاختيار ، والتعيين القضائي judicial appointments، case selection.

وثالثها: الصراع بين المحكمة وفروع الحكومة الأخرى conflict between the Court and the other branches of government.

ورابع تلك الأبعاد: هو عملية صنع القرار والصراع داخل هيراركية هيكل القضاء.

وخامس تلك الأبعاد: هو تأثيرات تنفيذ قرارات المحاكم.

وسادس تلك الأبعاد: هو النظر للمحاكم بوصفها وكالات للتغيير الاجتماعي courts as agents of social change[١].

أما تعريفها باعتبارها: (التحول نحو الصبغة القضائية للسياسة) وفقاً للتعبير الإنجليزي: Judicialization of Politics؛ فيشير إلى تنامي النفوذ الذي تمارسه أو تحوزه السلطة القضائية في الساحة السياسية، سواء في نُظم الديمقراطية الراسخة أو الناشئة، ويذكر بعض الباحثين، ومنهم Torbjrn Vallinder، تعريفين لهذا التعبير الإنجليزي:

أولهما: هو «تنامي نفوذ المحاكم والقضاة ليتجاوز أدوار السياسيين والبيروقراطيين، ما يترتب عليه نقل عملية صنع القرار من السلطة التشريعية ومجلس الوزراء، والجهاز المدني للدولة إلى المحاكم»[٢].

وثاني التعريفين: يذهب إلى أنها – أي التحول نحو الصبغة القضائية للسياسة The judicialization of politics – على الأقل: تعني «تنامي آليات صنع القرار عبر القضاء خارج مجاله المعهود»[٣].

ويُعرفها كلٌّ من: James Gibson[٤]، Vanessa Baird[٦]، Gregory Caldeira[٥] بأنها: «الدور المتنامي للمحاكم وقضاتها في حلّ المنازعات التي يكون لها انعكاسات معتبرة على

(١) The Course of "Judicial Politics" at Barnard College, Columbia University in the City of New York, Via Link: http://apps.college.columbia.edu/unify/bulletinSearch.php?toggleView=open&school=BC&courseIdentifierVar=POLSW3210&header=www.barnard.edu/arx/html/catalogue/bcheader.html&footer=www.barnard.edu/-2-arx/html/catalogue/bc-footer.html (12 2014).

(٢) Yasushi Hazama, «Constitutional Review and Democratic Consolidation: A Literature review», (Discussion paper NO,192, Middle Eastern Studies Group, Institute of Developing Economies, Area Studies Center-IDE,»Japan External Trade Organization-Jetro», Japan,2009), pp 1,2.

(٣) TorbjörnVallinder, "The Judicialization of Politics:A world-wide Phenomenon: Introduction" in The International political science Review (1994, Vol. 15, No 2, P 91).

(٤) James L. Gibson is the Sidney W. Souers-Professor of Government at the Department of Political Science, Washington University in St. Louis.

(٥) Gregory A. Caldeira: Distinguished University Professor at The Ohio State University, Ann and Darrell Dreher Chair in Political Communication and Policy Thinking, and Professor of Law, Moritz College of Law.

(٦) Vanessa A. Baird (Ph.D., University of Houston, 2000) joined the faculty of the University of Colorado in 2000 after completing her graduate education at the University of Houston.

السياسات العامة للدولة»[١].

أمـــا Ran Hirschl[٢]؛ فيُعـــرّف التحول نحو الصبغة القضائية للسياسة بأنها: «الاعتماد المتزايد علـــى المحاكم والأدوات القضائيـــة في التعاطي مع المعضلات الأخلاقية لمســـائل السياســـة العامّة، والخلافات السياسية، والتي أضحت ظاهرة معتبرة تشـــهدها الحكومات فـــي أواخر القرن العشـــرين، وأوائل القرن الحادي والعشـــرين، عبـــر المراجعة القضائية للإجراءات الخاصّة ببعض المســـائل ذات الأهمية الواســـعة، كالحريات الدينية، والخصوصية، والملكيـــة، والتجـــارة، والتعليم، والهجـــرة، والعمل، وحماية البيئة»[٣].

ويُعرّفهـــا فريـــقٌ آخـــر، منهـــم Beverely Mclachlin[٤] بأنهـــا: «أيّ فعـــلٍ قضائيٍّ يتجاوز مســـاحة التطبيق البسيط للقانون المصنوع من قِبَل الســـلطة التشـــريعية؛ ما يجعله محلّ تساؤل بشأن مشروعيته»[٥].

أما التعريف الأســـبق لها فهـــو تعريف Peter Russell، حيث يـــري أنها: «ظاهـــرة صنع القانون من قِبَل قضاة غير منتخبين بطبيعتهم، ولا يخضعون للمحاسبة، وهو ما يتعارض مع قيم الديمقراطية»[٦].

ولتفســـير النشـــاط القضائـــي أو الزحـــف القضائـــي علـــى مســـاحات سياســـية (Judicial Encroachment on the political domain) ينقسم الباحثون إلى مدرستين:

أولاهمـــا: مدرســـة النشـــاط activism approach.

والثانيـــة: مدرســـة التقييـــد الذاتـــي self-restraint approach.

وفي الوقت الذي تســـوغ المدرسة الأولى فكرة: ضرورة صنع المؤسســـة القضائيـــة للقانون، تطرح المدرســـة الثانية فكـــرة: أنّ القضاء يقـــوم بتقييد القوانين المصنوعة بالفعل من قِبَل الفروع السياسية للحكومة عبر التقاضي في أنواع معينة من القضايا[٧].

أسباب اضطلاع السلطة القضائية بدورٍ يقتـرب مـن مساحـات السياسـة أو مصبوغاً بها في الخبرات المقارنة:

وتتعدد تلك الأسباب – في ضوء الخبرة الأوروبية – التي تـــؤدي لتنامي أحد مظاهر الدور ذي الصبغة السياســـية للمؤسســـة القضائية خاصة المصاحب لإجـــراء تعديلات دســـتورية في النظم السياســـية الغربية في الأســـاس، أو الناتج عما جرى – فعلاً – من تعديلات.

إنّ أول تلك الأسباب: ما يتصل بالاعتقاد المبدئي لـــدى البعض في أعقـــاب المراجعات الدســـتورية الواسعة لأوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية؛ بشـــأن تزايد احتمال خطأ المؤسسة التشريعية عند ممارســـتها لاختصاصاتها، خاصّة مع اعتماد العديد

(١) James Gibson, Gregory Caldeira, and Vanessa Baird, "On The legitimacy of High Courts", (1998), in American Political Science Review Vol. 92, No. (2 June 1998, P 343).

(٢) Ran Hirschl is Professor of Political Science and Law and Canada Research Chair in Constitutionalism, Democracy, and Development at the University of Toronto.

(٣) Ran Hirschl, "The Judicialization of Politics", in The Oxford Handbook of Law and Politics, (Aug 2008, (P 119.

(٤) Beverley McLachlin, Chief Justice of Canada

(٥) BeverelyMclachlin (2000), «Judicial Power and Democracy», Singapore Academy of Law Journal (Vol: 12, Part 2, September, p 313)..

(٦) Peter Russell, ,Op cit, p 421.

(٧) Ari Gordon, 1994, A Critical Approach To Judicial Activism In North American Constitutional Law,(Master's thesis) (Berkshire: University of Reading, Faculty of Letters andSocial Sciences, Department of Law), P 2.

مـــن تلك الدول، وكذا العديد من دول الموجة الثالثة للديمقراطية، علـــى النظام البرلماني بوصفه نظاماً للحكـــم، ومن ثـــمّ تنامي رغبة الأحزاب السياســـية بإحداث مراجعات دستورية مستمرة لاعتبارات اللعبة السياسية.

وثاني تلك الأسباب: أنه وفقاً للاعتبارات العملية للسياســـة؛ فإنّ الدور السياسي للمؤسسة القضائية يتزايد مع حاجة النخبة الســـابقة – التي في سبيلها لأن تفقد السلطة – لإجراء تعديلات دستورية تتواءم مع مرحلة التحول نحو الديمقراطية، أو مرحلة عدم التأكد السياســـي إبان التحول، أو في أعقابه، سواء لمحاولة الاستمســـاك بمقاليد الحكـــم، أو خلخلة قبضتها عليه[١].

ثالث تلك الأسباب: اتجاه العديد من الممسكين الحاليـــين بزمام الســـلطة، وخصوصاً فـــي النُّظم الرئاســـية راســـخة الديمقراطية، لإجراء تعديلات دســـتورية لتحقيق بعض المكاســـب، كاتجاه الرئيس لإحداث زخم سياســـي عبر الدعوة لإجراء تعديلاتٍ دســـتوريةٍ لكســـر حالة الجمود وإخفاقه في تحقيق سياســـاته، أو الاســـتجابة لمطالب الجماهير على ســـبيل المثال، وهو ما يُنذر بدورٍ ما للمحكمة العليا المعنية بدستورية القوانين[٢].

ورابع تلك الأسباب: ما يتصل بسعي البرلمانيين لإجراء تعديلاتٍ دســـتوريةٍ لتحســـين ضعف أدائهم البرلمانـــي، أو تقوية موقعهم الضعيف نســـبياً في المعادلة السياسية في مواجهة السلطات الأخرى[٣].

ويمكـــن النظر إلى أحـــكام البطلان مـــن قِبَل المؤسسة القضائية لكثيرٍ من القرارات المتخذة من قِبَل السلطة التنفيذية أو إلغائها، باعتبار تلك الأحكام أحد المظاهر المعتبرة للدور ذي الصبغة السياسية للمؤسسة القضائية؛ حيث إنّ تلك الأحكام تسهم في تقييد ممارسات السلطة التنفيذية في صناعة القرار داخل النظام السياسي[٤].

أمـــا فيمـــا يتصـــل بالديمقراطيات الناشـــئة، وبخاصة تلك التي تتبع النظام الرئاســـي في الحكم، فيري عددٌ من الباحثين أنّ السلطة القضائية تسعى عادةً إلى الوقوف في منتصف الطريق بين السلطتين التشـــريعية والتنفيذية، وتجنب التعـــرض للقضايا الهيكلية المعتبـــرة، أو ذات الأهمية القصوى، كفكرة فيدراليـــة الدولة، أو الفصل بين الســـلطات، وذلك فـــي مقابل التركيـــز على قضايا الحقـــوق الفردية، والحريات العامّة.

أما في النُّظم البرلمانية؛ فتســـعى إلى الحفاظ على الوضع الراهن بدرجةٍ أو بأخرى، ومن ثمّ يسعي القضاء في النُّظم الديمقراطية، أو تلك التي تشـــهد حالة من عدم التأكد السياســـي عـــادة، إلى جذب الـــرأي العام طلباً لدعم مواقفه، وهو العامل المعتبر في ضوء الطبيعة النخبوية للمؤسسة القضائية، في مواجهة الســـلطات الأخرى المنتخبـــة ذات القاعدة الجماهيرية بدرجةٍ أو بأخرى[٥].

ويرى الباحث أنّ التحول نحو (الصبغة القضائية للسياســـة) أو (النشـــاط القضائي في السياسة) أو (الدور السياســـي للقضاء) يمكن أن تُجمل محدداته في أربع محددات رئيســـة، ليس بالضرورة أن تتوافر جميعها، في حالة معينة، فيكفي وجود واحدٍ منها أو

(١) Ginsburg, Tom, Judicial Review in Democracies: Constitutional Courts in Asian Cases, Cambridge: Cambridge university press.) 2003), pp 34-40.

(٢) Yasushi Hazama, op cit, pp 1,2.

(٣) Yasushi Hazama, Ibid, p 6

(٤) Vanberg, Georg, Establishing and Maintaining Judicial Independence «In (The Oxford Handbook of Law and politics. (eds). Keith E. Whittington, et al Oxford: Oxford university press,2008), p 102.

(٥) Yasushi Hazama, Op cit, p 10 .

مارس القضاة بجنوب إفريقيا دوراً معتبراً في عمليات صياغة الدستور

أكثر، وهذه المحددات هي:

المحدد الأول: يتصل بمساحات التسيس في عملية التعيين القضائي، ومدى تورط السلطات السياسية، سواء التشريعية أو التنفيذية فيه، ومدى استيعاب القضاء لهذا التورط، وتعاطيه معه.

المحدد الثاني: وهو محدّد (الأحكام القضائية Adjudication)، ويتصل بأدائها داخل أروقة المحاكم، خصوصاً في مساحات الحقوق المدنية والاجتماعية، والسياسية، ويُسمّيها بعض الباحثين - كما أسلفنا - : (عملية صنع القرار القضائي).

المحدد الثالث: يتصل بأداء القضاة خارج أروقة المحاكم فيما يتصل باللعبة السياسية، ويندرج تحته بصفة رئيسة: الأعمال الموكلة دستورياً لـ «قضاة»، وتقع خارج باب السلطة القضائية، ويأتي على رأسها ما يتصل بالعملية الانتخابية.

المحدد الرابع: (السلوك السياسي للقضاة)، ويتصل بأداء القضاة خارج أروقة المحاكم، كالسلوك العام ذي الصبغة السياسية، مثل: الاعتصام، والتظاهر، والإضراب، وتعليق العمل – حال وجوده –، وحدوده في التأثير على الساحة السياسية.

في نهاية هذا التحليل يرى الباحث أنّ دور المؤسسة القضائية ذات الصبغة السياسية في العملية السياسية واجب الاعتبار، في ضوء جملة من الخصائص والمعطيات المتصلة بها عند تحليل ذلك الدور، منها:

– كون السلطة القضائية سلطوية التكوين؛ أي غير منتخبة.

– ونخبوية الطابع؛ أي أنّ الخصائص والسمات المتوفرة في أعضائها لا تتوافر بدرجةٍ أو بأخرى في عامّة الشعب وفقاً لخلفيتها الاجتماعية الضيقة.

– وهي متحررة القرار؛ أي غير مساءلة جماهيرياً، ولا تخضع للمحاسبة الشعبية.

– وتتسم عملية مشاركتها في صنع السياسات العامّة بعددٍ من السمات التي تعيقها عن الاضطلاع بفعالية بهذا الدور، تلك السمات أهمها: فقد المبادرة، والنمط غير المتصل لأحكامها، والجمود، والتطرف في القضايا المنظورة، وصعوبة إيجاد الحقائق، واختيارها بين حقوق وليس بين بدائل، وصعوبة المتابعة.

يأتي تجاوز السلطة القضائية لدورها في نظر بعض الباحثين أنها تتجاوز دورها الأصيل المعني بتفسير وتطبيق القانون؛ إلى دورٍ سياسيٍّ متنامٍ في ضوء اضطلاعها بدورٍ ذي أبعادٍ سياسية بدرجةٍ أو بأخرى، كإشرافها على الانتخابات، أو تسييس بعض أحكامها، أو تنظيم أعضائها لسلوك سياسيّ، كالاعتصامات والإضرابات والاحتجاجات محدّدة الهدف، كلّ ذلك في مقابل سلطة تنفيذية ذات خبرة سلطوية وأداء سابق متغوّل، تسعى لإعادة صياغة العلاقة بين السلطات بما يحفظ لها مكانة معتبرة في ظلّ النظام السياسي المتجه نحو الديمقراطية.

ومن ثمّ؛ فإنّ مختلف الممارسات المتصلة بدور المؤسسة القضائية في العملية السياسية عبّر عنها عددٌ من الباحثين الغربيين بتعبير: (التحول نحو الصبغة القضائية للسياسة Judicialization of Politics)، والتي تُشير إلى تنامي نفوذ القضاة وأحكام المحاكم على حساب السياسيين وإداريي

الجهـــاز البيروقراطي للدولة، ومـــا يلحق بذلك من تحـــول الدور النافـــذ في الاختصاصـــات الأصيلة لعملية صنع القرار من جانب الســـلطة التشـــريعية والتنفيذية، والخدمة المدنية (الجهاز البيروقراطي)، إلى المحاكم، وقضاتها، أو بمعنى آخر: تجاوز تبعات أحكام القضـــاء لحدود المحاكـــم؛ مؤثّرة بذلك في عملية صنع السياسة العامّة[١].

هذه هي مجمل المظاهـــر التي قد تُمثّل في نظر البعض تحولاً في اتجاهات الخلل في العلاقة بين السلطات، من السلطة التنفيذية المعتادة على التغوّل إلى السلطة القضائية الراغبة في التوسع؛ ما يمثل تهديداً لـــلأداء الديمقراطي، وذلك على خـــلاف حيادية المؤسســـة القضائيـــة بوصفها فاعلاً في العملية السياسية في النُّظم السياسية المســـتندة لمبدأ الفصل بين الســـلطات - نظرياً على الأقـــل -؛ وعليه يتناول الباحث بالدراســـة والتحليل فـــي المحور التالي جملة المؤشـــرات المتعلقة بالدور السياســـي في إطار مقارن، وذلك للوقوف على حقيقة هذه الظاهرة وحدودها[٢].

المحور الثاني: شكل الدور السياسي للسلطة القضائية وحدوده في إفريقيا (حالة جنوب إفريقيا):

بتتبع المؤشرات السابقة في الحالة الإفريقية، وبخاصة جنوب إفريقيا، يتضح أنّ:

المؤشـــر الأول: عملية التعيين القضائي في جنوب إفريقيا ينظّمها دســـتور عام ١٩٩٦م؛ حيث تأتي على قمّة هرم الســـلطة القضائية (المحكمة الدســـتورية)، بوصفها محكمة عليا نهائية في كلّ الشئون الدســـتورية، بالإضافة إلى محاكم أدنى؛ حيث يتكوّن الجهـــاز القضائي في جنوب إفريقيا من أربعة مستويات من المحاكم:

أولهـــا: المحكمـــة الدســـتورية The Constitutional Court.

الثانيـــة: المحكمة العليا للاســـتئناف The Supreme Court of Appeal.

الثالثة: المحاكم العليا The High Courts.

الرابعة: محاكم الصلح The Magistrates' Courts[٣].

وينصّ الدســـتور في المادة ١٧٤ الفقرة رقم (١) على أنه: «يحقّ لأي شـــخص، رجل أو امرأة، تولّـــي المنصب القضائي حـــال توافر المؤهلات اللازمة لذلـــك». والفقرة رقم (٢) من ذات المادة على: «ضرورة أن تكون السلطة القضائية انعكاساً للتركيب الإثني والنوعي لجنـــوب إفريقيا بصورة معتبرة»، ويظهر تأثُر تلك الفقرة بالخبرة الجنوب إفريقية في الفصل العنصري، حيث يؤكد الدستور على التنوّع في تشـــكيل السلطة القضائية بصورة ملفتة؛ على عكس كثيرٍ من نصوص تنظيم السلطة القضائية في العديد من الدول[٤].

أمـــا عن تعيين الســـلطة القضائيـــة، فتنصّ المادة (١٧٨) من الدستور على أنّ هناك ما يُسمّى مفوضيـــة الخدمـــة القضائيـــة The Judicial Service Commission، ويُشار إليها اختصاراً

(١) TorbjornVallinder, «When the Courts Go Marching In: The Global Expansion of Judicial Power»,eds. C. Neal, and TorbjornVallinder. (New York: New York university press, 1995), p 13.

(٢) ورقة بحثية بعنوان: «الدور السياسي للسلطة القضائية»، قدّمها الباحث في المؤتمر العربي التركي الثالث للعلوم الاجتماعية الذي عُقد في مركز مؤتمرات جامعة إسطنبول، في الفترة من ٣-٥ مايو ٢٠١٣م.

(٣) النظام القضائي بجنوب إفريقيا، الموقع الإلكتروني للسلطة القضائية بجنوب إفريقيا، عبر الرابط الآتي: http://www.judiciary.org.za/judicial-authority.html

(٤) Penelope E.Andrews, «The South African Judicial Appointments Process», Osgoode all Law Journal, York university, Volume 44, Number 3, 2006, article no:8, Pp

بـ JSC، وتتكون من ٢٣ عضواً بنصّ الدستور، وتقدّم النصيحة للحكومة القومية فيما يخصّ تعيين شؤون السلطة القضائية وإدارتها، وفقاً لنصّ المادة (١٧٥) فقرة رقم (٥)، كما تقوم بإجراء المقابلات للمرشحين للمناصب القضائية، وتقوم بإصدار التوصية بتعينهم، كما تقوم بالنظر في الشكاوى المقدمة ضدّ القضاة[١].

أما عن تشكيلها بحكم الفقرة الأولى من (١٧٨) من الدستور؛ فتتكوّن من السيد رئيس قضاة جنوب إفريقيا رئيساً للجنة – بحكم منصبه –، وعضوية رئيس المحكمة العليا للاستئناف، وعضوية قاض، واثنين من المحامين الممارسين، واثنين من الادعاء العام، وأحد أساتذة القانون الأكاديميين، وست شخصيات من الجمعية الوطنية (البرلمان)، وأربعة من المندوبين الدائمين بالمجلس الأعلى للمقاطعات، وأربع شخصيات يعينها رئيس الدولة.

وبناءً عليه: يتضح أنّ نسبة الأعضاء القانونيين سبعة أعضاء ممارسين، منهم خمسة من السلطة القضائية، واثنان من المحامين، بالإضافة إلى أكاديميٍّ واحد، وللسلطة التشريعية ستة أعضاء، وأربعة أعضاء من المحليات، وأربعة أعضاء محسوبين على السلطة التنفيذية.

ويتضح غلبة السلطتين التشريعية والتنفيذية في عضوية اللجنة، ومن ثمّ يُفهم نظرياً مدى نفوذ السلطتين في اتخاذ قرارات اللجنة على الرغم من رئاستها من قِبَل رئيس القضاة، ما قد يؤثّر بدرجةٍ كبيرةٍ على استقلاليتها، وعلى احتمالات تورطها سياسياً أو تسيسها[٢].

أما على مستوى المؤشر الثاني: والخاص بالأحكام والقرارات القضائية ذات الأبعاد السياسية أو التداعيات السياسية، فقد مارس القضاء بجنوب إفريقيا دوراً معتبراً بقراراته إبّان تجاوز خبرة الفصل العنصري في تحقيق المصالحة الوطنية، من خلال ما سُمي: (لجان الحقيقة)، والمختصة بقضايا العفو عن الجرائم ضدّ حقوق الإنسان[٣].

أما المؤشر الثالث: المعني بدور القضاء خارج أروقة المحاكم، فقد مارس القضاة بجنوب إفريقيا دوراً معتبراً في عمليات صياغة الدستور، حيث عُهد إليهم، أولاً: إقرار ما إذا كان التوافق المستند إلى الإجماع الكافي الذي توصل إليه المتفاوضون على المبادئ الحاكمة لكتابة مسودة الدستور؛ يتمتع فعلاً بالإجماع الكافي أو لا، بالإضافة إلى تولي القضاة مسؤولية مراجعة مسودة الدستور قبل الاستفتاء عليها، وذلك للكشف عن مدى التزامها بالمبادئ العامّة الحاكمة للدستور، والتي تتمتع بالإجماع الكافي.

أما على مستوى المؤشر الرابع: فلا تسجّل الخبرة المعاصرة في جنوب إفريقيا سلوكاً سياسياً معتبراً في هذا الخصوص، على عكس الخبرات الإفريقية الأخرى، كإضراب القضاة في أوغندا على سبيل المثال في مارس ٢٠٠٧م؛ اعتراضاً على التدخل من قِبَل الجيش في المحكمة العليا[٤] ■

(١) مفوضية الخدمة القضائية بجنوب إفريقيا، الموقع الإلكتروني للسلطة القضائية بجنوب إفريقيا ، عبر الرابط التالي: http://www.judiciary.org.za/about-the-jsc.html

(٢) مفوضية الخدمة القضائية بجنوب إفريقيا، المرجع السابق.

(٣) تقرير موجز حول التجارب الدولية، والدروس المستفادة...، المنتدى الدولي حول ممارسات التحول الديمقراطي، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP، 6 يونيو/ حزيران 2011م، ص 11.

(٤) http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/6418943.stm

واقع الجريمة المنظّمة بمنطقة الساحل الإفريقي

أ. نوال بومليك
ماجستير علوم سياسية - كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

تُعدّ (الجريمة المنظمة) إحدى أبرز التهديدات الأمنية المعاصرة؛ وقد حصل إجماعٌ دوليٌّ على خطورتها بوصفها عملاً من أعمال العنف المتسم بالوحشية المفرطة، وهي موضع اهتمام دوليٍّ كبير؛ لكونها اتخذت أسلوباً منظَّماً وعابراً للقارات، بل عمّت جميع أنحاء المعمورة، ومن بينها دول الساحل الإفريقي، ما جعل منها ظاهرة شديدة الخطر، تهدّد الأمن والاستقرار الداخلي والإقليمي للدول، بل العالمي.

وقد احتلت - بجانب قضايا محاربة الإرهاب - المرتبة الأولى على قائمة الاهتمامات العالمية في مرحلة ما بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بالولايات المتحدة الأمريكية، وأصبحت تستحوذ على الحيز الرئيس من التفاعلات الدولية.

وهذا ما يعكس أهمية الموضوع من الناحية العلمية، حيث تلقى الدراسات التي تخصّ الجريمة المنظمة اهتماماً أكاديمياً من طرف

أولاً: الجريمة المنظمة مقاربة مفاهيمية:

١ - تعريف الجريمة المنظمة:

توالت الجهود الفقهية للبحث عن صيغةٍ مُثلى لتعريف الجريمة المنظمة، لذلك تعددت التعريفات التي يتميز كلٌّ منها بالتركيز على عنصرٍ من عناصرها، نذكر من هذه التعريفات:

- تعريف أبادنسكي Abadanski: الجريمة المنظمة «مؤسسة غير إيديولوجية، تشمل عدداً من الأفراد ذوي علاقات اجتماعية قوية، منظمة بشكلٍ هرمي، وبثلاثة مستويات على الأقل، وذلك بهدف تأمين الربح والقوة؛ من خلال الانغماس في نشاطات غير قانونية وقانونية».

- تعريف سدرلاند وكريسي: هي: «ذلك الارتباط العضوي لجماعةٍ صغيرةٍ من المجرمين، يهدف لتنفيذ أنماط معينة من الجريمة»[١].

- تعريف الأستاذة نسرين عبد الحميد: «مشروعٌ إجراميٌّ، يقوم على أشخاص يوحدون صفوفهم للقيام بأنشطة إجرامية دائمة ومستمرة، ويتميز هذا التنظيم بكونه يشبه البناء الهرمي، وتحكمه لوائح ونظمٌ داخلية لضبط سير العمل داخله، في سبيل تحقيق أهدافه، باستخدام وسائله، من عنفٍ وتهديدٍ وابتزازٍ ورشوةٍ، لإخضاع وإفساد المسؤولين، سواء في أجهزة الإدارة والحكم أو أجهزة إدارة العدالة، وفرض السيطرة عليهم؛ بهدف تحقيق الاستفادة القصوى من النشاط الإجرامي»[٢].

- كما تعددت الجهود الدولية لتعريف الجريمة المنظمة، فنجد تعريف الإنتربول: أنها: «الأنشطة الصادرة عن التنظيمات أو الجماعات ذات التشكيل الخاص، والتي تهدف إلى تحقيق الربح بالطرق غير المشروعة، وتستخدم ذلك النشاط الصادر عن التهديد

العديد من الدارسين، وخصوصاً أنّ الموضوع يتشعب إلى عدة جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية.

وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على ظاهرة الإجرام المنظَّم بمنطقة الساحل الإفريقي، من حيث واقعها وحجمها وخطورتها، والحركيات المسببة لها، وصولاً إلى معرفة الآثار الناجمة عنها، وكيفية مواجهتها.

(١) شريف سيد كامل: الجريمة المنظمة، الطبعة الأولى - دار النهضة العربية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٧١.

(٢) نسرين عبدالحميد نبيه: الجريمة المنظمة عبر الوطنية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص ٥٧.

والرشوة لتحقيق الأهداف المعتبرة»[1].

وبالنظر إلى التعاريف السابقة نستخلص: «أنّ الجريمة المنظمة هي: الأفعال الناتجة عن التنظيم الذي يبنى على أساس تشكيلٍ هرميٍّ من مجرمين محترفين، يعملون على احترام وإطاعة قواعد خاصة (ثقافة فرعية)، ويخططون لارتكاب أعمال غير مشروعة؛ مع استخدام التهديد والعنف والقوة».

٢ - خصائص الجريمة المنظمة:

من خلال التعريفات السابقة يمكن استخلاص أبرز ما تتميز به الجريمة المنظمة عن الجرائم العادية من خصائص، وهي:

أ - التخطيط والتنظيم: يعتبر العامل الأهم في الجريمة المنظمة، فهو يكفل لها النجاح والاستمرار.

ب - الاحترافية: وهو شرطٌ من شروط الجريمة المنظمة، ويتطلب أفراداً مؤهلين وذوي خبرة عالية.

ج - الكسب غير المشروع: لأنّ الهدف منها هو الثراء السريع في وقتٍ قصير.

د - التعقيد: ويعتبر شرطاً من شروط التنظيم، فالأمر البسيط لا يحتاج إلى تنظيم، وهو سرعان ما ينكشف أمره بوضوح أسبابه.

هـ - الابتزاز والاستغلال: فالإجرام المنظّم ذكيٌّ في اختيار الأشخاص الذين يتمّ التعامل معهم، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وله القدرة على شراء ضمائر الأشخاص أو تخويفهم والضغط عليهم.

و - القدرة على الإفلات من العقوبة: حيث يعجز القضاء - في الغالب - أنّ يثبت الجريمة المنظمة في كثيرٍ من الأحيان لعدم توفر الأدلة؛ بسبب تواطؤ بعض المسؤولين معهم، فالأشخاص الذين يقومون بالجريمة أصحاب خبرة، يعتمدون على التخطيط والتنظيم، ويمارسون الإجرام دون خشيةٍ من عقوبة.

ح - التأثير السلبي في المجتمع ومسيرة التنمية: إذ تؤدي نتائجها إلى تعطيل التنمية، والفساد في الدولة.

ط - التركيز في التحالفات الاستراتيجية: أي أن تعقد تحالفات مع المنظمات الإجرامية المحلية وعبر الدول، وهذا لتفادي التناحر والتصادم بين هذه المنظمات الإجرامية.

ي - الطابع الدولي: تتصف أنشطة الجريمة عبر الدول بأنها لا تقتصر على إقليم الدولة الواحدة فحسب، بل تتعداه إلى أقاليم الدول الأخرى[2].

٣ - أهداف الجريمة المنظمة:

تهدف عصابات الجريمة المنظمة من خلال عملها الإجرامي إلى تحقيق:

١) الثراء: يُعدّ الدافع والمحرك الأساسي لأعضاء الجريمة المنظمة، وهو ما يميزها عن غيرها من التنظيمات الإجرامية، ويجعلها تمارس نشاطاتها المشروعة وغير المشروعة، والتي تدرّ الأرباح الطائلة، كتجارة المخدرات والسلاح والاتجار بالبشر.

٢) الدخول في تحالفات استراتيجية: فبسبب زيادة الأعمال الإجرامية التي تمارسها المنظمات الإجرامية في مناطق متعددة من العالم؛ كان لا بد لهذه التنظيمات أن تدخل في تحالفات استراتيجية، وذلك من خلال إبرام اتفاقيات فيما بينها؛ حتى تحمي كلّ منظمة نشاطها الذي تمارسه في الدول الخاضعة لنفوذ تنظيم إجرامي آخر، أو لتنظيم عمليات التسويق لما تنتجه من مواد مشروعة وغير مشروعة، وكان لهذه التحالفات الاستراتيجية الأثر في تعزيز قدرتها على المواجهات الأمنية، والقضاء على العنف الذي كان دائراً بينها، بالإضافة إلى الشراكة في اقتسام الأرباح والخسائر[3].

ثانيا: الحركيات المسببة للجريمة المنظمة بمنطقة الساحل الإفريقي:

إنّ الجريمة المنظمة بمنطقة الساحل الإفريقي

(١) أبحاث حلقة علمية حول الجريمة المنظمة وأساليب مكافحتها، المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نسرين عبدالحميد: الجريمة المنظمة عبر الوطنية، مصدر سابق، ص ٧٢.

نتاج متغيـــرات عديدة، ســـاهم في تشـــكّلها وظهورها تفاعل عدة أســـباب اجتماعية وسياسية واقتصادية، إلى جانب اســـتفادة عناصر الجريمة المنظمة من التطورات التكنولوجية.

وتشـــكّل الحيـــاة القبليـــة، التي يغلب فيهـــا الولاء للقبيلة على الـــولاء للوطن، عاملاً مهمّـــاً، خصوصاً أنّ بعض القبائل المســـتوطنة بالمنطقة لها امتدادات عابرة للأوطـــان، كقبائل الطـــوارق، والبامبارا، والســـونغاي، والبولسالكانوري، والهوســـا، ما أثّر مباشرة في تماسك الوحدة الوطنية، وأدى إلى ضعف الدولة، الأمر الذي جعل الدولة القائمة على أنقاض مخلفات الاســـتعمار لا تقوم بدورها في المنطقة، والمتمثل أساساً في دعم الإحساس القومي بالانتماء والولاء للوطن الذي تمارس عليه الدولة سيادتها، ومن ثمّ لم تنجح في تبني سياسات أمنية قادرة على مواجهة الجريمة المنظمة[1].

ويشـــكّل ارتفاع نسب الفقر عاملاً آخر مهمّاً كذلك؛ حيث تتراوح نسب مستوى الدخل الفردي بالنسبة للدخل العالمي في هذه المنطقة من ٠,٠٠٤٪ بالنسبة للصومال إلى ٠,٠١٪ بالنســـبة لمالي، والنيجر، وتشاد، والسودان ٠,٠٤٪، وموريتانيا ٠,٠٠٣٪.

وترجع أســـباب ظاهرة الفقر إلى عدة عوامل، نذكر منها: الجفاف الناتج عن قلـــة الأمطار، والتصحر الذي ضاعفه قطع الغابـــات، إضافة إلى غزو الجراد، وضعف الأداء الاقتصـــادي، أي الاعتماد علـــى آليات قديمة في الإنتاج الزراعي، فالنيجـــر – مثلاً – لا تزال تعتمد على آليـــات لم تتطور منـــذ ٤ قرون، وكذلـــك الاعتماد على المحاصيـــل التصديرية الموجهة للخارج على حســـاب المحاصيل الزراعية الاستهلاكية[2].

علاوة على هذه العوامل؛ تشـــهد منطقة الســـاحل الإفريقـــي العديد مـــن النزاعات الداخليـــة الناتجة عن التناقض الإثنـــي، ويعتبر أهمّ ســـببٍ مفجّر للصراعات الداخليـــة، والتي تشـــتد خطورتها عندما يكون ســـببها دينياً؛ ومن أبرزه الصراع بين الشـــمال المسلم والجنوب المسيحي، كما هو حاصل في السودان وتشاد.

كما ظهـــر نوعٌ آخر مـــن الصراعات، وهـــو النزاع (الشمالي – الشمالي)، مثلما يحدث الآن في السودان في دارفور، وتشـــاد[3]، إضافة إلى وجود (صراعات جوارية) عنيفة، كالصـــراع (الإريتري – الإثيوبي) الذي تفجّر عام ١٩٩٨م.

هذه الصراعات تحول دون الإصلاحات الاقتصادية، وتعرقـــل عملية التنمية، وتكون ســـبباً فـــي عدم وصول المســـاعدات الخارجية الغذائيـــة والمالية؛ ما يزيد من إضعـــاف دول هذه المنطقة التي هي في أصلها فاشـــلة وعاجـــزة، الأمر الـــذي يزيد من الأعباء والمســـؤوليات الموضوعة على كاهل دول الساحل؛ حيث لم تستطع هذه الأخيرة أن تتبنى سياســـة متطورة ومتجانسة قائمة على العـــدل واحترام الحقوق والواجبـــات للجميع دون تمييز، وتوفير صفقات عادلة للجميع؛ فكانت النتيجة اتباع هذه الدول للنظم العسكرية؛ لأنّ استمرار رحلات الصراعات والنزاعات المســـتمرة ولّد نزعة تسلّحية لهذه الدول من أجل مقاومة المتمردين داخلياً وخارجياً.

إنّ طبيعة النزاعات في هذه المنطقة تتسم بالترابط والتعقيـــد؛ بحيث يؤدي – فـــي الغالب – حدوث أي نزاع إلى انـــدلاع نزاعات أخرى مجاورة، وقد انعكســـت هذه الأوضاع على قوة دول الساحل الإفريقي وتماسكها؛ وهو الأمر الذي جعل دول المنطقة تُعرف بضعف الرقابة على حدودها، وعدم قدرتها على فـــرض الإدارة الأمنية على أراضيها؛ ما يؤدي إلى ســـهولة العمل الإجرامي المنظّم، وسهولة الاتصال بين المنظمات الإجرامية غير الوطنية؛

(١) منصور لخضاري: الساحل الإفريقي وبناء الأمن الوطني الجزائري، إصدار مديرية الإعلام والاتصال والتوجيه، الجزائر – المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ٢٠١٢م.

(٢) التقرير الاستراتيجي الإفريقي، مركز البحوث الإفريقية، جامعة القاهرة، سبتمبر، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٦.

(٣) Sécurité et stabilité dans le sahel africain: situation présente et prospective, académique reserch branche 2006.p. 3

حيث يعود ذلك بالأساس إلى إفلاس الدولة، والتي ساهم فيه بالدرجة الأولى النظام القبلي الذي يحكم الكثير من دول المنطقة، إضافة إلى السيطرة الاستعمارية التي عملت وتعمل على إشاعة الفوضى والتفرقة بين الفصائل.

وهذا كله يؤدي بالضرورة إلى سهولة نشوء المنظمات الإجرامية التي تستغل هذه الأوضاع: من غيابٍ للدولة أو ضعفها، إلى حالات اليأس لدى الأفراد بسبب ما يعانونه من ضيقٍ وتهميش، وأوضاع اقتصادية مزرية، تؤدي بكثيرٍ منهم إلى الانخراط في نشاط عصابات الجريمة المنظمة[1].

ثالثاً: أشكال الجريمة المنظمة بمنطقة الساحل الإفريقي:

تشهد دول الساحل الإفريقي تنامي ظاهرة الجريمة المنظمة بكلّ أنواعها وأشكالها، من غسيل الأموال، إلى التجارة بالأعضاء البشرية، إلى تهريب السجائر، خصوصاً في منطقة ديكال المالية التي تُعدّ أهم منطقة، أو الحلقة الأساسية لتهريب السجائر.

كما تشهد دول الساحل الإفريقي تنامي ظاهرة التجارة غير المشروعة، ومنها تجارة المخدرات، خصوصاً بعد تحوّل المنطقة إلى مكان عبورٍ للمخدرات الصلبة، مثل الهيروين والكوكايين والكراك، من أمريكا اللاتينية إلى أوروبا عبر إفريقيا الغربية ثم الساحل الإفريقي، وعبر المغرب العربي١.

تنبع أهمية هذا النشاط (تجارة المخدرات) هناك من قلة الأنشطة البديلة التي تحقّق ثراءً سريعاً، وهذا ما ينطبق على ثلاث مهمات توسعت بشكلٍ ملاحظ، أبرزها تجارة المخدرات التي تحقّق نمواً سريعاً[2]؛ فقد توسّعت وبسرعة اثنان من التدفقات المختلفة، وهما: الكوكايين من أمريكا الجنوبية إلى أوروبا عن طريق ليبيا ومصر العام ٢٠٠٥م تقريباً، وتدفق صمغ الحشيش المغربي إلى ليبيا ومصر وشبه الجزيرة العربية، ويُعزى هذا النمو إلى ارتفاع الطلب في أوروبا والمشرق، كذلك بسبب فرض ضوابط مشددة على طول السواحل والحدود المغربية الجزائرية؛ الأمر الذي جعل الطرق المارة عبر منطقة الساحل التي تضعف السيطرة عليها جذابة للمهرّبين.

لقد توسعت تجارة الكوكايين بالمنطقة في الفترة بين ٢٠٠٥م – ٢٠٠٧م، وهي لا تزال مستمرة على الرغم من انكماشها في العام ٢٠٠٨م، فقد قدّر مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة المنظمة: أنّ نحو ١٤٪ من المخدرات التي تمرّ عبر غرب إفريقيا إلى أوروبا تصل أولاً إلى إحدى الدول الساحلية، وبخاصة غينيا – بيساو، وتوغو، وبينين، وغانا، وبعد ذلك يتم نقلها عن طريق الجو أو بواسطة القوارب، وكبديل يتم إرسال الكوكايين عبر خدمات الشحن الجوي إلى أوروبا، مستخدمة المطارات الداخلية في غرب إفريقيا، وتُعدّ مطارات: (نيامي، وباماكو، و واغادوغو) من بين مراكز الشحن الجوي، حيث يمرّ بعضها عبر المطارات الجزائرية.

إنّ هذه الطرق ما زالت نشطة، كما تؤكد المضبوطات خلال العامين ٢٠١١م – ٢٠١٢م في هذه المطارات[3]، وقد جاء على لسان إمنوال لوكير نائب مدير مكافحة الجريمة المنظمة وتجارة المخدرات قوله: «إنّ بعض دول إفريقيا الغربية التي تقع خلف الشريط الحدودي

(١) د امحند برقوق: المعضلات الأمنية في الساحل الإفريقي وتداعياتها على الأمن الوطني الجزائري، (مجلة الجيش، مديرية الإعلام والاتصال والتوجيه، الجزائر، العدد ٥٣٤، جانفي ٢٠٠٨م) ص ٥٢.

(٢) امحند برقوق: الساحل الإفريقي بين التهديدات الداخلية والحسابات الخارجية، (جريدة الشعب الجزائر، العدد الأول، جانفي ٢٠٠٨م)، ص ١٣.

(٣) Seeforexample, saisie de prés de 1.5kg de cocainea l'aéroport international houari boumediene, Elwatanmay 17,2012,plus 2kg de cocaine saisis a l'aéroport d'alger, Elwatanmay 10,2012, huit stewardsd' airalgériearréte pour trafficdecocaine ,des fils de personnalités protéges Dernier nouvelle ,d'algérie, novembre 15,2011 http://www.google.dz/#q=www-dna-algerie.com+%2Finterieur+%2Fhuit+-stewards--d-air-algerie+-arretes-pour+trafic+de+cocaine+des+fils+de+personnalites+proteges.

الجنوبي للجزائر أصبحت طريقاً مفضلاً لنشاط التجارة الدولية للكوكايين الوافد من أمريكا اللاتينية في اتجاه أوروبا».

وكذا تشهد دول الساحل تنامي ظاهرةٍ خطيرة، ألا وهي التجارة بالأسلحة، ويُشار في هذا السياق إلى أنّ الانكشاف الأمني الذي تعيشه دولة مالي يمثّل تهديداً مباشراً للأمن بالمنطقة، خصوصاً بعد انتشار ملايين قطع السلاح الخفيف والثقيل بعد انتهاء الثورة الليبية، وإمكانية وصول هذه الأسلحة إلى أيدي جماعات الجريمة المنظمة المنتشرة في المنطقة، في هذا الصدد يحذر رزاق بارة من أنّ هناك: «قرابة مليون قطعة سلاح تُباع وتُشترى دون رقيب في الساحل الإفريقي...»، ويضيف قائلاً: إنّ «سقوط الدولة الليبية بين أيدي الميليشيات، والتدخّل غير المدروس لحلف شمال الأطلسي في هذا البلد، نتج عنه استباحة مخازن السلاح وتهريبها، ونقلها إلى منطقة الساحل مع قوافل الجنود الطوارق العائدين لديارهم، ومعظمهم من إقليم أزواد شمال مالي مدججين بالأسلحة»[1].

ومن جانب آخر؛ تزايدت - مؤخراً - عمليات الاختطاف للحصول على الفدية، والتي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتنامي وجود تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي في منطقة الساحل، والتي كانت محركا رئيساً له، وقد ركزت عمليات الاختطاف على الرعايا الأجانب من حينٍ لآخر، لغايات سياسية أو مالية، حيث نُفذت العديد من عمليات الاختطاف، نذكر منها اختطاف ٣٢ سائحاً أوروبياً في جنوب الجزائر عام ٢٠٠٣م، وقد شملت عمليات الاختطاف مواقع في جنوب الجزائر، وتونس، وموريتانيا، والنيجر، فضلاً عن شمال مالي، وركّز الخاطفون على مواطني الدول التي كانت معروفة باستعدادها للتفاوض على دفع الفدية[2].

كما تعدّ الهجرة غير الشرعية من أخطر المهددات الأمنية؛ نظراً لارتباطها الوثيق بباقي أشكال الجريمة المنظمة، مثل: تهريب المخدرات، وتجارة السلاح، وتزوير الأوراق النقدية، وعملية تبيض الأموال... إلخ، وحسب دراسة أجرتها المنظمة العالمية للهجرة؛ فإنّ ما بين ١٥ و ٣٠ مليون مهاجرٍ غير شرعيٍّ، يجولون في مختلف دول العالم، يوجد بينهم ٧٠٠ ألف طفل وامرأة، وهذه الفئة هي الأكثر استهدافاً من قِبل المهرّبين الذي يسعون إلى تهريبهم عبر الحدود والموانئ[3]، وتضطلع المنظمات الإجرامية في دول إفريقيا عموماً ودول الساحل الإفريقي بتهريب أعدادٍ كبيرةٍ من المهاجرين الذين يغادرون بلدانهم لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية، وإدخالهم بصورة غير مشروعة إلى البلدان المتقدمة.

رابعاً: انعكاسات الجريمة المنظمة:

أصبحت الجريمة المنظمة تمثّل أحد الأخطار التي تهدّد الأمن والاستقرار على كلّ المستويات.

١ - الآثار الاجتماعية:

تؤدي الجريمة المنظمة إلى تهديد أمن الإنسان وزوال الطمأنينة لدى المواطنين؛ من خلال إشاعة الخوف وبثّه في نفوس الناس، بسبب لجوء عصابات الإجرام المنظم إلى وسائل التهديد والعنف، بل ارتكاب جرائم القتل لإرهاب الشعوب.

إنّ من شأن الانفلات الأمني والانتشار الواسع لتجارة السلاح أن يهدّد على أكثر من صعيدٍ استقرار دول منطقة الساحل، وحتى دول شمال إفريقيا؛ إذ تساهم الجريمة المنظمة في المساس بالأمن الصحي من خلال ما ينتج عن تجارة المخدرات من أضرار تحيق بحياة الفرد

(١) عاطف قدادرة، رزاق بارة، يحذر من عسكرة الأزمة والصراعات الإثنية.. في مالي مليون قطع سلاح غير مراقبة في الساحل، جريدة الخبر، ٢٠١٣/٠٣/٠٥م، ص ٣.

(٢) International Crisis Group, Islamist Terrorism In the sahel: fact or Fiction, Brussels, publisher, 2005.

(٣) سني محمد آمين، متوفر على الرابط: // http: snimedamine .maktoobblog.com.

وبصحته وبحياته وسلوكياته[١].

كما تساهم (الجريمة المنظمة) في نشر مختلف أنواع الأمراض عن طريق المهاجرين غير الشرعيين ونقلهم لكلّ أنواع الأمراض، وبخاصة مرض السيدا، والذي تمثّل إفريقيا أعلى النسب العالمية لحامليه، إضافة إلى الأمراض الأخرى الفتاكة، كالطاعون والكوليرا، وهذا الانتشار الواسع لهذه الأمراض مرشّح للزحف أكثر نحو المناطق الشمالية للقارة، خصوصاً أنّ هناك دولاً، مثل السنغال والنيجر، يدخل مواطنوها التراب المغاربي بسرية دون الخضوع للرقابة الطبية[٢].

ومن جانب آخر؛ فإنّ المخدرات تساهم في الانحطاط الأخلاقي والضعف العام للبنى الاجتماعية، وتزيد من الانقسامات داخل المجتمع؛ مهدّدة بذلك التجانس المجتمعي للدولة، ومعرّضة إياها للصراعات؛ فهنالك ارتباطٌ قويٌّ بين تجارة المخدرات وبين تمويل بعض النزاعات الداخلية وتجارة الأسلحة.

ويتمثّل التأثير السلبي للجريمة المنظمة على الجانب الأخلاقي في نشر الفساد بين أفراد المجتمع، وانتشار الرشوة، وتفشي الممارسات غير الأخلاقية، وانهيار القيم الدينية والاجتماعية؛ ما يؤدي إلى هدم كيان الأسرة وتفكيكها، وضعف تماسك بنى المجتمع، هذا بجانب ما تسبّبه بعض أنشطة الجريمة المنظمة، كتجارة الرقيق، من إهدارٍ لآدمية الإنسان وكرامته.

٢ - الآثار الاقتصادية:

للجريمة المنظمة تأثيرٌ واضحٌ على اقتصاديات دول الساحل الإفريقي؛ بحكم ما تسبّبه عصابات الجريمة المنظمة على حركة الأفراد والأموال من تهديدات، خصوصاً في ظلّ وجود أشكالٍ مختلفة للجريمة الاقتصادية وتنوع أساليب ارتكابها[٣].

فضلاً عن تأثيرها السلبي على المناخ الاستثماري للدول، وغالباً ما يكون القطاع السياحي أكثر القطاعات تضرّراً في هذه الدول.

وبالنظر إلى أنّ أغلب العمليات الإجرامية تهدف إلى نشر الرعب والخوف في الأوساط الاجتماعية؛ فإن ذلك يدفع الحكومات إلى توجيه مخططات أكبر لأغراض الأمن والدفاع؛ بدلاً عن توجيهها نحو أغراض أخرى تنموية بالدرجة الأولى، فعلى المستوى الاقتصادي تقوم عصابات الجريمة المنظمة بالسيطرة على قطاعٍ ما من الاقتصاد أو على الاقتصاد بأكمله، وذلك بسبب ما تملكه من مبالغ طائلة، فضلاً عن تأثيرها على بعض المسؤولين في القطاع الخاص، واستغلالهم لتنفيذ جرائمها أو التغاضي عنها عن طريق الرشوة أو الابتزاز.

كما تقوم عصابات الجريمة المنظمة بالتهرّب الضريبي، والتشجيع على المعاملات المشبوهة، إضافة إلى عمليات غسيل الأموال التي تقوم بها لإخفاء مصادر أموالها غير المشروعة؛ وهو ما يؤدي في النهاية إلى خسائر اقتصادية على مستوى الأفراد والشركات، وحتى على مستوى الاقتصاد بأكمله[٤]، فهو يخفي من جهةٍ آثار العمل الجرمي، ويمكّن من جهةٍ أخرى الفاعل من التمتع بثمار عمله؛ فيكون بذلك عاملاً مشجعاً على استمرار الجريمة وازديادها وارتكاب المزيد من الفساد.

كما يترتب على تسلل العائدات غير المشروعة إلى قطاعات كاملة من الاقتصاديات الوطنية آثارٌ سلبيةٌ تضرّ بالتنمية الاقتصادية، وتؤثر تأثيراً مباشراً في اقتصاديات الدول المغاربية.

---

(١) مصطفى عبد المجيد كاره: الجريمة المنظمة: الجريمة الدولية في العالم، ط١، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٩٩٩م، ص ٨٦.

(٢) ظريف شاكر: البعد الأمني الجزائري في منطقة الساحل والصحراء الإفريقية التحديات والرهانات، مذكرة ماجستير، (جامعة باتنة: كلية الحقوق قسم العلوم السياسية)، ٢٠٠٨م – ٢٠١٠م، ص ١١٠.

(٣) داود خيرالله: الفساد بصفته ظاهرة عالمية وآليات ضبطها، ط٢، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م، ص ٤٣٣.

(٤) نسرين عبدالحميد: الجريمة المنظمة عبر الوطنية، مصر – دار الفكر الجامعي، ص ٨٣ – ٨٤.

٣ - الآثار السياسية:

تساهم الجريمة المنظمة بشكلٍ كبير في زعزعة الاستقرار السياسي للدول، وذلك من خلال فقدان الثقة في العملية الديمقراطية، وفشل الحكومات في السيطرة على الجريمة، ودور الأخيرة في إفساد أجهزة الدولة عن طريق رشوة المسؤولين وأصحاب القرار السياسي في الدولة وابتزازهم، واختراق الأحزاب والتنظيمات السياسية للوصول للسلطة والحفاظ على مصالحها؛ ما يؤدي في النهاية إلى تشويه العملية الديمقراطية، وسقوط الأنظمة السياسية في هذه الدول.

كما تعرّض المنظمات الإجرامية سيادة الدول للخطر؛ فتنظيم المرور عبر حدود كلّ دولة هو صفة أساسية من صفات سيادتها، وهو ما تتجاوزه المنظمات الإجرامية عبر الدول؛ حيث تجتاز بجرمها الحدود، والدولة عاجزة عن التحكم في حدودها ومنع انتقال الجريمة إلى أراضيها؛ وفي هذا تحدٍّ لسلطة الدولة وسيادتها، بل لما يشكّل جزءاً جوهرياً من مفهوم الدولة.

إنّ المنظمات الإجرامية عبر الدول - بحكم طبيعتها - تقوّض المجتمع المدني، وتضيف درجة من الاضطراب على الشؤون السياسية المحلية، وتتحدى الأداء المعتاد للحكومة وسريان القانون، وتشلّ سلطة الحكومة، ولربما هيمنت على الحكومة نفسها وأصبح النفوذ والسلطة بيدها، فطوال الثمانينيات كانت الجريمة المنظمة في إيطاليا وكولومبيا على علاقات وثيقة بالأحزاب السياسية الحاكمة وتسللت إلى داخل الحكومة، كما قامت بقتل رجال الشرطة والقضاة والسياسيين والموظفين العموميين[1].

خامساً: آليات مكافحة الجريمة المنظمة:

١ - على المستوى الدولي (دور الأمم المتحدة):

تُعدّ مؤتمرات الأمم المتحدة لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين (التي تُعقد كلّ خمس سنوات) من أهم المؤشرات على الاهتمام الذي توليه الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة، ومن أبرز هذه المؤتمرات نذكر:

أ - مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد بجنيف سنة ١٩٧٥م: يُعدّ أول مؤتمرٍ يطرح الجريمة المنظمة للدراسة والنقاش بوصفها ظاهرة قائمة.

ب - مؤتمر الأمم المتحدة السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد في كاراكاس عام ١٩٨٠م: أكد أنّ الجرائم المرتكبة ضدّ الأشخاص والممتلكات ليست وحدها أخطر الجرائم وأشدها ضرراً، فهناك أيضاً ما يُعرف بإساءة استخدام السلطة، أو الجرائم الاقتصادية التي تُعدّ من أخطر الجرائم.

ج - مؤتمر الأمم المتحدة السابع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد في ميلانو عام ١٩٨٥م: الذي أوصى بضرورة بذل الجهود لمكافحة ظاهرة الاتجار غير المشروع بالعقاقير المخدرة وإساءة استعمالها.

د - مؤتمر الأمم المتحدة الثامن لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد بهافانا عام ١٩٩٠م: دعا إلى اتخاذ إجراءات وطنية ودولية فعّالة ضد الجريمة المنظمة والنشاطات الإرهابية، ووضع عدداً من الإجراءات الموضوعية لتعزيز التعاون الدولي في مجال مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية، وذلك باعتماد المعاهدات النموذجية بشأن تسليم المجرمين وتبادل المساعدات في المسائل الجنائية.

ذ - مؤتمر الأمم المتحدة التاسع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد بالقاهرة في القاهرة عام ١٩٩٥م: أكد انتشار ظاهرة الجريمة المنظمة في مختلف أنحاء العالم، ودعا إلى ضرورة وضع الخطط والسياسات، وتوسيع التعاون والبحث في مجال الجريمة المنظمة ومكافحتها بكلّ الوسائل.

هـ - مؤتمر الأمم المتحدة العاشر لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد في فيينا عام ٢٠٠٠م: أشار

(١) محمد إبراهيم زيد: الجريمة المنظمة وأساليب مكافحتها، الرياض: مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٩٩٩م، ص ١٠٢.

إلى جسامة الأخطار المترتبة على ارتكاب الجرائم الخطيرة ذات الطبيعة العالمية، وبشكلٍ خاصٍّ الجريمة المنظمة بمختلف أشكالها.

خ - مؤتمر الأمم المتحدة الحادي عشر لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد في بانكوك عام ٢٠٠٥م: نوّه إلى أنّ المدة التي عُقد فيها المؤتمر شهدت تغيرات سريعة في صور الإجرام العالمية، وأنّ الأمن أصبح شاغلاً رئيساً.

و - مؤتمر الأمم المتحدة الثاني عشر لمنع الجريمة المنظمة ومعاملة المجرمين المنعقد في السلفادور عام ٢٠١٠م: أقرّ بضرورة اتخاذ التدابير الجنائية اللازمة من أجل التصدي لتهريب المهاجرين والاتجار بالأشخاص، وغيرها من الجرائم المنظمة، وتوثيق التعاون الدولي في هذا المجال على كلّ المستويات[١].

ومن الجلي أنّ منظومة الأمم المتحدة تحظى بطائفة عريضة من الخبرات التي يمكن أن تقدّمها إلى المجتمع الدولي وهو يصارع التحديات المعقدة التي أوجدتها شبكات الاتجار في منطقة الساحل، ويقوم العديد من هيئات الأمم المتحدة بالفعل بالعمل في المنطقة بشأن موضوع شبكات الاتجار، مثل: مكتب الأمم المتحدة لغرب إفريقيا، ومكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، والمنظمة الدولية للهجرة، ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين[٢].

٢ - على المستوى الإقليمي (الدور الإفريقي):

يمكن تقسيم الجهود الإقليمية على المستوى الإفريقي إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: ما قبل تأسيس النيباد (أي الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا): حيث تمّ إدراج بعض المواد الخاصة بتعريف الجريمة والإرهاب في المعاهدة المُنشئة لمنظمة الوحدة الإفريقية، فمثلاً حدّد الميثاق التأسيسي للمنظمة النشاطات التي تضرّ بأمن الأفراد والجماعات وأدانها بشكلٍ صريح، وذلك في المادة (٠٥) من الفصل (٠٣)، حيث: «يدين بكلّ صراحة كلّ أشكال الاغتيالات السياسية والنشاطات التخريبية من طرف دول مجاورة أو أي دولة أخرى».

وقد تعززت هذه المواقف فيما بعد بقمة داكار بالسنغال، والتي قررت وضع آليات للوقاية من النزاعات وتسييرها بما يضمن حلها بشكلٍ سلمي.

المرحلة الثانية: ما بعد النيباد: أفرزتها محدودية الترتيبات السابقة، والنقائص التي شابت المؤسسات الإقليمية التي اضطلعت بدور تعزيز إجراءات الأمن والاستقرار في القارة، حيث اندلعت عددٌ من الصراعات المسلحة، وتفاقمت الجريمة المنظمة والإرهاب في شمال القارة وجنوبها.

كلّ هذه المعطيات دفعت لإعادة النظر في التنظيمات القائمة لجعلها أكثر مرونة، وكانت أول خطوة من القادة الأفارقة إبدال منظمة الوحدة الإفريقية بمنظمة الاتحاد الإفريقي، وذلك خلال اللقاء الوزاري في ٢/٦/٢٠٠٠م، حيث الإعلان الرسمي عن ميلاد التنظيم القديم الجديد خلال قمة «لومي» بتوغو بين ١٠ و ١٢ جويلية ٢٠٠٠م.

وكنتيجة لهذا التصور الجديد الذي طرأ على العمل الإفريقي المشترك تمّ خلال الدورة ٣٧ لاجتماع زعماء القادة الأفارقة من خلال الاتحاد الإفريقي طرح وثيقة الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا NEPAD في جويلية ٢٠٠١م، حيث تم التأكيد في هذه الوثيقة على تدعيم الحكم الرشيد كمطلبٍ مركزيٍّ للأمن والسلم والاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وركزت المبادئ الجديدة التي انبثقت عن المبادرة الجديدة على وضع الآليات اللازمة والضرورية للوقاية من عدة مخاطر؛ أبرزها الجريمة المنظمة.

---

(١) مؤتمرات الأمم المتحدة لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين، متوفر على الرابط: http: //www.un org/ar/events/archives.shtml

(٢) مذكرة مفاهيمية بشأن أثر الجريمة المنظمة عبر الوطنية على السلام والأمن والاستقرار في غرب إفريقيا ومنطقة الساحل، رسالة مؤرخة ٨ شباط/فبراير ٢٠١٢م، موجهة إلى الأمين العام من الممثل الدائم لتوغو لدى الأمم المتحدة، مجلس الأمن، الأمم المتحدة.

وتبـذل بلدان السـاحل جهوداً لمكافحـة الجريمة المنظمة، إلا أنها لم تحقّق سـوى تقدّم ضئيلٍ في تفكيك بعض شـبكاتها، فعلى الرغم من الجهـود الحالية التي تبذلها دول منطقة السـاحل في إطـار منظمة الاتحاد الإفريقي؛ فإنها ما لم تحصل على مسـاعداتٍ كبيرةٍ من الخارج لن تتمكن من القضاء الفعلي على شبكات الاتجار.

وفي خلال السـنوات الأخيرة قدّمـت دولٌ عديدةٌ مساعدات ثنائية، عسـكرية ومالية وتقنية، ويذكر هنا – على سـبيل المثال – إعلان واشنطن عن إجراء مناورات عسـكرية بدولة مالي، بمشاركة كلٍّ من الولايات المتحدة الأمريكيـة ودول المنطقة: تشـاد، ومالـي، وموريتانيا، والمملكة المغربية، والنيجر، والسنغال، وأخيراً نيجيريا[1].

كما نجـد تقريراً لبعثة التقييم المعنية بتأثير الأزمة الليبية على منطقة الساحل، الذي قُدّم إلى مجلس الأمن فـي كانون الثاني/يناير ٢٠١٢م، بالإضافة إلى التدابير الوارد تفصيلها في التقرير؛ فإنّ الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقـي والجماعة الاقتصادية لدول غـرب إفريقيا؛ قامت جميعها باتخاذ خطوات لوضع ترتيبات للتنسـيق بهدف تعزيز جهودها المبذولة للقضاء على الاتجار غير المشروع.

وهناك على- وجه التحديد- خطة عمل للاستجابة الإقليمية تابعة للجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، اعتمدها رؤسـاء الدول والحكومات في أبوجا في كانون الأول/ديسـمبر ٢٠٠٨م، والتي انتهت رسـمياً في كانون الأول/ديسـمبر ٢٠١١م، وخطة عمل للاتحاد الإفريقي بشـأن مراقبة المخـدرات ومنع الجريمـة (٢٠٠٧م – ٢٠١٢م)، ومبادرة سـاحل غرب إفريقيا المشـتركة بين الأمم المتحدة والجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، والتي يتم بموجبها تنسـيق بناء القدرات في سيراليون، وغينيا، وغينيا – بيسـاو، وكوت ديفـوار، وليبيريا، وهي تركز أساساً في إنشاء وحدات لمنع الجريمة عبر الوطنية في كلّ بلد.

الخاتمة:

علـى الرغم من الجهـود التـي تبذلها دول منطقة السـاحل في مكافحة الجريمة المنظمة؛ فإنّ التطور الواضح الذي شهدته شبكات الاتجار في المنطقة يعكس مـدى عجز الجهود المبذولة في مكافحة الإجـرام المنظم، ويُعـزى جزءٌ من المعضلة، التي تكتنف تنظيم استجابة فعّالة لهذه المشـكلة، إلى ضعف القدرة المؤسسـية لدول المنطقة، والتي تُعدّ من أشدّ المناطق حرماناً من المزايا في العالم.

فكثيراً ما تواجه هذه الجهود بأشـخاصٍ وشـبكاتٍ أقوى منها، وبأولويات أخرى، وهو ما يتطلب فرض حلولٍ لمجابهة هذا الخطر المتنامي، وقد خلصت الدراسة إلى طرح مجموعـة حلول للتصدي لخطر الجريمة المنظمة، تتمثل في:

١ – إقامة أنظمة حكم ديمقراطية معبّرة عن الإرادة الحرة للشـعوب، تحرص على سـلطة القانـون وتوفير الحريات للمواطنين، وتحترم حقوق الإنسان، ومؤسسات المجتمع المدني، وتتفاعل معها باعتبارها شريكاً حقيقياً في إدارة شؤون البلاد وتنفيذ برامج التنمية.

٢ – اعتمـاد التنمية المسـتدامة والحكم الصالح والديمقراطيـة في السـاحل الإفريقي، فهـي آليات ضروريـة لإحداث التغيير داخل أنظمة دول السـاحل، التي ستجد نفسـها – إذا التزمت وطبقت آليات الحكم الراشد والتنمية المستدامة – مؤهَّلة للدخول في مسارٍ تكاملـيٍّ مع توفر إرادة سياسـية، وتشـريعات ضامنة ومؤسسـات وقضـاء مستقل، التي تُعدّ ضماناً لممارسة الحكم الرشيد.

٣ – ضرورة استعانة دول الساحل الإفريقي ببعضها البعض على نحوٍ يتمّ فيه حشد الجهود والطاقات الوطنية والدولية جميعها لمواجهة تحديات جرائم من نوعٍ جديدٍ في الأسلوب والقوة والنطاق ■

(١) ٢١ واشنطن تختفي وراء مكافحة القاعدة؛ للاستيلاء على نفط في الساحل. متوفر على الرابط: http: //www. alkifrig.com .

الألغام في إفريقيا بين تحديات الأمن وقيود التنمية

د. صبحي رمضان فرج
مدرس جغرافية البيئة - كلية الآداب / جامعة المنوفية - مصر

الألغام والمتفجرات من الأسلحة الفتاكة التي لها تأثيرٌ طويل الأمد على الشعوب بعد انتهاء الحروب والصراعات بعقودٍ طويلة، ولقد أدى التوسع في استخدام الألغام المضادة للأفراد وزرعها بشكلٍ عشوائيٍّ إلى كارثةٍ إنسانيةٍ كبيرة، يذهب ضحية لها الإنسان والحيوان، وتشكّل خطراً على البيئة، وتؤدي إلى إعاقة تنفيذ مشروعات التنمية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- تُعدّ قارة إفريقيا من أكثر القارات الملغومة في العالم (٤٤٫٩ مليون لغم في مطلع القرن الحالي)، نتيجة سهولة تصنيع الألغام ورخص تكلفتها، بالإضافة إلى كثرة الحروب والصراعات بالقارة.
- للألغام تأثيرٌ على تنمية القارة؛ لإعاقتها الوصول لمساحاتٍ كبيرةٍ من الأرض، والحيلولة دون استغلال مواردها.
- ارتفاع عدد ضحايا الألغام في إفريقيا إلى (١٦٣٩٠ ضحية) خلال الفترة (١٩٩٩م - ٢٠٠٨م)، بالإضافة إلى (٨٥٥٨ ضحية) بإقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وهو ما يزيد على ثلث ضحايا الألغام في العالم (٣٣٫٩٪).

لَغَـــم / لُغْم، والجمع: ألغام: هو جهازٌ يحوي حشـــوة متفجرة، مصمّم لتدمير الأشـــخاص أو الدبابـــات أو المركبات أو الســـفن، يُزرع على ســـطح الأرض أو فـــي باطنهـــا، أو طافياً على سطح البحر أو مغموراً في مياهه، ويؤثّر تأثيراً مباشراً بناتج انفجاره، أو غير مباشر بالشظايا أو الموجة المصادمة[١].

ويمكـــن أن تكون الألغام البرية غير موجهة، تعمل بمجـــرد أن يطأها الإنســـان أو المركبة، وموجهة يمكن تحويلها من وضعية «الأمان» إلى وضعية «القتال» بإشـــارة لاسلكية من المسؤول عن حقل الألغام.

ومن أنواعها:

- الألغام المضادة للدبابات Anti-tank: وتشـــمل اللغـــم العـــادي، واللغـــم ذا المفعول التأخيري، ويُســـتخدم لتدمير الدبابة الكاسحة للألغام.

- الألغـــام المضـــادة للأشـــخاص Anti-personnel .

- الألغـــام القابلة للكشـــف، أو غير القابلة للكشف.

- الألغام المفخخة.

- الألغـــام الوثّابة التي ترتفع عند انفجارها متراً أو أكثر[٢].

وتتباين أقطار هذه الألغـــام، فبينما يتراوح قطـــر اللغم المضـــاد للدبابات بيـــن ٢٠ - ٣٠ ســـنتيمتراً، ينخفـــض قطـــر اللغـــم المضاد للأشخاص ليتراوح بين ٥ - ١٥ سنتيمتراً[٣].

(١) الموسوعة العربية http://www.arab-ency.com .

(٢) المصدر السابق.

(٣) Kalifa,I., Youssif, A., Adel, A., Explosive Detection in El Alamein, International Journal of Computer Application, Volume 81-No.9, November 2013, p.18. From: Gader,p.,

بحلول مطلع القرن الحالي؛ بلغ إجمالي عدد الألغام بالقارة الإفريقية حوالي 44,9 مليون لغم

وخلال ربع القرن الأخير تمّ تصنيع أكثر من ٢٠٠ مليـــون لغم، نصفها على الأقل دُفن بالفعل في مـــكانٍ ما تحت ســـطح الأرض، كما تفتقد معظـــم حقـــول الألغام في العالـــم إلى خرائط دقيقة؛ وهو ما يعيق تطهيرها، ويرفع من تكلفة عمليات إزالة الألغام منها[٤].

وتتمثّـــل خطـــورة الألغـــام في الخســـائر البشـــرية الناجمة عنها، وفقدان التنوع الحيويّ فـــي المناطـــق المتأثـــرة بهـــا، فقد تســـبّبت الألغـــام، وغيرها من الذخائر غيـــر المتفجرة Unexploded ordnance، خـــلال الفتـــرة (١٩٤٠م -١٩٨٠م) فـــي قتل ١٢٥ ألف رأس من الإبل والأغنام والماعـــز والأبقار في ليبيا، وبلغ مجموع التكلفة المباشرة للأضرار التي سبّبتها الألغام في أفغانســـتان حوالي ١٥٥ مليون دولار (شملت الحيوانات والمركبات)[٥].

2002. Available at:(http://research.ijcaonline.org/volume81/number9/pxc3891802.pdf).

(٤) ماري يعقوب: حدائق الشيطان مدفونة في مصر، مجلة البيئة والتنمية، العدد ٧٩، أكتوبر ٢٠٠٤م.

(٥) Gangwar,A., Impact of War and Landmines on Environment, "Landmines - Challenges to Humanity and Environment", organized by Indian Institute of Peace, & Global Green Peace, India, 20 April 2003, Available at: (http://www.mtnforum.org/sites/default/files/

وتشير بيانات المركز العالمي لرصد حماية الطبيعة (WCMC) إلى ارتفاع عدد الأنواع الحية المهددة بالأقطار المتأثرة بحقول الألغام إلى ٤٣٤ نوعاً في فيتنام، و ١٢٥ نوعاً في أنجولا، و ٥٣ نوعاً في أفغانستان، و ٨٠ نوعاً في الصومال، و ٦٢ نوعاً في كمبوديا، و ٢٨ نوعاً في موزمبيق[١].

هذا بالإضافة إلى أثرها المتمثل في إعاقة الوصول إلى الأرض؛ ومن ثمّ عدم القدرة على استغلال مواردها، أو تدهور إنتاجيتها؛ نتيجة التلوث بالعناصر الثقيلة في مواضع زرع الألغام والمناطق المحيطة، وبخاصة في حالة انفجار اللغم؛ حيث يصل التلوث بهذه العناصر إلى مدى يقدّر بنحو ٦ كيلومترات من موضع الانفجار[٢]، وتقدّر المساحة العالمية للأراضي التي يمتنع الوصول إليها، وكذلك المتدهورة نتيجة الألغام المزروعة بها بحوالي ٩٠٠ ألف كيلومتر مربع[٣].

وتحدث الغالبية العظمى من حوادث انفجار الألغام في مناطق أو بلدان تفتقر إلى البنية الأساسية الطبية المتقدمة، وإلى الموارد الكافية؛ مما يجعل تأهيل الضحايا مهمّة صعبة، وتشير الأرقام إلى أن ربع المرضى المصابين ببترٍ ناجمٍ عن الألغام الأرضية هم فقط الذين يحصلون على الرعاية المناسبة[٤].

وبصفة عامة؛ فإنّ الدول المتقدمة أقلّ معاناة في مشكلة الألغام مقارنةً بالدول النامية؛ نظراً لامتلاكها قدرة وكفاءة أكبر في التعامل معها في حال اضطرارها إلى استخدامها في العمليات الحربية، أو في عمليات التأمين والدفاع، بالإضافة إلى الخرائط الدقيقة بمواقعها، والبرامج المتكاملة للتوعية بمخاطرها ومساعدة الضحايا.

وفي ديسمبر من عام ١٩٩٧م وقّعت (اتفاقية أوتاوا) التي فرضت حظراً كاملاً على إنتاج الألغام المضادة للأفراد وتخزينها ونقلها واستخدامها، وتدمير الموجود منها، ويوجد حتى عام (٢٠١٤م) ١٦٢ دولة موقعة على الاتفاقية.

وبحسب التقديرات الواردة في تقرير مرصد الألغام الأرضية لعام ١٩٩٩م؛ كان عدد الألغام المضادة للأفراد المخزونة لدى ١٠٨ بلداً يزيد على ٢٥٠ مليون لغم، وفي عام ٢٠٠٤م بلغ عددها لدى ٦٧ بلداً ٢٠٠ مليون لغم تقريباً (٩٠٪ منها موجودة لدى دولٍ ليست أطرافاً في معاهدة حظر الألغام)، وبنهاية العام المذكور كان عدد الألغام المخزونة التي دمرتها دولٌ أطرافٌ تنفيذاً لالتزاماتها بموجب (معاهدة حظر الألغام المضادة للأفراد) يزيد على ٣٧ مليون لغم[٥]، ووفقاً لبيانات مرصد الألغام الأرضية (٢٠١٤م)؛ فقد دمرت الدول الأعضاء أكثر من ٤٨ مليون

(publication/files/1409.pdf

(١) Berhe,A.A., The Contribution of Landmines to Land Degradation, land degradation & development(8), John Wiley & Sons, Ltd.,2007,p.7. Available at:(http://atlas.geog.pmf.unizg.hr/~nbuzjak/mine/Berhe_2007.pdf).

(٢) Berhe,A.A.,Op.Cit,p.9.

(٣) Ahmed,I., Landmines: A Threat to Sustainable Development, IOSR Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS) Volume 19, Issue 3, Ver. IV (Mar. 2014), p.3. Availabe at: (http://iosrjournals.org/iosr-jhss/papers/Vol19-issue3/Version-4/A019340108.pdf).

(٤) Walsh.N.E., Walsh,W.S., Rehabilitation of Landmine Vctimes- the ultimate challenge, Bulletin of World Health Organization 2003, 81(9), p.670. Available at: www.who.int/Walsh.pdf/9/bulletin/volumes/81.

(٥) الأمم المتحدة ومكافحة الألغام، تدمير المخزون، متاح على: http://www.un.org/ar/peace/mine/destruction.shtml

لغماً أرضياً مضاداً للأفراد مخزّناً، واشتمل ذلك على أكثر من ١ مليون لغم تمّ تدميرها في عام ٢٠١٣م[١].

المحور الأول: واقع مشكلة الألغام وتحديات الأمن والصراع في قارة إفريقيا:

تُعدّ قارة إفريقيا من أكثر القارات الملغومة في العالم، وقد انتشرت الألغام في القارة الإفريقية نتيجة الحروب والصراعات الدولية والمحلية، بالإضافة إلى انتشار الجماعات المتمردة في بعض أقطار القارة، خصوصاً مع ما تتميز به من سهولة التصنيع والحصول عليها عبر مصادر التوريد الخارجية، ورخص تكلفتها[٢]، وتمثلت أهم الصراعات والحروب التي استخدمت وزرعت فيها الألغام بالقارة فيما يأتي:

- الحرب العالمية الثانية (مصر - ليبيا ١٩٤٢م): استخدمت فيها - من قِبَل قوات الحلفاء والمحور - ألغاماً مضادة للدبابات بشكلٍ أساسي، وكان للشمال الإفريقي، لا سيما مصر وليبيا، الحظ الوافر منها، ويمثل عدم توفير خرائط دقيقة لمواضعها التي زرعت بها أحد أهمّ التحديات في الوقت الراهن.

- الحروب العربية (المصرية - «الإسرائيلية») (١٩٦٧م - ١٩٧٣م): زُرعت أعدادٌ كبيرةٌ من الألغام في شبه جزيرة سيناء من قِبَل قوات الاحتلال الإسرائيلي، وبالرغم من تسليم الجيش «الإسرائيلي» خرائط حقول الألغام؛ فإنّ وقوع ضحايا بسبب هذه الألغام لا يزال مستمراً، بعضها في صفوف قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة.

- زامبيا (١٩٦٣م)، زيمبابوي (١٩٧٤م - ١٩٨٠م): ورثت زامبيا باستقلالها عام ١٩٨٠م أكثر من ١,٥ مليون لغم مضادٍّ للأفراد، تنتشر في ثمانية حقول، على مسافة ٧٦٦ كم من الحدود بين زامبيا وموزامبيق، أقدمها كانت قد وُضعت حول محطة كاريبا للطاقة قبل عام ١٩٦٣م من قِبَل حكومة روديسيا الاتحادية، بسبب النزاع للسيطرة على المرفق مع القومية الناشئة في روديسيا الشمالية (زامبيا الآن)، والبقية وُضعت حواجز ضد تسلل العصابات خلال حرب التحرير التي بدأت في عام ١٩٧٤م، وامتدت من المتنزهات الوطنية غرب شلالات فيكتوريا إلى مليبيزي، ومن كانيمبا على طول الحدود الموزمبيقية إلى قرب الحدود مع جنوب إفريقيا.

- جنوب إفريقيا والدول المجاورة (١٩٦٠م - ١٩٩٤م): استخدمت الألغام في النزاعات بين جنوب إفريقيا والجماعات المناهضة لسياسة الفصل العنصري والأخرى التي تسعى لاستقلال ناميبيا، وقد وضعتها القوات الجنوب إفريقية في المقام الأول بمناطق مُسَيّجة ومُعَلّمة حول المخيمات والمنشآت العسكرية، بينما الألغام التي زرعتها القوات المناوئة تميّزت بالانتشار العشوائي للحدّ من تنقل القوات الجنوب إفريقية.

- تشاد (١٩٧٣م - ١٩٩٤م): بعد أن انسحبت القوات الليبية من الشمال التشادي تركت ألغاماً مضادة للدبابات في شريط Aozou في شمال تشاد، وكانت قد وضعت بعض الألغام بشكلٍ منتظم، لكن معظمها قد وُضع بشكل عشوائي، ولم تسلّم بها خرائط للحكومة التشادية.

(١) مرصد الألغام الأرضية & الذخائر العنقودية، النتائج الرئيسية، ٢٠١٤م، متاح على: www.the-monitor.org

(٢) تبلغ تكلفة زراعة اللغم ٣ دولارات، بينما تزيد تكلفة إزالته على ١٠٠٠ دولار. انظر:
Robledo,L.,Carrasco,M.,Mery,D., A survey Of Land Mine Detection Technology, International Journal of Remote Sensing, 2008.

– أنجـــولا (١٩٧٥م – ١٩٩٧م)[١]: وضعـــت الألغـــام مـــن قِبَل الجيـــش الكوبـــي، والجيش الأنجولـــي، والقوات الجنـــوب إفريقية، والقليل جـــدّاً من حقول هذه الألغام تمّ تمييزه ورســـمه على خرائط تحدّد مواقعها بدقة، وكانت الألغام قد زُرعت على الطرق لمنع الوصول إلى وســـط البلاد، كما زُرعت على مهابط الطائرات والسكك الحديدية، وطوقت حقولها بعض المدن الكبرى.

وتـــم تطهيـــر بعـــض المناطق مـــن حقول الألغام بعد اتفاقية الســـلام بيسيس Bicesse عـــام ١٩٩١م، وانخفضت أنشـــطة التطهير في الفترة التي أعقبت اتفاقية الســـلام في لوساكا Lusaka عام ١٩٩٤م.

وتعـــد أنجولا مـــن أكثر بلـــدان القارة التي تعاني مشكلة الألغام وخسائرها، حيث تأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد الأشـــخاص الذين بُترت أقدامهم نتيجة الألغام؛ بعد دولة كمبوديا.

– رونـــدا (١٩٨٩م – ١٩٩٧م)[٢]: خـــلال الفترة الممتدة بين الإبادة الجماعية (أبريل – يونيو ١٩٩٤م) وطرد القوات الحكومية؛ زرعت الأخيـــرة ألغاماً مضادة لأفراد ودبابات الجبهة الوطنيـــة الرواندية، في حزام يمتد شـــمالي البـــلاد (تحّول فيما بعد إلـــى منطقة منزوعة الســـلاح)، وبعض حقول الألغام تمّ تســـجيلها وإتاحتها للأمـــم المتحدة، لكنهـــا كانت غير

(١) انضمت رواندا وأنجولا إلى اتفاقية حظر الألغام عام ١٩٩٧م، صادقت الأولى عليها في ٨ يونيو من عام ٢٠٠٠م، وصادقت الثانية عليها في ٥ يوليو من عام ٢٠٠٢م، وطبقاً للمادة (٥) من اتفاقية حظر الألغام كان من المقرر أن تنتهي رواندا من تدمير كل الألغام الأرضية المضادة للأفراد بكامل أراضيها عام ٢٠١٠م، وأن تنتهي أنجولا من ذلك عام ٢٠١٣م، وبحسب تقرير رصد الألغام الأرضية (٢٠١٣م) لم تنجح الأخيرة في الوفاء بالتزامها في التاريخ المحدد، فيما نجحت الأولى في ذلك.

(٢) انظر: التوضيح السابق.

تعاظمت بمرور الوقت الخسائر التي مُنيت بها مصر من جرّاء الألغام، إضافة إلى الأبعاد الأمنية والاجتماعية لها، ويتمثل الجانب الذي يبدو أكثر خطورة في الخسائر البشرية

مكتملة. وأثناء انسحاب قوات الهوتو إلى زائير تمّ دفن العديد من الألغـــام المضادة للأفراد عشـــوائياً – كثيـــر منها زُرع فـــي المدن مثل روهنجيري وكيجالي–، وكانت لا تحمل علامات مميزة وغير مسجلة.

– موزمبيـــق (١٩٧٦م – ١٩٩٣م): كانت الألغام قد وُضعت من قِبَـــل الجيش البرتغالي، وفيما بعد من خلال حركتي الفرليمو والرينامو، وكذلك قوات جنوب إفريقيا والقوات الروديسية، إلا أنّ العديد من حقول هذه الألغام كذلك لم تُسجل على الخرائط، وما تمّ تسجيله يفتقد إلى الدقة والوضوح.

– ليبيريـــا (١٩٨٩م – ١٩٩٧م)[٣]: زُرعـــت أعدادٌ محدودة من الألغـــام المضادة للدبابات، وذلك مـــن قِبَل الجبهة الوطنية القومية ضدّ كلٍّ من القوات الحكومية وقوات حفظ السلام، ومن المحتمل أن تمتـــد عمليات زرع الألغام لظروف الصـــراع الداخلي في ليبيريـــا، وقد لوحظ أنه لا توجـــد علامـــات أو خرائط لمواقـــع الألغام المزروعة في تقرير المهمّة الاستطلاعية لفريق الأمم المتحدة في عام ١٩٩٣م.

(٣) انضمت ليبيريا إلى الاتفاقية عام ١٩٩٩م، حيث أنه بعد دخول الاتفاقية حيز التنفيذ فإنّ الدول قد لا توقعها، ولكن تصبح ملتزمة بها عبر إعلان الانضمام لها (المادة ١٦).

– الصومـــال (١٩٨٥م – ١٩٩١م): زُرعـــت حقول الألغام الرئيسة من خلال قوات الجنـرال محمد ســياد بري (ثالث رئيــس للصومال بعد الاســتقلال)، وقدّمــت خرائط ســطحية غير مجدية إلى حدٍّ كبيرٍ في أغراض التطهير، وقد اســتُخدمت الألغام على نطاقٍ واسعٍ لمضايقة السكان المدنيين، كما وُضعت من قِبَل الأطراف المختلفة تعزيزاً للقتال بين العشــائر والفصائل المختلفة.

لقد تلوّثت أكثــر من نصف الدول الأطراف فــي الاتحاد الإفريقي بألغــام أو متفجراتٍ من مخلفــات الحــروب، وهي: الجزائــر، أنجولا، بوروندي، تشاد، الكونغو، كوت ديفوار، جيبوتي، جمهورية الكونغو الديموقراطية، مصر، إريتريا، إثيوبيــا، جامبيــا، غينيا، غينيا بيســاو، كينيا، ليبيريا، ليبيا، مالاوي، مالي، موريتانيا، موزمبيق، ناميبيــا، النيجــر، نيجريــا، رواندا، الســنغال، الصومال، الســودان، تونس، أوغنــدا، زامبيا، زيمبابوي، بالإضافة إلى الصحراء الغربية[١].

وبحلول مطلع القرن الحالــي؛ بلغ إجمالي عدد الألغــام بالقارة الإفريقيــة حوالي ٤٤,٩ مليون لغم، وتمثلت أكثر الدول تلوثاً بالألغام في: مصــر، إذ يوجد بها نحــو ٢٣ مليون لغم (تمثل ٢٢٪ من ألغام العالــم)، وأنجولا، وتقدّر أعداد الألغام بها حوالــي ١٥ مليون لغم، ثم موزمبيق (ثلاثــة ملايين لغــم)، والســودان والصومال وإريتريا (مليون لغم بكلٍّ منها)، ثم إثيوبيا (٥٠٠ ألف لغم)، ورواندا (٢٥٠ ألف لغم)، وتشاد (٧٠ ألف لغم)، وناميبيا (٥٠ ألف لغم)، وليبيريا (١٨ ألف لغم)[٢].

ويوجد تســع وأربعون دولة من دول الاتحاد الإفريقي[٣] أطرافٌ فــي معاهدة حظر الألغام، وثلاث دولٍ غيــر أطراف، وهي: (مصر، وليبيا، والصومــال)، بالإضافة إلى (الصحراء الغربية) التي تعتبر غير مؤهلة للانضمام للمعاهدة؛ حيث أنها غير معترفٍ بها من قبل الأمم المتحدة.

وعندما يصبح أحد البلدان (دولة) طرفاً في الاتفاقيــة؛ فإنه يكون قد وافق على ألاّ يقوم في أي وقتٍ بإنتاج ألغام أرضية مضادة للأفراد، أو استخدامها، أو تطويرها، أو تخزينها، أو نقلها، أو مســاعدة أي طرفٍ آخر علــى القيام بهذه الأنشطة، وعلى أن يدمِّر خلال فترة أربع سنوات جميــع مخزونــات الألغام الأرضيــة المضادة للأفراد، وأن يزيل خلال فترة ١٠ سنوات جميع الألغام الأرضية المضادة للأفراد التي تمّ زرعها؛ وعلى أن يقدِّم المســاعدة، في حدود إمكانياته لأنشطة إزالة الألغام، والتوعية بالألغام، وتدمير المخزونات، ومساعدة الضحايا في جميع أنحاء العالم.

إلا أنه وفقاً للمــادة (٣) من الاتفاقية؛ فإنه يُســمح بالاحتفاظ بعددٍ من الألغــام المضادة للأفراد، أو نقلها، لأغراض اســتحداث تقنيات الكشــف عن الألغــام، أو إزالتهــا أو تدميرها والتدريــب عليها، ويجب ألا تتجــاوز كمية تلك الألغــام الحدّ الأدنى المطلــق من العدد اللازم للأغراض المذكورة.

---

(١) الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية، مرصد الألغام الأرضية، مكافحة الألغام في الدول أعضاء الاتحاد الإفريقي، المؤتمر الثالث للخبراء الأفارقة في مكافحة الألغام: إفريقيا خالية من الألغام المضادة للأفراد – التقدم والتحديات، بريتوريا – جنوب إفريقيا، ١١ سبتمبر – ٢٠٠٩م، ص ٢، متاح على: http://the-monitor.org.

(٢) Ukabiala,J., Impetus Towards A Mine – Free World, Africa Recovery, April 1999, Available at: (http://www.un.org).

(٣) يضم الاتحاد الإفريقي كلّ الدول الإفريقية عدا المغرب، التي تعترض على تخصيص مقعدٍ لبعثة من الصحراء الغربية الإفريقية.

جدول (١) الـــدول الإفريقية الأطراف في (اتفاقية حظر الألغام) التي أبلغت احتفاظهـــا بأكثر من ١٠٠٠ لغم من الألغام المضادة للأفراد

الدولة	عدد الألغام المحتفظ بها	التاريخ
الجزائر	٥٩٧٠	٢٠١٢م
تونس	٤٨٤٠	٢٠١٢م
جنوب إفريقيا	٤٣٦٧	٢٠١٢م
نيجريا	٣٣٦٤	٢٠١١م
جيبوتي	٢٩٩٦	٢٠٠٤م
تنزانيا	١٧٨٠	٢٠٠٨م
أوغندا	١٧٦٤	٢٠١١م
ناميبيا	١٦٣٤	٢٠٠٩م
موزمبيق	١٣٦٣	٢٠١٢م
أنجولا	١٣٠٤	٢٠١٢م
كينيا	١٠٢٠	٢٠٠٧م
بتسوانا	١٠١٩	٢٠١٢م
الإجمالي	٣١٤٢١	-

Source: International Campaign to Landmine Monitor ,Ban Landmines .Report,2013,p.10

ووفقاً للجدول (١)؛ فقد أبلغت اثنتا عشـــرة دولة إفريقية أطـــراف في اتفاقية حظر الألغام خـــلال الفتـــرة (٢٠٠٤م – ٢٠١٢م) باحتفاظها بألغام لأســـبابٍ تجيزهـــا المـــادة (٣)، وصل مجموعها إلى (٣١٤٢١) لغماً.

ومنذ عدة ســـنوات لا يوجد استخدامٌ مؤكّد للألغام المضادة للأفـــراد من قِبَل دول الاتحاد الإفريقي، بما في ذلك دول ليســـت أطرافاً في معاهدة حظر الألغام، بالرغم من أنّ الوضع في الصومال غير مؤكّد، وإن كان هناك اســـتخدامٌ للألغـــام المضادة للأفراد مـــن قِبَل مجموعاتٍ مسلحةٍ في كلٍّ من النيجر والصومال في عامي ٢٠٠٧م و ٢٠٠٨م، لكن لم يتأكد هذا الاستخدام لدى مرصـــد الألغام مـــن خـــلال المعلومات المتاحة[١].

المحور الثاني: أعـداد ضحايا الألغام (القتلى - المصابين) بأقطار القارة الإفريقية:

خـــلال الفتـــرة (١٩٩٩م – ٢٠٠٨م) وصـــل عدد ضحايا الألغام فـــي العالم نحو (٧٣,٥٧٦ ضحيـــة)، وقعت في ١١٩ دولـــة، تراوحت بين: (١٧٨٦٧ حالة قتـــل)، و (٥١٧١١ حالة إصابة)، بالإضافـــة إلـــى (٣٩٩٨ حالـــة غيـــر معلومة) (مجهوليـــن)[٢]، وزاد هـــذا الرقـــم بحلول عام ٢٠١٠م ليصل إلى (٨٢٠٠٠ ضحية)، تنتمي إلى ١١٧ دولة بالعالم[٣]. شكل (١).

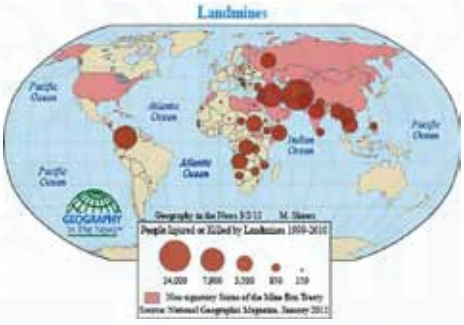

شـــكل (١) أعداد ضحايا الألغام (القتلى – المصابين) خلال الفترة ١٩٩٩م – ٢٠١٠م.

(١) الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية، مرصد الألغام الأرضيـــة، مكافحة الألغـــام في الـــدول أعضـــاء الاتحـــاد الإفريقي، مصدر سبق ذكره، ص ٤.

(٢) International Campaign to Ban Landmines, Landmine Monitor Report, 2009,p.46.

(٣) National Geography Magazine,January 2012.

جدول (٢) ضحايا الألغام الذين تمّ تسجيلهم بالدول الإفريقية في عام (٢٠٠٧م)

البلد	أعداد القتلى	أعداد الجرحى	أعداد المجهولين	الإجمالي
الجزائر	٣٠	٤٨	٠	٧٨
أنجولا	١٤	٣٤	٠	٤٨
بوروندي	٠	٠	٨	٨
تشاد	٥١	١٣١	٤	١٨٦
الكونغو الديموقراطية	٤	٢٤	٠	٢٨
مصر	٨	١٧	٠	٢٥
إريتريا	١٧	٥٣	٠	٧٠
إثيوبيا	٣١	٤٩	٤	٨٤
جامبيا	٢	١	٠	٣
غينيا بيساو	١	٦	١	٨
كينيا	١	٠	٠	١
مالي	١١	٠	٠	١١
موريتانيا	١	٢	٠	٣
موزمبيق	٢٢	٢٥	٠	٤٧
ناميبيا	٥	٧	٠	١٢
النيجر	٣٢	٦٤	٠	٩٦
روندا	٣	٧	٠	١٠
السنغال	١	٠	٠	١
السودان	٢٨	٦٣	٠	٩١
الصومال	٢٦	٤٠	٨	٧٤
أوغندا	١٠	١٣	٠	٢٣
الصحراء الغربية	١٢	٢٤	٠	٣٦
زامبيا	٢	١٧	٠	١٩
زيمبابوي	٣	٤	٠	٧
الإجمالي	٣١٥	٦٢٩	٢٥	٩٦٩

المصـدر: الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضـية، مرصـد الألغام الأرضـية، مكافحة الألغام في الدول أعضـاء الاتحاد الإفريقي، المؤتمر الثالث للخبراء الأفارقة في مكافحة الألغام: إفريقيا خالية من الألغام المضادة للأفراد - التقدم والتحديات، بريتوريا – جنوب إفريقيا، ١١ سبتمبر – ٢٠٠٩م.

على المستوى الإقليمي، خلال الفترة نفسها، جاء إقليم آسيا الباسيفيكية في طليعة أقاليم العالم بعدد (٣٣٦٢٧ ضحية)، نسبتها ٤٥,٧٪، ثم إفريقيا (١٦٣٩٠ ضحية)، نسبتها ٢٢,٣٪، ثم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (٨٥٥٨ ضحية)، بنسبة ١١,٦٪[١].

وعلى صعيد الأقطار الإفريقية؛ تصدرت أنجولا دول القارة الإفريقية في عدد ضحايا الألغام، الذي بلغ عددهم (٢٦٦٤ حالة)، تبعها الصومال بعدد (٢٣٥٤ حالة)، ثم إثيوبيا، والسودان، وجمهورية الكونغو الديموقراطية بعدد: (١٩٤٧ و ١٧٤٨ و ١٦٩٦ حالة) لكلٍّ منها على التوالي[٢].

وفي عام ٢٠١٢م؛ بلغ إجمالي عدد الضحايا (٣٦٢٨ ضحية)، توزعت بين (١٠٦٦ حالة قتل)، و (٢٥٥٢ حالة إصابة)، بالإضافة إلى (١٠ حالات مجهولة)، بمعدل ١٠ ضحايا يومياً، وهو معدل يقلّ عن نظيره خلال الفترة (٢٠٠٩م – ٢٠١١م)، والذي تراوح بين (١١ – ١٢ ضحية) يومياً، كما يقلّ بنسبة ٤٠٪ عن نظيره في عام ١٩٩٩م (٢٥ ضحية في اليوم الواحد)[٣].

وقد امتدّ الحيز المكاني لحوادث الألغام عام ٢٠١٢م ليضم ٦٢ دولة في العالم، اشتمل من القارة الإفريقية على ١٨ دولة، وهي: أنجولا، وتشاد، وجمهورية الكونغو الديموقراطية، وكوت ديفوار، وجيبوتي، وإريتريا، وغينيا بيساو، وكينيا، ومالي، وموريتانيا، وموزمبيق، والنيجر، والسنغال، والصومال، وجنوب السودان، والسودان، وأوغندا، وزيمبابوي. وجاء في صدارة هذه الدول: السودان، والتي تجاوز العدد بها مائة ضحية (١٠٩ ضحايا)[٤].

وللمجتمع الصحي دورٌ رئيسٌ في القضايا المتعلقة بالألغام الأرضية والمخلفات المتفجرة للحرب، والأكثر بروزاً هو التأكد من حدوث استجابة كافية للرعاية الصحية، سواء كانت مباشرة (كالرعاية والجراحة الإسعافية للمصابين)، أو على المدى البعيد (إعادة التأهيل)، فأغلب الذين يبقون على قيد الحياة مع الإصابة بعجزٍ دائم يواجهون موانع اجتماعية وبيئية تحول دون مشاركتهم الكاملة والعادلة في مجتمعاتهم، خصوصاً أنّ نسبة كبيرة من حوادث المدنيين الناجمة عن الألغام الأرضية والمخلفات المتفجرة للحرب تحدث عند الأطفال (قرابة ٤٢٪، حسب مرصد الألغام الأرضية عام ٢٠١٢م)[٥].

المحور الثالث: المنح والمساهمات الدولية في مكافحة الألغام:

بلغ إجمالي المساهمات الدولية لمساعدة الدول المتضررة من الألغام عام ٢٠١٢م قرابة ٤٩٧ مليون دولار، حظيت الدول الإفريقية منها بقرابة ١٤٢ مليون دولار، بنسبة ٢٨,٥٪، جدول (٣).

جدول (٣) نصيب بعض الدول الإفريقية من المساهمات الدولية الموجهة بشأن الألغام (عام ٢٠١٢م)

المسلسل	الدولة	القيمة (مليون دولار أمريكي)
١	الصومال	٢٩,٤
٢	ليبيا	٢٠,٧

(١) International Campaign to Ban Landmines, Op.Cit,p.46.

(٢) Op.Cit,p.47.

(٣) International Campaign to Ban Landmines, Landmine Monitor Report, 2013,p.37.

(٤) International Campaign to Ban Landmines,Op.Cit, 2013, pp.39-42.

(٥) ديوتن.أ، هوتنتوت.إ: الألغام الأرضية والمخلفات المتفجرة للحرب: تهديد صحي يجب عدم تجاهله، مجلة منظمة الصحة العالمية، االمجلد: ٩١، مارس ٢٠١٣م.

٣	جنوب السودان	١٩,٠
٤	أنجولا	١٣,٧
٥	موزمبيق	١٣,٧
٦	جمهورية الكونغو الديموقراطية	١٣,٢
٧	مالي	٧,٧
٨	السنغال	٥,٧
٩	السودان	٤,٨
١٠	تشاد	٣,٦
١١	إثيوبيا	٢,٥
١٢	زيمبابوي	١,٧
١٣	موريتانيا	١,٤
١٤	الكونغو	١,٣
١٥	مصر	١,٢
١٦	النيجر	١,١
١٧	بنين	١,٠
	الجملة	١٤١,٧

Source: International Campaign to Ban Landmines, Landmine Monitor Report, ,2013 p.62.

وتوزعت هذه المساهمات على: أعمال التطهير، وتدمير المخزون، والتوعية بالمخاطر، ودعم الضحايا وغيرها.

وكانت أهم الدول المانحة هي: الولايات المتحدة الأمريكية (١٥,٥ مليون دولار)، والنرويج (٤,٢ مليون دولار)، وأستراليا (٢,٨ مليون دولار)، ونيوزيلاندا (٢,٥ مليون دولار)[١].

وبالنسبة لصندوق دعم ضحايا الألغام بدول القارة الإفريقية؛ فقد ارتفعت قيمة المساهمات الموجهة لهذا الصندوق نسبياً إلى إثيوبيا (١,٧ مليون دولار)، ومصر (٥١٩,٣ ألف دولار)، والنيجر (٥١٤,٤ ألف دولار)، ثم تشاد وجمهورية الكونغو الديموقراطية (٣٢١,٥ و ٢٦٧,٠ ألف دولار لكلٍّ منهما)، وجنوب السودان وأوغندا وموزمبيق (١٦٨,٦ و ١٤٤,٥ و ١٠٧,٥ ألف دولار لكلٍّ منها على التوالي)[٢].

المحور الرابع: الألغام أحد قيود التنمية - الحالة المصرية نموذجاً:

تعاني مصر مشكلة الألغام الأرضية المضادة للأفراد والدبابات، حيث تنتشر في مساحاتٍ كبيرةٍ بمنطقة الساحل الشمالي الغربي وشبه جزيرة سيناء.

وقد بدأت المشكلة في مصر عندما قامت القوات الألمانية والبريطانية في ١٩٤٢م، في أثناء الحرب العالمية الثانية، بزراعة مناطق واسعةٍ وبكثافة شديدة بالألغام؛ تعويضاً عن نقص الحواجز الطبيعية في الصحراء الغربية ولإعاقة تقدّم القوات المعادية.

وأشارت وثيقة المشروع المشترك[٣] بين مصر وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية (UNDP) في نوفمبر من عام ٢٠٠٦م إلى وجود ٢,٦٨ ألف كيلومتر مربع ملوثة بالألغام، بما يقّدر بنحو أربعة أمثال المساحة الملوثة بالألغام في أفغانستان[٤].

ويعرض الجدول (٤) التوزيع الجغرافي للألغام في الصحراء الغربية بمصر، حيث يقدّر

(١) International Campaign to Ban Landmines,Op.Cit, 2013,p.63.

(٢) Loc.Cit.

(٣) امتدت فترة تنفيذ المشروع من يناير ٢٠٠٧م حتى ديسمبر ٢٠١١م، ويشتمل البرنامج على: تطهير الألغام، وتعليم مخاطر الألغام، ومساعدة الضحايا.

(٤) الحكومة المصرية & برنامج الأمم المتحدة للتنمية، «دعم لخطة تنمية الساحل الشمالي الغربي ومكافحة الألغام فيه»، مذكرة المشروع، القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٦م، ص ٥.

جدول (٤) أعداد الألغام وحقولها الرئيسة في مصر (ESIS,٢٠٠٥)

المنطقة		التقدير	ما تم إزالته	المتبقي
الإسكندرية	العدد (ألف)	١٢٦	١٠٠	٢٦
	المساحة (كم٢)	٥٥	٤٣	١٢
العلمين	العدد (مليون)	١٣,٨٠٠	١,٤٧٥	١٢,٣٢٥
	المساحة (كم٢)	١,٦٧٠	١٩٩	١,٤٧١
الحكمة – مطروح	العدد (مليون)	١,٩٦٠	٦٢٠	١,٣٤٠
	المساحة (كم٢)	٦٢٠	٨٨	٥٣٢
براني – السلوم	العدد (مليون)	٣,٨٢٥	٧٤١	٣,٠٩٠
	المساحة (كم٢)	٥٢٥	٧٧,٣	٤٤٨
الإجمالي	العدد (مليون)	١٩,٧٠٠	٢,٩٧٦	١٦,٧٢٤
	المساحة (كم٢)	٢,٨٧٠	٣٨٧	٢,٤٨٣

Source: Rashwan, A.A., Mohamed, A.H., MAGIMS for Sustainable Development of Egypt, C.4 Geospatial technologies for sustainability - Natural Resources Management, Available at: (http://geomaticsksa.com/GTC2011/S3/PDF/9.pdf).

عددهـــا بنحو ١٩,٧ مليون لغم، وتركزت الألغام في أربع مناطق رئيســـة، وهى: (الإســـكندرية) بعدد ١٢٦ ألف لغم تنتشـــر على مســـاحة ٥٥ كيلومتر مربع، و (العلميـــن) بعدد ١٣,٨ مليون لغم على مســـاحة ١,٦٧ ألف كيلومتر مربع، و (الحكمة – مطروح) بعدد ١,٩٦ مليون لغم على مساحة ٦٢٠ كيلومتر مربع، و (براني – السلوم) بعدد ٣,٨٣ مليون لغم على مساحة ٥٢٥ كيلومتر مربع.

ووفقاً للمصدر قُدّرت أعـــداد الألغام التي تمـــت إزالتها بنحو ٣ ملايين لغم، كانت تشـــغل مساحة ٣٨٧ كيلومتراً مربعاً.

شـــكل (٢) التوزيع الجغرافي لمواقع الألغام بنطاق الساحل الشمالي الغربي لمصر (عن: Mohamed, A.H., & Rashwan, A.A.)

على الجانب الآخـــر؛ قامت قوات الاحتلال "الإسرائيلي" بعد اســـتيلائها على سيناء عقب

من الضروري توعية الناس بمخاطر الألغام؛ والتعرّف عليها وعلى مخلفات الحرب القابلة للانفجار، ومعرفة كيفية تجنّب مخاطرها، وخصوصاً في المناطق المتأثرة بها

حرب يونيو ١٩٦٧م بزراعة أعداد هائلة من الألغام؛ بهدف منع أي عملياتٍ مصريةٍ ضدّ قواتها في سيناء أو عرقلتها.

وعقب حرب أكتوبر ١٩٧٣م قامت مصر – وبدعم غربيٍّ وعالمي – بتطهير قناة السويس من الألغام البحرية والقنابل؛ حيث بلغ عدد الألغام التي تمّ رفعها من المجرى المائي ٦٦٨ ألف لغم وقنبلة، وتمّ إعادة فتحها أمام الملاحة.

وبالرغم من الاتفاقيات التي أُبرمت بين مصر و «إسرائيل» بعد قرارات وقف إطلاق النار، وفضّ الاشتباكين الأول والثاني، وتسليم الجيش لخرائط الألغام الموجودة في سيناء، فإنّ القوات المسلحة المصرية فوجئت باكتشاف حقول ألغام قامت إسرائيل بزراعتها بصورةٍ عشوائيةٍ قبيل انسحابها من سيناء.

وتعاظمت بمرور الوقت الخسائر التي مُنيت بها مصر من جرّاء الألغام، إضافة إلى الأبعاد الأمنية والاجتماعية لها، ويتمثل الجانب الذي يبدو أكثر خطورة في الخسائر البشرية، فعلى الرغم من أنّ العدد التراكمي لضحايا الألغام والمتفجرات من مخلفات الحرب في مصر غير معروف، فإنه تمّ تسجيل (٨,٣١٣ ضحية) من الألغام (٦٩٦ قتيلاً و ٧٦١٧ جريحاً) في فبراير من عام ١٩٩٩م – يرجح أنها تنطبق فقط على ضحايا الصحراء الغربية منذ ١٩٨٢م[١]–، وتشير المصادر إلى أنّ عدد الضحايا قد ارتفع في عام ٢٠٠٩م إلى (٨٥٠٣ أشخاص)، منهم (٧٥١ قتيلاً، و ٧٧٥٢ جريحاً)[٢].

وطبقاً لدراسات الهيئة العامّة للجهاز التنفيذي لمشروعات تحسين الأراضي في "مرسى مطروح"؛ فإنّ المساحة الممتدة من الإسكندرية إلى السلُّوم غرباً بطول ٥٠٠ كيلومتر، وبعمق ٢٠ كيلومتراً تبلغ ٢,٥ مليون فدان صالحة للزراعة، يمكن أن تُستخدم في إنتاج كمياتٍ ضخمةٍ من أجود أنواع القمح، وهي عبارة عن خمس مناطق: (برج العرب – العلمين بمساحة ٤٠٩ آلاف فدان، والعلمين – الضبعة بمساحة ٤٠٦ آلاف فدان، وباجوش – جلال بمساحة ٥١٧ ألف فدان، ومرسى مطروح ومساحتها ٤١٦ ألف فدان، وسيدي براني ومساحتها ٣٧٧ ألف فدان)[٣].

ومما لا شك فيه أنّ وجود هذا العدد الضخم من الألغام يتسبّب في إهدار ثروةٍ كبيرةٍ من الموارد الطبيعية، ويعوق تنفيذ العديد من مشروعات التنمية، وذلك على النحو الآتي[٤]:

أ – الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء:

١ – إعاقة العديد من مشروعات التنمية السياحية بشواطئ البحر الأحمر وسيناء،

(١) الحكومة المصرية & برنامج الأمم المتحدة للتنمية، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

(٢) Megahed,S.M., et al, Egypt Landmine Problem: History, Facts, Difficults and Clearance Efforts, Egypt Landmine Problem (Sibenik 29-4-2010).

(٣) عبدالجواد توفيق: ٤ مليارات دولار تكاليف إزالة الألغام من مصر!، متاح على: (Islamonline.Net).

(٤) الهيئة العامة للاستعلامات في مصر، متاح على: (www.sis.gov.eg).

وارتفاع تكلفة المشاريع التي تُقام بهذه المناطق لارتفاع تكاليف تطهيرها من الألغام.

٢ - إعاقة عمليات التنمية الصناعية وإنشاء مجتمعات عمرانية جديدة؛ بجانب التكلفة الباهظة لتطهير المناطق المخطط تنميتها.

٣ - إعاقة عمليات التنمية الزراعية في مناطق سهلة الطينية، وبالوظة، وشمال سيناء.

٤ - تعطيل عمليات التنقيب عن البترول.

ب - الصحراء الغربية:

١ - تعطيل زراعة مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة بالرغم من توفر المياه اللازمة لها في مناطق مثل: الحمام، والعلمين.

٢ - تعطيل إقامة مشروعات التنمية في الساحل الشمالي، وبعض مناطق مطروح.

٣ - تعطيل مشروعات منخفض القطارة، كأحد المشروعات العملاقة لتوليد الطاقة، بسبب اعتراض الألغام لطريق القناة.

٤ - تعطيل عمليات التنقيب عن البترول.

ولعل من أهمّ العوائق التي تقف في سبيل الشروع في أعمال الإزالة، تحرك الألغام من أماكنها بسبب الكثبان الرملية، وحساسية الألغام للانفجار بسبب تقادمها، وتأثير العوامل الجوية، بالإضافة إلى عدم وجود خرائط تفصيلية وطرق ممهدة للوصول إلى المناطق الملغومة، إلى جانب عدم توافر معدات حديثة متقدمة تكنولوجياً لاستخدامها في عمليات الإزالة والتكلفة المالية الكبيرة التي تحتاج إليها، وأخيراً عدم إدراج مصر على خريطة العمل الدولية لمكافحة الألغام[١].

ولم تنضم مصر إلى اتفاقية أوتاوا في ديسمبر ١٩٩٧م لحظر إنتاج الألغام المضادة للأفراد واستخدامها ونقلها وتخزينها، وقد شاركت فقط بصفة مراقب، وصوتت لصالح قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٩٦م، والذي يحثّ الدول على متابعة العمل من أجل إبرام معاهدة دولية لمنع الألغام المضادة للأفراد، لكنها امتنعت عن التصويت على كلّ قرارات الجمعية العامّة للأمم المتحدة التي تلت ذلك القرار، والتي تدعو إلى نشر معاهدة منع الألغام على مستوى العالم.

وطالبت مصر في اجتماعات الخبراء لمناقشة مشروع الاتفاقية في أوسلو في سبتمبر ١٩٩٧م بمزيدٍ من الضغط الدوليّ لدفع الدول التي شاركت في معارك الحرب العالمية الثانية على أرض مصر إلى تقديم خرائط الألغام، وتقديم الدعم الأكبر لإزالتها؛ حيث يشكّل تجاهل الاتفاقية لمسؤولية الدول التي قامت - أو تقوم - بزرع الألغام في أراضي الغير إحدى الثغرات التي تعتريها، بالإضافة إلى تركيزها على الألغام المضادة للأفراد دون الألغام المضادة للمركبات، وعدم تطرقها لمساعدة الدول المتضررة من الألغام في حالة عجزها عن تدمير حقول الألغام داخل أراضيها.

ويمكن تفسير الموقف المصري من اتفاقية أوتاوا، وعدم التوقيع عليها بما يأتي[٢]:

- تتفق مصر تماماً مع الهدف الإنساني للاتفاقية، إلا أنّ صعوبة موافقتها على الانضمام يعود إلى أنها تعيق مصر عن ممارسة حقّها المشروع في الدفاع عن أراضيها والحفاظ على أمنها القومي، وكذلك حقها في الحصول على المساعدات اللازمة لتطهير ألغام زُرعت في أراضيها.

- الطبيعة الجغرافية للأراضي المصرية؛ حيث تتميز بالامتداد الشاسع لحدودها البرية والبحرية، وخلوها من أي موانع تحول دون عمليات التسلل، وتلخّص مطلب مصر الأمني في الحصول على بديلٍ اقتصاديٍّ مناسبٍ

(١) وزارة الدولة لشئون البيئة، جهاز شئون البيئة، تقرير حالة البيئة في مصر، ٢٠٠٦م، ص ١٥٢.

(٢) الهيئة العامة للاستعلامات في مصر، مصدر سبق ذكره.

للألغام، وتمّ شـــرح هذا الموقف خلال المراحل التمهيدية لإعداد مشروع الاتفاقية.

– إن استفادة مصر من المساحات الملغومة، بمـــا تحتويه من موارد وثـــروات، لن يتحقق إلا بتوافر المسؤولية الدولية للمساعدة في تطهير الألغام، والمسؤولية الإنسانية التي تحتم احترام حقوق الإنســـان، حيث إنّ الـــدول التي زرعت ألغاماً في أراضي الغيـــر، وتركتها برغم انتهاء العمليـــات الحربيـــة، ملزمة بإزالتهـــا وتطهير الأرض منهـــا؛ فقد أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مطالبات الـــدول التي تصيبها أضرار نتيجة لوجود مخلفـــات الحروب، ومنها الألغام، على أراضيها، والتي تطالب بدفع تعويضات لها من الدول المســـؤولة عن ذلـــك[1]، كذلك توجد قاعدة من قواعد القانون الدولي العام أو العرفي تقضي بإلزام من وضع الألغام بطريقة تؤثّر على حياة المدنيين أو سلامتهم الجسدية بإزالة تلك الألغام وتحمّل تكاليف إزالتها.

الخاتمة: نتائج وتوصيات:

تشـــكل الألغام مهدّداً لحياة الإنســـان وأمنه واستقراره، وتعدّ من أخطر الملوثات للبيئة، وأكبر المعوقات لعملية التنمية في كثيرٍ من دول العالم، وبخاصة تلك التي كانت ميداناً لحروب ونزاعات.

ونظراً لذلك؛ برز اهتمامٌ دوليٌّ واسع النطاق بمشـــكلة الألغام وســـبل مواجهتها، بعد أن كان العالم إلى وقت قريب يجهـــل هذه القضية ولا يضعها في دائرة اهتماماتـــه، فقد بدأت حملة دولية لحظر الألغام نشـــاطها منذ عام ١٩٩١م، وتدخلـــت الأمم المتحدة بثقلها منذ عام ١٩٩٤م للبحـــث عن حلولٍ جذريةٍ لهذه المشـــكلة، حتى وُقّعت عام ١٩٩٧م (اتفاقية أوتاوا) التي فرضت حظراً كاملاً على إنتاج الألغام المضادة للأفراد وتخزينها ونقلها واستخدامها، وتدمير الموجود منها.

ولتكليل هذا الجهد؛ فإنّ هناك حاجة ملحة لتضافر الجهود الدولية والمحلية لمواجهة هذا الخطر، وتلافي تداعياته على أقطار القارة التي يقع أكثر من ثلثيها (٣٨ قطراً) بشريحة الأقطار منخفضة التنمية[2]، وذلك من خلال ما يأتي:

– التوعية بمخاطر الألغام؛ من أجل مساعدة النـــاس على فَهْـــم المخاطر التـــي يواجهونها، والتعرّف على الألغـــام ومخلفات الحرب القابلة للانفجار، ومعرفـــة كيفية تجنّـــب مخاطرها، وخصوصاً في المناطق المتأثرة بها.

– تفعيـــل التعـــاون الدولي طبقـــاً لقواعد القانون الدولي وللاتفاقيات الدولية.

– إنشـــاء آلية فعّالة تقوم بمهمّة التنســـيق والمتابعة لعمليات إزالة الألغام، ومراقبة زرعها إبّان النزاعات والحروب.

– تفعيل دور المنظمـــات الدولية والإقليمية والمحلية وغير الحكوميـــة المتخصصة، ومدّها بالدعم المناسب لممارسة دورها على أكمل وجه.

– إلزام الأطراف المسؤولة عن زراعة الألغام في أراضي الغير بإزالتها وتطهيرها.

– تقديم المســـاعدة الطبية وخدمات إعادة التأهيل إلى الضحايا، بما يشـــمل التدريب على مهارات العمل، وإتاحة فرص التوظيف.

– زيـــادة المخصصات المالية، وتحســـين تقنيات المســـح التقني، وابتكار أساليب جديدة غير تقليدية لاســـتخدامها في عمليات تطهير الأراضي من الألغام ■

(١) القـرارات ٣٦ / ١٨٨ لسنة ١٩٨١م، و ٣٩ /١٣٩ لسنة ١٩٨٤م، و٤٨ / ٧ لسنة ١٩٩٣م، و ٤٩ / ٢١٥ لسنة ١٩٩٤م.

(٢) UNDP, Human Development Report, 2013. pp.150-151.

دور المملكة العربية السعودية في تنمية اقتصاديات البُلدان الإفريقيَّة

(الصندوق السعودي للتنمية نموذجاً)

أ. محمد أحمد جعفر هني

أستاذ مساعد - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير / جامعة الشلف – الجزائر

قامت المملكة العربيَّة السعوديَّة بدورٍ ريـاديٍّ فـي تقديم العـون المادي لدعـم جهود التنمية فـي البلـدان الإفريقية، وقد تنوّعت أشكال الدعم المقدمة من المملكة بيـن تقديم المنـح لتنفيـذ مشـاريع تنموية، أو مسـاعدات إغاثيـة عاجلـة، أو التخفيـف من آثار الكوارث، وبين تقديم القروض الميسـرة لدعم عجلة التنمية في هذه البلدان.

هـذا، وقـد تنوعـت إنجـازات المملكـة فـي العالم لتشـمل المجالات التنموية والخدمات الاجتماعية كافـة، لدعم الجهود الهادفة إلى زيـادة مُعدلات النمو الاقتصـادي والاجتماعي فـي الـدول الناميـة، وخفض معـدلات الفقر، وتميّـزت تلكـم الإنجازات بخصـائص بارزة، مـن أهمهـا: كونهـا متنوّعـة فـي مجالاتهـا، وشـاملة في تغطيتها للاحتياجـات مع ارتفاع عنصر المنحة فيها، وأنّها غير مقيدة بشروطٍ معقـدة، ولا ترتبط بمواقف وأهدافٍ ومصـالح سياسية.

وفـي ضـوء التطـورات الماليـة والاقتصـاديَّة خـلال العقديـن الماضـيين أضـحى التحدي الرئيـس الـذي يُواجـه الـدول الإفريقيـة هـو الحـدّ مـن الفقـر ومُواجهـة مشـكلات ارتفـاع أسـعار المـواد الغذائيـة، والحـدّ مـن أثـر المضـاعفات الناجمة عـن الأزمـة المالية العالميـة، إضـافة إلـى تحديـات التنميـة التقليديـة؛ مـن ضـعف البنيـة التحتيـة، والمسـتوى المتدنـي للإنتاجيـة والخدمات الصـحية والتعليميَّة، هـذه التحديات جعلت ضـرورة التعاون (السـعودي الإفريقـي) أكثر إلحاحاً من أي وقتٍ مضى.

ويتميـز التعـاون (السـعودي الإفريقـي) بأنـه يجمـع بيـن المـوارد الطبيعيـة والطاقـات الاقتصادية والبشرية غير المحدودة للدول الإفريقيـة، وبيـن المـوارد الهائلة للسـعودية وتجربتهـا الواسـعة، وخبرتهـا الغنيـة فـي التنميـة الاقتصـادية والتعامـل مع الاقتصـاد الدولي.

تهدف هذه الدراســة للإجابة عن الأســئلة الآتية:

ما مدى مُساهمة المملكة العربيَّة السعوديَّة في دعم مسيرة التنمية في البلدان الإفريقية؟ وما مدى مساهمة (الصندوق السعودي للتنمية) في تمويل المشاريع التنموية في البلدان الإفريقيَّة؟ وما دورها المستقبلي في تنمية إفريقيا؟

أولاً: قنوات المُساعدات الماليَّة السُعوديَّة المُقدمة للبلدان الإفريقيَّة:

قامــت المملكة العربية الســعوديَّة بتقديم مُســاعدات تنموية للدول الإفريقية على امتداد العقــود الأربعــة الماضية، وذلــك عبر قنوات مُباشرة من خلال (الصندوق السعودي للتنمية)، أو من خــلال قنوات غير مباشــرة، وذلك من خلال مســاهمتها في تمويل مؤسسات التنمية العربيــة والإقليميــة والدولية، والتــي بدورها

تدعم جهود التنمية في البلـــدان الإفريقيَّة، أو من خـــلال مُســـاهمتها في تمويـــل الجمعيات الخيرية الســـعوديَّة الدوليَّة التـــي تقوم بتمويل مشـــروعاتٍ خيريّة في البلدان الإفريقيَّة، ومن جُملة المساعدات التي قدّمتها المملكة للبلدان الإفريقية مُساعدات غير مُستردة بلغ مجموعها: (ثلاثين مليار دولار)، كما قامت المملكة بإعفاء قروض بلغت قيمتها: (ســـتة مليـــارات دولار)، وفيما يلـــي تفصيل المســـاعدات الماليَّة التي قدمتها المملكة للبلدان الإفريقيَّة عبر القنوات الثلاثة:

١ - الصندوق السعودي للتنميَّة[١]:

يُعـــدّ (الصندوق الســـعودي للتنميَّة) القناة الرئيسة لمساعدات المملكة الإنمائية، لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشـــاملة في الدول النامية والفقيرة، ورفع المستوى المعيشي لشعوبها، والمحافظة على معدل مطرّد من النمو الاقتصادي القابل للاستمرار[٢].

وقـــد قام (الصنـــدوق الســـعودي للتنمية) بتقديـــم قُـــروض إنمائية ميســـرة لتمويل ٣٤٥ مشروعاً وبرنامجاً إنمائياً في ٤٤ بلداً إفريقيا، وذلك في مختلف القطاعات الصحية والتعليمية والاجتماعية والإســـكان والبنية التحتية، بقيمة إجمالية بلغت: (ستة مليارات دولار)[٣].

٢ - مُساهمات المملكة العربية السعودية في مؤسسات التنمية العربية والإقليمية والدولية:

تُعدّ المملكة العربية السعوديَّة أكبر مُساهم في رأس مال (البنك الإسلامي للتنميَّة)، والذي يعمل على تمويـــل برامج التنميـــة الاقتصادية والاجتماعية في البلدان الإسلاميَّة، ومنها الدول الإفريقيَّة.

وفي الواقع فإنَّ مُســـاعدات المملكة للدول علـــى الصعيد الإقليمي والدولي لم تقتصر على البنك الإسلامي للتنمية، بل وُجهت عبر العديد من القنوات، بما فيها:

- صندوق الأوبك للتنمية الدولية.
- بنك التنمية الاقتصادية.
- الصنـــدوق العربي للإنمـــاء الاقتصادي والاجتماعي.
- صندوق النقد العربي.
- الشركة العربية لضمان الاستثمار.

وتجدر الإشـــارة إلى أنَّ جهود المملكة في دعـــم التنمية لم تقتصر علـــى محيطها العربي والإســـلامي؛ بل تجاوزته إلى البلدان الإفريقية والآســـيوية الفقيرة، إذ أصبحت ترصد نســـبة كبيرة من ناتجها الوطني لمساعدة هذه البلدان على تنفيـــذ برامج التنمية الخاصـــة بها، وهو إســـهام بلغ في بعض سنوات العقد الماضي ما

لم يُميز الصندوق السعودي للتنميَّة في تقديمه للقروض والمساعدات بين البلدان الإفريقية الإسلامية والعربية والبُلدان الإفريقية غير الإسلاميَّة

(١) سنتطرق بحول الله إلى: (الصندوق السعودي للتنمية) وأهم نشاطاته في البلدان الإفريقية في المبحث التالي.

(٢) عبدالعزيز حسين الصويغ: المملكة العربية السعودية وتنمية العالم الإسلامي، مركز أوراق للنشر والأبحاث والإعلام، الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١م، ص ١٢٥ وما بعدها.

(٣) الكلمة التي ألقاها الأمير سعود الفيصل في قمة الكويت، ٢٠ نوفمبر ٢٠١٣م. http://beta.aawsat.com/home/article/10281

جدول رقم (١):

مساهمة السعودية في مُؤسسات التنميَّة العربيَّة والإقليميَّة والدوليَّة حتى ٢٠١٢/١٢/٣١م

المؤسسات	رأس المال (دولار أمريكي)	مساهمة المملكة (دولار أمريكي)	مساهمة المملكة (% رأس المال)
صندوق النقد العربي	٢,٨٠٨,٠٠٠,٠٠٠	٤١٦,٢٨٦,٠٠٠	١٤.٨٣
الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي	٦,٩٩٣,٠٤١,٩٥٨	١,٦٧٧,٦٩٣,٠٨٤	٢٣.٩٩
المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في إفريقيا	٢,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٦٨٤,٩٥٢,٤٤٣,٨٥	٢٤.٤٦
المؤسسة العربية لضمان الاستثمار	١٩٤,٤٨١,٣٥٣	١٣,١١١,٨٨٨	٦.٨٠
البنك الإسلامي للتنمية	٢٧,٨٤٦,٠٠٠,٠٠٠	٦,٥٧٤,١٣١,٢٠٠	٢٣.٦
صندوق الأوبك للتنمية الدولية	٣,٤٣٥,٠٠٨,٠٠٠	١,٠٣٣,٢٨٠,٠٠٠	٣٠.٠٠
البنك الدولي للإنشاء والتعمير	١٨٩,٩٤٣,٠٠٠,٠٠٠	٥,٤٠٣,٨٠٠,٠٠٠	٢.٨٤
صندوق النقد الدولي	٣٣٤,٨٤٤,٨١٨,٠٠٠	١٠,٧٥٧,٦٧٠,٠٠٠	٣.٢١
هيئة التنمية الدولية	١٩٩,١٣٠,٩١٠,٠٠٠	٢,٣٤٨,٥٢٠,٠٠٠	١.١٨
مؤسسة التمويل الدولية	٢,٣٦٩,٣٩٦,٠٠٠	٣٠,٠٦٢,٠٠٠	١.٢٧
الصندوق الدولي للتنمية الزراعية	٣,٦٥٢,٠٠٠,٠٠٠	٤٣٩,٧٧٨,٠٠٠	١٢,٠٤
الوكالة الدولية لضمان الاستثمار	١,٩١٢,٨٢٥,٠٠٠	٥٩,٨١٣,٠٠٠	٣.١٣
بنك التنمية الإفريقي	١٠١,٠٩٥,٢٨٢,٧٥٨	١٨٨,٠٥٠,٤٠٣	٠.١٩
صندوق التنمية الإفريقي	----------	٣٣٦.٣١٨,١٦٣	٠.٤٧٨
الهيئة العربية للاستثمار والإنماء الزراعي	٣٥٠,٣٤٩,٦٥٠	٧٨,٦٧١,٣٢٨	٢٢.٤٦
المؤسسة الإسلامية لتأمين الاستثمار وائتمان الصادرات	٢٣٢,٠٥٠,٠٠٠	٢٠,٨٨٤,٥٠٠	٩.٠٠
المؤسسة الإسلامية لتنمية القطاع الخاص	١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٧٦,٢٤٠,٠٠٠	٧.٦٢
المؤسسة الدولية الإسلامية لتمويل التجارة	٧٥٠,٠٠٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠,٠٠٠	١٦.٠٠
صندوق التضامن الإسلامي للتنمية	١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	١٠,٠٠
الحساب الخاص لدعم مشروعات القطاع الخاص الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية	٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٥,٠٠

المصدر: ملخص إحصائي للنشاط التنموي للصندوق السعودي للتنمية، موقع الصندوق السعودي للتنمية، ٢٠١١م.

نسبته ٦٪ من الناتج الوطني الإجمالي للمملكة، وذلك في وقتٍ لم تف فيه البلدان المتقدمة بوعودها التي كانت تقتصر نظرياً على نسبة ٠,٧٪ من ناتجها الوطني الإجمالي[١].

٣ - مساهمة المملكة في تمويل مُنظمة الأغذية والزراعة العالميَّة:

تحتل المملكة العربية السعودية المرتبة الثانية من بين أكبر ١٠ دول تُقدّم تبرعات مالية لبرنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة على مستوى العالم، حسب تصنيف برنامج الأغذية العالمي لعام ٢٠٠٨م، والمرتبة الأولى على المستوى العربي والإسلامي، وإنَّ الهبات والمساعدات التي تُقدمها المملكة عن طريق برنامج الأغذية العالمي إنّما هي بدافع التواصل الإنساني مع الآخرين، ومساعدة المنكوبين في إفريقيا وآسيا ومُساعدتها على مواجهة ارتفاع أسعار الغذاء الأساسية.

وقد تجاوز حجم مُساعدات المملكة لبرنامج الغذاء العالمي أكثر من ٤٪ من المتوسط السنوي من إجمالي الناتج القومي للسعودية خلال ست سنوات من ٢٠٠٢م إلى ٢٠٠٨م، وتُشكل جميع تبرعاتها ومساعداتها ومساهماتها ما نسبتها ٧٪ من ناتجها الوطني الإجمالي، وهو ما يُعادل عشرة أضعاف النسبة المحددة من سجل الأمم المتحدة للعون الإنمائي التي لا تتجاوز ٠,٧٪ من الناتج القومي للدول المانحة[٢].

تحتل المملكة العربية السعودية المرتبة الثانية من بين أكبر 10 دول تُقدّم تبرعات مالية لبرنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة على مستوى العالم

٤ - مُساهمة المملكة في تمويل المنظمات الخيرية السعوديَّة الدوليَّة:

وتوجد العديد من المؤسسات السعوديَّة التي تُساهم في تقديم المساعدات المالية الإغاثية، منها:

(٤-١) لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخيرية الخاصة للإغاثة: وقد قامت اللجنة بالمساهمة في رفع المعاناة وتخفيف مصيبة الفقر بجمهورية مالي عام ١٩٩٨م - ١٩٩٩م، وذلك بتوزيع المساعدات الغذائية والدوائية، ولم تقتصر جهود اللجنة على الأعمال الإغاثية الإنسانية فحسب؛ بل تعدت ذلك إلى تطبيق المفهوم الشامل للإغاثة، وذلك بعد مسح شاملٍ لما يُقارب ٢٠٠ مدينة وبلدة للوقوف على أحوال الناس[٣].

(٤-٢) هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التابعة

(١) محمد أحمد زيدان: جهود المملكة العربية السعودية في دعم برنامج الغذاء العالمي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الأول حول جهود المملكة العربية السعودية في خدمة قضايا الأمّة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ديسمبر ٢٠١٠م، ص ٣٥٧.

(٢) ظل الرحمن بن لطف الرحمن: إسهامات المملكة العربية السعودية في برنامج الأغذية العالمي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الأول حول جهود المملكة العربية السعودية في خدمة قضايا الأمّة الإسلامية، الجامعة المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ديسمبر ٢٠١٠م، ص ٩٣.

(٣) عبدالعزيز محمد عبدالله ميغا: المنح والمساعدات السعودية وأثرها على التنمية الاجتماعية في جمهورية مالي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الأول حول جهود المملكة العربية السعودية في خدمة قضايا الأمّة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ديسمبر ٢٠١٠م، ص ١٨٢.

لرابطة العالم الإسلامي: للهيئة جهودٌ مشكورةٌ في إغاثة الفقراء والمساكين واللاجئين، حيث استطاعت الهيئة أن تقوم بهذا الدور الريادي من خلال سبعة برامج رئيسة، تبلغ تكلفتها الإجمالية خلال العام المالي الذي يبدأ في ٢٠١١/٦/٣م وينتهي ٢٠١٢/٥/٢٢م: (١١٨,٩٨٩,٣٨,٠٥) ريال لتنفيذ وتسيير ١٣٤٢ مشروعاً، يستفيد منها: (٤,٥٢٩,٩٣٤) فرداً في ٥٧ دولة في العالم، منها ٣٠ دولة إفريقية، وهي: إريتريا، إثيوبيا، أوغندا، بنين، بوركينافاسو، بوروندي، تشاد، تنزانيا، توجو، جامبيا، جزر القمر، جنوب إفريقيا، جيبوتي، ساحل العاج، السنغال، السودان، الصومال، غانا، غينيا بيساو، غينيا كوناكري، الكاميرون، كينيا، مصر، مالي، المغرب، ملاوي، موريتانيا، موزنبيق، النيجر، نيجيريا[1].

(٣-٤) مؤسسة الملك فيصل الخيرية: قامت المؤسسة بتمويل ٤٣ مشروعاً خيرياً في إفريقيا، ما بين مدارس ومراكز ثقافية ومستوصفات طبية.

كذلك لم تدخر المملكة وسعاً في حل مشكلات اللاجئين في إفريقيا، وبخاصة السودان والصومال وضحايا النزاعات في تشاد وغيرها؛ حينما دعت الحاجة إليها، وقد بلغت مساعدات المملكة حتى نهاية ٢٠٠٤م أكثر من: (٨٥ مليون دولار)، بالإضافة إلى تبرع المملكة بمبلغ: (٣٥ مليون دولار) لمؤتمر الأمم المتحدة الأول في عام ١٩٨١م، والثاني عام ١٩٨٤م لمساعدة اللاجئين في إفريقيا[2].

ثانياً: النشاط التمويلي للصندوق السعودي للتنميَّة في الدول الإفريقيَّة:

١- مدخل تعريفي عن الصندوق السعودي للتنميَّة:

تأسس (الصندوق السعودي للتنمية) بموجب المرسوم الملكي رقم م/٤٨ الصادر في ١٣٩٤/٨/١٤هـ الموافق ١٩٧٤/٩/١م، وبدأ أعماله بتاريخ ١٣٩٥/٢/١٨هـ الموافق ١٩٧٥/٣/١م.

إنَّ الهدف الرئيس للصندوق هو المساهمة في تمويل المشاريع الإنمائية في الدول النامية، وذلك عن طريق منح القروض لتلك الدول، ودعم الصادرات الوطنية (غير النفط الخام) عن طريق تمويل الصادرات وضمانها.

شخصية الصندوق وهيكله الإداري: يتمتع الصندوق بشخصيةٍ معنويةٍ وذمّةٍ ماليةٍ مُستقلة، وله مجلس إدارة مكوّن من ستة أعضاء، يرأسه وزير المالية، ويتولى نائب الرئيس والعضو المنتدب السلطة التنفيذية فيه، وهو المسؤول عن تنفيذ قرارات مجلس الإدارة.

رأس مال الصندوق: بدأ الصندوق نشاطه برأس مالٍ قدره: (عشرة آلاف مليون ريال) مقدّم من حكومة المملكة، وتمّت زيادته على ثلاث مراحل ليُصبح: (واحداً وثلاثين ألف مليون ريال سعودي).

برامج الصندوق:

أ - تقديم قروض إنمائية لتمويل المشروعات التنموية في الدول الناميَّة: تتم مساهمة الصندوق عن طريق تقديم قروض ميسرة، ونشاطه غير محدّد من الناحية الجغرافية، وهو يتعامل مباشرة مع حكومات الدول النامية للمساهمة في تمويل المشاريع الإنمائية ذات الأولوية، ويُعطي الصندوق الأولوية في التمويل للدول الأقلّ نموّاً وذات الدخل المنخفض.

ويمنح الصندوق القروض الإنمائية مراعياً الشروط الآتية:

(١) التقرير السنوي عن الأداء العام لبرامج الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ - ١٤٣٣هـ، ص ١٦.

(٢) ظل الرحمن بن لطف الرحمن: إسهامات المملكة العربية السعودية في برنامج الأغذية العالمي، مرجع سبق ذكره، ص (٨٤ - ٨٥).

– أن يُثبت للصندوق الجدوى الاقتصادية أو الاجتماعية للمشروع المطلوب تمويله في البلد المقترض.

– أن يتمّ دفع مبلغ القرض واسترداده بالريال السعودي.

– ألا يتجاوز مبلغ القرض لأي مشروع نسبة ٥٪ من رأس مال الصندوق، ونسبة ٥٠٪ من التكلفة الإجمالية للمشروع المقترض له.

– لا يجوز أن يتجاوز مجموع مبالغ القروض الممنوحة لأي بلدٍ في آنٍ واحدٍ نسبة ١٠٪ من رأس مال الصندوق.

ب – برنامج تمويل المستوردين (الشركات الأجنبية من القطاع العام أو الخاص): تُساعد هذه التسهيلات الائتمانية المستوردين (المشترين) من خارج المملكة على الحصول مباشرة من البرنامج على التمويل اللازم لاستيراد السلع والخدمات من المملكة، وذلك من خلال الدفع بموجب شروطٍ ائتمانية آجلة.

٢ – التوزيع الجغرافي لقروض الصندوق التراكميَّة:

يُركز الصندوق في سياسته التنموية على دعم مشاريع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية ذات الأولوية للدول المستفيدة؛ بغية تحقيق التنمية المستفادة، وقد بلغ إجمالي اتفاقيات القروض الموقعة منذ بداية نشاط الصندوق (١٩٧٥م – ٢٠١٢م): ٥٣٥ اتفاقية قرض، خُصّصت لتمويل ٥١٨ مشروعاً إنمائياً وبرنامجاً اقتصادياً بمبلغ إجمالي قدره: (٣٩٧٦٣,٢٤ مليون ريال)، وقد استفاد من تلك المشاريع والبرامج ٨٠ دولة نامية في مناطق متفرقة من العالم، منها:

– ٤٤ دولة إفريقية.

– ٢٩ دولة آسيوية.

– ٧ دول في مناطق أخرى.

شكل رقم (١):

التوزيع الجغرافي لقروض الصندوق التراكميَّة خلال الفترة ١٩٧٥م – ٢٠١٢م

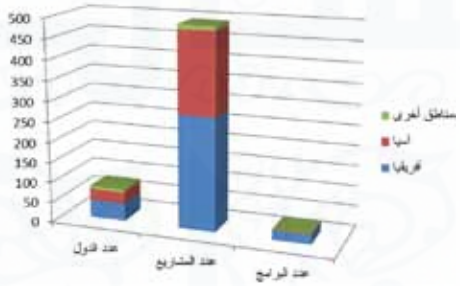

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الصندوق السعودي للتنميَّة.

يُلاحظ من خلال الشكل السابق:

– استحواذ قارة إفريقيا على نصيب الأسد من تمويلات الصندوق السعودي، ويظهر ذلك بوضوحٍ من خلال عدد المشاريع والبرامج التي استفادت منها، والتي بلغت ٢٨٠ مشروعاً و ٢٣ برنامجاً.

– ثمَّ تأتي في المرتبة الثانية قارة آسيا.

– أمَّا المرتبة الأخيرة فهي لدول من مناطق أخرى.

هذا وإن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على اهتمام المملكة العربية السعوديَّة بقارة إفريقيا، والتي هي بحاجةٍ ماسّة إلى الدعم المالي لإنشاء المشاريع والبرامج الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة لخدمة أغراض التنميَّة.

ثالثاً: نشاط الصندوق السعودي للتنمية في إفريقيا:

عندما باشر الصندوق السعودي للتنمية نشاطه في عام ١٩٧٥م، كقناة رئيسة للمساعدات التنموية التي تُقدمها حكومة السعودية للبلدان النامية؛ من أجل مساعدتها على تخطي المصاعب الناجمة عن محدودية مواردها، أخذ بعين الاعتبار أهمّية التعامل مع عددٍ كبيرٍ من هذه البلدان المنتشرة في مناطق مختلفة ومتباعدة من العالم، التي كان ينبغي النظر

إليها من منظارٍ متعدد الجوانب والزوايا، فهذه البلدان وإن كانت تتشـــابه في العديد من الخصائص وتعاني المشكلات نفسها؛ فإنها بعيدة عن التماثل فيما بينها في مجالات عديدة.

ومن هـــذا المنطلق؛ أدرك الصندوق منذ البداية الوضع الخـــاص للقارة الإفريقيـــة؛ كونها تعاني من أوضاع وظـــروف صعبة لا مثيل لها في مناطق أخرى من العالم.

وخلال الفترة من عـــام ١٩٧٥م إلى ٢٠١٠م قدَّم الصندوق ٢٨٣ قرضاً، لتمويل ٢٧٢ مشروعاً إنمائياً، فـــي ٤٣ دولة إفريقية، بلغت القيمـــة الإجمالية لهذه القـــروض: (١٥٥٧٦,٠٣ مليون ريال ســـعودي)؛ أي مـــا يُعـــادل (٤١٥٣,٦١ مليـــون دولار أمريكي)، تمَّ من خلالها الإســـهام في تمويل ٢٤٩ مشـــروعاً و ٢٣ برنامجـــاً اقتصادياً، والجدول الآتـــي يوضح التوزيع القطاعـــي لقروض الصندوق فـــي البلدان الإفريقية وعدد المشاريع والبرامج التي استفادت منها.

جدول رقم (٢):

التوزيع القطاعي لقروض الصندوق في البلدان الإفريقية خلال الفترة ١٩٧٥م – ٢٠١٠م

القطاع	عدد المشاريع والبرامج	المبلغ (مليون ريال)
أ. النقل والاتصالات	٩٣	٤٥٥٠,٦٨
١. النقل	٨٩	٤٤٠٧,٩٩
الطرق	٦٢	٢٨٧٤,٢٣
السكك الحديدية	٧	٥٤١,٠٨
الموانئ البحرية	١٠	٧٤٢,٥٣
المطارات	١٠	٢٥٠,١٥
٢. الاتصالات	٤	١٤٢,٦٩
ب. الزراعة	٦٢	٣٧٧٩,٢٣
ت. الطاقة	١٥	١٦٩٣,٤٨
ث. البنية الاجتماعية	٧٠	٣٧٠٣,٨٤
١. المياه والصرف الصحي	١٨	١١٣١,٢٣
٢. التعليم	٢٧	١٣٤٩,١٣
٣. الصحة	١٤	٥٧٨,٢٦
٤. الإسكان والتنمية الحضرية	١١	٦٤٥,١٢
ج. الصناعة والتعدين	١٢	١٢٧٧,٢١
ح. القطاعات الأخرى	٢٠	٥٧١,٥٩
الإجمالي	٢٧٢	١٥٥٧٦,٠٣

المصدر: ملخص إحصائي للنشاط التنموي للصندوق السعودي للتنمية ٢٠١١م، ص ٤٠.

تُمثل المســـاعدات المقدمة للبلـــدان الإفريقية خلال الفتـــرة ١٩٧٥م – ٢٠١٠م نحـــو ٤٦,٨٣٪ من إجمالي مساعدات الصندوق التراكميّة.

وكانت هذه القـــروض مُوزعة علـــى القطاعات بنسبٍ متفاوتة وفق النحو الآتي:

١ – احتل قطـــاع النقل والمواصـــلات المرتبة الأولى، حيث شملت المســـاهمة ٩٣ مشروعاً، بمبلغ إجمالي قدره: (٤٥٥٠,٦٨ مليون ريال ســـعودي)؛ أي ما نســـبته ٢٩,٢٢٪ من مجموع القـــروض المقدمة لإفريقيا. وقـــد تم التركيز على هـــذا القطاع خلال الســـنوات الأولى من إنشـــاء الصنـــدوق؛ نظراً لأنَّ القـــارة الإفريقية كانت تفتقر لشـــبكات المواصلات والاتصالات التي من شأنها أن تساهم في دعم نموها الاقتصادي والاجتماعي.

٢ – بلغـــت حصة القطـــاع الزراعي من قروض الصندوق خلال تلك الفتـــرة ما مقداره: (٣٧٧٩,٢٣ مليـــون ريال ســـعودي)؛ أي ما نســـبته ٢٤,٢٦٪ من إجمالي القروض المقدمـــة للقارة، وذلك لتمويل ٦٢ مشروعاً.

٣ – بلغت مشـــاريع البنى الاجتماعية خلال تلك الفترة مبلغ: (٣٧٠٣,٨٤ مليون ريال سعودي)، لتمويل ٧٠ مشروعاً؛ أي ما نسبته ٢٣,٧٨٪ من مجموع قيمة القروض المقدمة لإفريقيا.

٤ – نظراً لتزايـــد الطلب على الطاقة في الدول النامية، ولظهور الحاجـــة الكبيرة إلى زيادة إنتاجها، وتوســـيع شـــبكاتها، وإيصالها إلى المناطق الريفية، فقد اهتم الصندوق بمشـــاريع الطاقة بإفريقيا، حيث

خصّص خلال تلك الفترة مبلغ: (١٦٩٣,٤٨ مليون ريال سعودي)، لتمويل ١٥ مشروعاً؛ أي ما نسبته ١٠,٨٧٪ من إجمالي ما قدمه الصندوق للقارة السمراء.

٥ - يُعتبر قطاع الصناعة والتعدين من القطاعات المهمة في إيجاد فرص العمل، إضافة إلى مساهمة القطاع في ارتفاع القيمة المضافة للصناعات الوطنية، وقد ساهم الصندوق خلال تلك الفترة في تمويل ١٢ مشروعاً في إفريقيا، بلغ إجمالي مبالغها: (١٢٧٧,٢١ مليون ريال سعودي)؛ أي ما نسبته ٨,٢٠ ٪ من إجمالي المبالغ المقدمة للقارة الإفريقية.

رابعاً: برنامج تمويل الصادرات السعوديَّة:

يقوم البرنامج بفتح خطوط تمويل للمصارف والمؤسسات المالية وكبار المستوردين، وذلك بهدف مساعدة المصدرين السعوديين، خاصة من الشركات الوطنية الصغيرة والمتوسطة، على تسويق منتجاتهم في الأسواق الخارجية، وتوفير الفرصة لعملائهم المستوردين من الخارج للحصول على التمويل عن طريق بعض المؤسسات العامة أو المؤسسات المالية المحلية، مثل المصارف التجارية، والتي تمثّل وكالات وطنية للبرنامج في بلد المستورد، حيث تدخل هذه الوكالات في ترتيبات تمويل مع برنامج الصادرات السعودية، وتقوم بتقديم التمويل للمستوردين بشروط ائتمانية تنافسية.

وقد تلقى برنامج الصادرات السعودية مجموعة من طلبات التمويل لعمليات تصديرية لسلع وطنية خلال العام المالي ٢٠١٢م من البلدان الإفريقيَّة، حيث قام الصندوق خلال هذا العام بتوقيع ٦٨ اتفاقية لتمويل الصادرات الوطنية مع مُستوردين من البلدان الإفريقيَّة، بنسبة ٥٩,١٣٪ من عدد عمليات الصندوق، والجدول الآتي يُوضح توزيع تلك التمويلات في القارة الإفريقيَّة:

جدول رقم (٣):
التوزيع الجغرافي لتمويلات برنامج الصادرات السعودية في قارة إفريقيا

الدولة:	تونس	الجزائر	السنغال	السودان	سيشل	مصر	موريتانيا	المجموع
عدد المشاريع:	٣	١	٢	٥٣	١	٦	٢	٦٨

المصدر: التقرير السنوي للصندوق السعودي للتنمية، ٢٠١٢، ص ٥٤.

وتشتمل السلع على معدات زراعية وصناعية وأجهزة ريّ وهياكل حديدية وشتلات نخيل وبيوت محمية وأسمدة يوريا ومواد خام، وقد تضمّنت العمليات المعتمدة فتح خط تمويل مع بنوك خارجية لتمويل صادرات سعودية متنوعة مع الدول المذكورة أعلاه.

والشكل الآتي يُوضح التوزيع القطاعي لعمليات برنامج الصادرات السعوديَّة في البلدان الإفريقية خلال العام ٢٠١٢م:

الشكل رقم (٢):
التوزيع القطاعي لتمويلات برنامج الصادرات السعودية خلال العام ٢٠١٢م

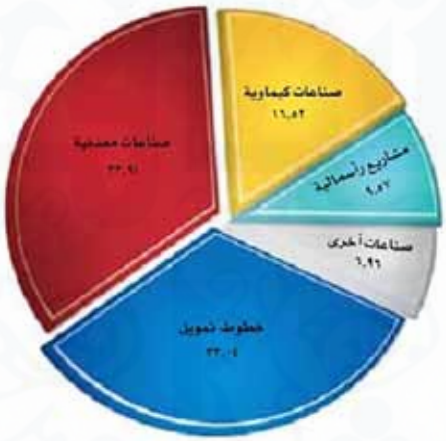

المصدر: التقرير السنوي للصندوق السعودي للتنمية، ٢٠١٢م، ص ٥٤.

خامساً: الدور المستقبلي للمملكة العربيَّة السعوديَّة في تنميَّة البلدان الإفريقيَّة:

إنَّ تكامل القدرات المالية السعودية مع الموارد الطبيعية الضخمة التي تتمتع بها القارة الإفريقية، من أراضٍ شاسعة صالحة للزراعة ومعادن، سيكون مضافاً لحلّ مشكلات التنمية في البلدان الإفريقية وتحدياتها، وهي في حاجة ماسّة إلى استثمارات ضخمة تُساعدها في تفعيل طاقتها ومواردها، فبرغم كثرة ما يتوافر لديها من فرص تظلّ مُحتاجة إلى الاستثمارات الأجنبية، وذلك لسدّ الثغرات الكثيرة في بعض القطاعات التي لا تملك ما يكفي من وسائل مالية للتدخل فيها، وتمكنها أيضاً من خلق فرص عملٍ للمواطنين.

وفي المقابل؛ تتمتع السُّعودية بموارد مالية ضخمة، سواء الاحتياطات المالية للدولة، أو الثروات الخاصة الضخمة للأفراد والمجموعات والمؤسسات، وتسعى المملكة لهذا السبب إلى إيجاد فرص الاستثمار المناسبة في الخارج، وقد قررت المملكة تخصيص اهتمام كبيرٍ لدول إفريقيا، حيث سنتحدث عن المجالات التي يمكن أن تحددها المملكة مستقبلاً من أجل الوصول إلى شراكة مُفيدة على مستوى القطاعات كافة مع البلدان الإفريقية.

وبهذا الصدد انعقد مؤتمر (الاستثمار الخليجي الإفريقي) في نوفمبر ٢٠١٠م، برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز – رحمه الله –، وشاركت فيه ٦ دول إفريقية: (السنغال، بنين، أنجولا، كينيا، موزنبيق، وزامبيا)، إلى جانب أكثر من ٤٠ وزيراً، وذلك لتسليط الأضواء على الفرص الاستثمارية القائمة، بما في ذلك الاستراتيجيات المطلوبة لترجمة الخطط إلى إنجازات عملية ملموسة على أرض الواقع، وذلك في مجالات الزراعة والمعادن والموارد الطبيعية والطاقة والاتصالات والبنية التحتية والسياحة والتجارة.

وقد كشف التقرير الاقتصادي الصادر عن مجلس الغرف السعودي، في نوفمبر ٢٠١٠م، عن وجود فُرص استثمارية سُعودية واعدة في أسواق إفريقيا في خمسة قطاعات حيوية، تكمن في: الصناعة، الزراعة، الخدمات والمقاولات، الاتصالات، وقطاعات الطاقة.

وأوضح التقرير أنَّ الفرص المتاحة للمملكة في الأسواق الإفريقية؛ منها: تصدير المنتجات الصناعية السعودية والخليجية لأسواق إفريقيا، إنشاء استثمارات صناعية في دول إفريقيا في مجالات مثل تصنيع الألمنيوم، والأدوات المنزلية، والآلات الكهربائية، والتحول في استيراد السلع والحبوب والمواد الغذائية[1].

كما تتميز إفريقيا بإمكانيات زراعية ضخمة، من حيث التربة والموارد المائية، تُؤهلها لأن تكون مائدة الغذاء العالمي – كما يرى كثير من الخبراء –، فهي تشتهر بمواردها المائية، حيث يجري فيها ١٣ نهراً، وأطولها نهر النيل الذي يبلغ طوله: (٦٦٩٥ كم)[2].

ومن هذا المنطلق؛ قامت بها المملكة العربية السعودية بمجموعة من المبادرات لتعزيز التعاون بينها وبين البلدان الإفريقية في المجال الزراعي، ومنها:

١ – مُبادرة الملك عبد الله للاستثمار الزراعي السعودي في الخارج:

واجه العالم في منتصف ٢٠٠٨م نقصاً ملاحظاً في عرض السلع الغذائية الأساسية، في ظلّ زيادة الطلب عليها؛ ممّا أدى إلى ارتفاع حادٍّ في الأسعار، وفي هذا الصدد أطلق خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز – رحمه الله – مبادرة (الاستثمار الزراعي السعودي في الخارج)؛ حرصاً

(١) عبدالله البصيلي: فرص استثمارية للخليجيين في ٥ قطاعات إفريقية، جريدة الاقتصادية، العدد ٦٢٥٩، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠م. http://www.article_473927.html/30/11/aleqt.com/2010

(٢) محمد المختار: الاستثمار في إفريقيا... آمال وتحديات، بحث منشور على موقع قراءات إفريقية، مؤسسة المنتدى الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٧ يناير ٢٠١٢م. http:// www.qiraatafrican.com/view/?q=225

منه على الإسهام في تحقيق الأمن الغذائي الوطني والعالمي، وبناء شراكات تكاملية مع عددٍ من الدول في شتّى أنحاء العالم، ومنها الدول الإفريقيَّة، وبخاصة الدول التي تتمتع بمقومات وإمكانيات زراعية عالية في مجال تنمية وإدارة الاستثمارات الزراعية في عددٍ من المحاصيل الزراعية الاستراتيجية، بكمياتٍ وأسعارٍ مستقرةٍ ومستدامة، ومن أمثلة البلدان الإفريقية المرشحة للاستفادة من هذه المبادرة: (إثيوبيا، السنغال، السودان، تنزانيا).

وفي إطار هذه المبادرة تقوم المملكة بما يأتي[1]:

- مُشاركة القطاع الخاص في تمويل مشاريع الاستثمار الزراعي الخارجي.
- توفير التسهيلات الائتمانية اللازمة للاستثمار الزراعي في الخارج.
- تتحمل الدول تكلفة بعض مشاريع البنية الأساسية في الدول المضيفة في حالة عدم توافرها، وبما يدعم نجاح الاستثمارات السعودية في تلك الدول.
- الالتزام بحماية الاستثمارات السعودية الزراعية الخارجية؛ من خلال عقد معاهدات أو اتفاقات مع الدول المضيفة.
- تقوم الدولة بشراء المحاصيل التي تُزرع في الخارج بأسعار تعادل الأسعار العالمية.
- تقوم الدولة بتكوين مخزونٍ استراتيجيٍّ للسلع الرئيسة بالمشاركة مع القطاع الخاص.
- تُسهم فرق المبادرة في تحديد الدول المستهدفة بالاستثمار الزراعي السعودي الخارجي، بإعداد الدراسات اللازمة، وبحث فرص الاستثمار، والتعرف على مناخ الاستثمار في الدول المستهدفة وآلياته وإجراءاته.
- الاتفاق مع الدول المستهدفة على المزايا والضمانات والحوافز الممنوحة للمستثمر السعودي.

٢ - الاستثمار الزراعي السعودي الخارجي المباشر:

على خلفية الأزمة الأخيرة؛ قامت المملكة بإنشاء (الشركة السعودية للاستثمار الزراعي والإنتاج الحيواني)، والذي قام بإنشائه صندوق الاستثمارات العامة، بشراكة بين الدولة والقطاع الخاص، يتولى فيها القطاع الخاص التنفيذ.

وقد تمَّ اتخاذ العديد من الإجراءات نحو التوجه الاستثماري الزراعي إلى بعض الدول، بالإضافة إلى قيام مستثمرين آخرين بتوجيه استثماراتهم إلى الاستثمار الزراعي الخارجي.

ويتطلب التوجه الاستثماري الزراعي الخارجي المباشر إجراء مسحٍ شاملٍ للدول التي تتوافر لديها الموارد الزراعيةً الطبيعيةً، ويُتيح مناخ الاستثمار فيها إمكانية الاستثمار في القطاع الزراعي والثروة الحيوانية، ويشمل أيضاً بحث إمكانية استصلاح أراضٍ صحراوية قابلة للزراعة في تلك الدول[2].

ومن هذا المنطلق؛ يُمكن للشركة السعودية للاستثمار الزراعي أن تُوجه استثماراتها نحو البلدان الإفريقيَّة ذات الميزة النسبية، سواءً بوفرة المياه، أو وفرة الأراضي الزراعية الخصبة، أو المراعي الطبيعية، وفق دراسات جدوى اقتصادية وفنية.

٣ - السماح للصندوق السعودي للتنمية الزراعية بتمويل الاستثمارات السعودية الزراعية في الخارج:

في إطار مبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز للاستثمار الزراعي في الخارج؛ حدّد صندوق التنمية الزراعي السعودي شروطاً وضوابط لتقديم التسهيلات الائتمانية والتمويل الميسر للمستثمرين السعوديين في قطاع الزراعة خارج البلاد.

(١) دراسة الأمن الغذائي في المملكة العربية السعودية بين الزراعة المحلية والاستيراد والاستثمار الزراعي الخارجي، الدورة الخامسة، منتدى الرياض الاقتصادي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٧-١٩ ديسمبر ٢٠١١م، ص ٩٥.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١١٢.

وترمي تلك التسهيلات إلى تأمين المنتجات الزراعية الضرورية التي تسهم بشكلٍ كبيرٍ في عملية الأمن الغذائي للبلاد بما يحقّق توافرها، بالإضافة إلى توفير المياه وتخفيض ما يُستهلك منها بالزراعة.

أمّا البلدان الإفريقية التي استهدفتها قروض هذا الصندوق؛ فهي: (السودان، مصر، إثيوبيا، تنزانيا، أوغندا، السنغال، جنوب إفريقيا، مالي، كينيا، النيجر)[1].

٤ - الاستثمار الزراعي السعودي الخارجي غير المباشر (الزراعة التعاقدية):

يعتبر هذا النوع من الاستثمار من الأنماط المنظمة للاستثمارات الزراعية، يربط بين المزارعين والأسواق، سواء المحلية أو الخارجية، بهدف التصدير، حيث يُمكن من خلال هذه المبادرة أن يتفق مزارعون من دولٍ إفريقية مع مستثمرٍ سعوديٍّ لإنتاج محاصيل مُحددة مُسبقاً، وتشمل كذلك أسعار الشراء في بعض الأحيان.

والقاعدة الأساسية لهذه العقود هي التزام المزارع بتوفيرٍ محددٍّ بكميات ونوعياتٍ وجودةٍ متفقٍ عليها سلفاً مع المستثمر، على أن يلتزم المستثمر بدعم المزارع فنياً ولوجستياً خلال الموسم، وشراء المحصول من المزارع متى ما تطابق مع ما تمّ الاتفاق عليه.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الاستثمار الزراعي السعودي في البلدان الإفريقية لن يقتصر مردوده الإيجابي على تلبية الاحتياجات الغذائية للشعب السعودي فحسب؛ بل يمكن استخدامه أيضاً في استحداث وتطوير مصانع غذائية يمكن تصدير منتجاتها للخارج.

وهذا كله سيسهم في تنويع مصادر الدخل القومي في المملكة، ويُقلل من مخاطر اعتمادها على تصدير البترول والصناعات التحويلية المرتبطة بها، وفي المقابل ستكون استفادة الدول الإفريقية جرّاء تعميق تلك العلاقة مع المملكة أكبر، حيث إنَّ زراعة أو استصلاح الأراضي بها سيستلزم إنشاء أفضل أنواع البني التحتية، وهذا سينعكس بالطبع خدمياً وبامتيازٍ على شعوب القارة الفقيرة، ويوفر أكبر عددٍ من فرص العمل لأبنائها، فضلاً عن إمدادهم بمصادر الطاقة والصناعات التحويلية اللازمة لحياتهم.

خاتمة:

أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

- تهدف مُساعدات المملكة الإنمائية إلى دعم جهود البلدان الإفريقية وخططها في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

- تتميز مُساعدات المملكة بخصائص بارزة، من أهمها: كونها متنوعة في مجالاتها، وشاملة في تغطيتها للاحتياجات، مع ارتفاع عنصر المنحة فيها، وأنّها غير مقيدة بشروط معقدة، ولا ترتبط بأهداف ومصالح سياسية.

- لقد شملت المساعدات والقروض المقدمة من الصندوق السعودي للتنمية القطاعات الحيوية كافة في ٤٣ بلداً إفريقياً، بلغت القيمة الإجمالية لهذه القروض خلال الفترة ١٩٧٥م - ٢٠١٠م مبلغ: (١٥٥٧٦,٠٣ مليون ريال سُعودي)؛ أي ما يُعادل: (٤١٥٣,٦١ مليون دولار أمريكي)، تمّ من خلالها الإسهام في تمويل ٢٤٩ مشروعاً و ٢٣ برنامجاً اقتصادياً.

- لم يُميز الصندوق السعودي للتنميَّة في تقديمه للقروض والمساعدات بين البلدان الإفريقية الإسلامية والعربية والبُلدان الإفريقية غير الإسلاميَّة، وإنّما أعطى الأولوية في التمويل للبلدان الإفريقية الفقيرة والأقلّ نموّاً.

- يوجد تكاملٌ واضحٌ بين المملكة العربية السعوديَّة ودُول القارة الإفريقية، كما توجد فُرص كثيرة للتعاون والعمل المشترك، خصوصاً أنّ الدول الإفريقية تزخر بموارد طبيعية عديدة، وتوجد رغبة سياسية قوية لاستقطاب الاستثمار السعودي ■

(١) لائحة ضوابط تقديم التسهيلات الائتمانية والتمويل الميسر للمستثمرين السعوديين في إطار مبادرة الملك عبدالله للاستثمار الزراعي في الخارج، صندوق التنمية الزراعيَّة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٠ نوفمبر ٢٠١٣م، ص٦.

عيد الأضحى في المجتمع الإفريقي..

رصد لبعض مضامينه الحضاريَّة

د. آدم بمبا

أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالايا، ماليزيا

للأعياد في كلِّ دينٍ أهميَّة قصوى؛ فهي تحقّق الكثير من الوظائف الاجتماعيَّة، كتعزيز تماسك المجتمع أو المجموعة المعيَّنة، وشعور كلِّ فردٍ داخل المجموعة بالانتماء والتَّمايُز، والتَّرويح عن النَّفس، وغير ذلك من الدلالات الرُّوحيَّة والأخلاقيَّة والإنسانيَّة التي يؤمن بها الدِّين المعيَّن[١]، وتتراوَحُ الأديانُ بين مُكثرٍ من الأعياد وبين مقلٍّ، والإسلام من الصِّنف الأخير.

وبتعبير الباحث فيرناندیز؛ فإنَّ هذه الأعياد شكلٌ من (الخطاب الرَّمزي figurative language) لدى كلِّ مجموعةٍ للتَّعبير عن هويَّتها، وإبراز صورتها للآخر، خصوصاً في أزمنة التَّوتُّر الاجتماعيِّ[٢].

أمَّا الأعياد في الإسلام تحديداً؛ فإنَّها تضطلع بمقاصد ساميةٍ؛ إذ ترتبط تلك بالتَّعبُّد وبالذِّكرى والاستلهام من المواقف التي رافقت مشروعيَّة تلك الأعياد؛ لذلك توصف الأعياد في الإسلام بوصف: (شعائر)، أي أنَّها مواسم لاستشعار ما وراء الطُّقوس الاحتفاليَّة ومظاهر البهجة.

وعن عيد الأضحى خاصَّة؛ أوضح الباحث ميشيل بالينْ أنَّ: «الاحتفال بهذا اليوم إحياءً لذكرى فداء ابن إبراهيم من الذَّبح، عليه وعلى أبيه السلام، يمثِّلُ يوماً فريداً في التَّقويم الإسلاميِّ. وليس الاحتفاءُ بنجاة الابن سببَ الاحتفال فقط، وإنَّما رغبة إبراهيم – عليه السلام – في التَّضحية بابنه امتثالاً لأمر الله، إنَّه الطَّاعة والانقياد لأمر الله من الأب وابنه، وذلك حجَرُ الزَّاوية في الإسلام، إنَّ هذا هو معنى كلمة: إسلام»[٣].

تأثير عيد الأضحى في جوانب الثَّقافة الإفريقية يُعدُّ صورةً جزئيَّة من التَّأثير الإسلاميِّ الكليِّ في مظاهر الحضارة الإفريقية

وفي أثر العيد في بناء انتماء المسلم إلى الأمَّة الإسلاميَّة الكبرى؛ يؤكِّد الباحث فيرناندیز – السَّابق ذكره – أنَّ مناسبة الحجِّ وعيد الأضحى تمثِّل هذا المعنى بامتياز؛ بوصفها تعبيراً عن (الصُّورة العالميَّة global image) للمسلمين حول العالَم[٤].

أمَّا في إفريقيا خصوصاً؛ فقد حقَّقت مناسبة العيدَين هذا المقصد التَّضامني بإحداث قَوْلَبةٍ جديدة لأسُس الرَّوابط الاجتماعيَّة بين مسلمي إفريقيا، وخرجت بتلك الرَّوابط عن ربقة الرُّؤية الضَّيِّقة المنحصرة في علاقات الدَّم والقَبيلة، إلى رابطة العقيدة الموسَّعة، وفي هذا السِّياق يوضِّح الكاتب بوغاجي أثرَ العيدَيْن وغيرهما من الشَّعائر الإسلاميَّة ببلاد الهوسا، فيقول: «إنَّ الشَّعائرَ الإسلاميَّة، كإيتاء الزَّكاة،

(١) G. C. Bruinhorst. (2007). Raise your Voices and Kill your animals, Amsterdam University Press, 44.

(٢) In G. C. Fernandez. (1985).///// 205-206. Bruinhorst, Raise your Voices, Op. Cit.

(٣) Palin, Michael. (2010). Sahara, UK: Hachette. (Day forty-three).

(٤) ///// ,.Fernandez. Op. cit

وصـــوم رمضان، وصلاة الجمعـــة، والعيدَين... وعقيقة الأطفال، ومراسم الزَّواج، والجنائز، قد شكَّلت رباطاً أساساً لتلك التَّجمُّعات. أمَّا طقوس تقديس قبور الأسلاف (Kusheyi)، التي كانت تمثِّلُ الرَّوابـــط الجوهريَّة في التَّجمُّعات القبَليَّة في تلك المنطقة، فإنَّها لم تعُدْ بذات أهميَّةٍ في مجتمع متعدِّد الأصول»[١]، ويؤكِّد الباحث جبريل كولي ذلك أيضاً؛ بأنَّ احتفاليَّات العيد بين يوربا، بســـيراليون في العهد الكولونياليِّ، كان له الأثر الكبير فـــي تضامُن هذا المجتمـــع ذي الأقليَّة آنـــذاك بمدينة فريتاوْن، وحفاظـــه على هويَّته واستقلاله[٢].

بناءً على هذه الأهميَّة لشـــعيرة العيدَيْن في المجتمع المســـلم؛ فإنَّ الدِّراسة الحاليَّة تسعى لاســـتعراض صُوَرٍ من تأثير هذه الشَّـــعيرة في ثقافات إفريقيـــا قديماً وحديثاً؛ وكما هو معلومٌ فـــإنَّ الحديث عن قارَّة مترامية الأطراف، وعبر حُقَبٍ تاريخيَّة ممتدَّة، لا يسلم من التَّعميم؛ لذلك فإنَّ الدِّراسة الحاليَّة مجرَّد استعراضٍ عامٍّ ليس إلاَّ.

هذا، وإنَّ الدِّراســـات في هذا المجال جدُّ نادرة، بل إنَّ المنهج الأكثـــر دقَّةً في تناوُل مثل هذا الموضوع هو المنهج الميدانيُّ المســـحي؛ لرصـــد مفردات ثقافة الأعياد الإســـلاميَّة في واقع مجتمعات إفريقيا المسلمة، وهو منهجٌ دون مقدور الباحث في هذا المقام.

بهـــذا الصَّدد، تجـــدر الإشـــارة أيضاً إلى دراستَيْن مهمَّتَين، وربَّما يتيمَتَين في هذا المجال: إحداهما للباحث الأنثروبولوجي برونْسْـــهورتْ – بالإنجليزيَّـــة –، وترجمـــة عنوانهـــا: (ارفـــعْ صوتك (بالتَّكبير) واذبـــحْ أضحيَّتك!) مطبوعة (٥٨٨ ص)[٣]، والأخـــرى بالفرنســـيَّة لمجموعة مـــن الباحثين الاجتماعيِّيـــن، عنوانها مترجماً: (تاباسْكي في السِّنغال: عيد إسلاميٌّ في مجتمع حَضَري)، منشـــورة فـــي كتاب مطبـــوع (٤٦٦ ص)[٤]، وتلتقي الدِّراســـتان في كونهما دراستين اجتماعيَّتين ميدانيَّتين فـــي المجتمع الإفريقي الحضَـــري المعاصر، وفي اســـتهدافهما رصد التَّأثيرات الثَّقافيَّـــة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة لعيد الأضحى بالمجتمع موضوع الدِّراسة، لكنَّ الدِّراسَتَين تختلفان – مكاناً – اختلاف المشرق والمغرب، لكَوْن الأولى عن أقصى شرق إفريقيا في مجتمع تانْغـــا بتنزانيا، والأخرى في أقصى الغرب الإفريقي عن المجموعات الإثنيَّة القاطنة بالسِّنغال.

وقبل هاتَين الدِّراسَـــتَين يوجد نصٌّ للرَّحالة المغربـــي ابن بطوطة عن زيارتـــه لمملكة مالي (١٣٥٢ – ١٣٥٣)؛ وسجَّل في فقراتٍ من الفصل الخاصِّ بمالي بعض مشـــاهداته لمظاهر عيد الفطر والأضحى آنذاك، إنَّ هذا النَّص القصير الذي جاء في (٤٢٦ كلمة) فحسب على قدرٍ من الأهميَّة كبير؛ لاشتماله على مضامين اجتماعيَّة وثقافيَّة قد انْمحى بعضها مع الزَّمن.

(١) Bugaje, Usman Muhammad. A Comparative Study of the Movements of UthmandanFodio in Early Nineteenth Century Hausaland and Muhammad Ahmad al-Mahdi in Late Nineteenth Century Sudan, MA Thesis, (Khartoum: Institute of African and Asian Studies), December, 1981), p.42.

(٢) Gibril, R. Cole. (2013).The Krio of West Africa: Islam, Culture, Culture, Creolization, and Colonialism in the Nineteenth Century,Ohio University Press, 177.

(٣) G. C. Bruinhorst. Raise your Voices..., Op. Cit.

(٤) Anne-Marie Brisebarre, Liliane Kuczynski. (2009). La Tabaski au Sénégal: une fête musulmaneen milieu urbain, KARTHALA Editions.

حقَّقت مناسبة العيدَين قَوْلَبةٍ جديدة لأسُس الرَّوابط الاجتماعيَّة بين مسلمي إفريقيا، وخرجت بتلك الرَّوابط عن ربقة علاقات الدَّم والقَبيلة، إلى رابطة العقيدة الموسَّعة

ومن المعلومات التي كشف عنها ابن بطوطة في مشاهداته تلك عن عيد الأضحى بمالي:

(أ) وجود المصلَّى في أرضٍ فضاء على مقربةٍ من القصر.

(ب) حرص المسلمين في لباس الجديد من الثِّياب البيض.

(ج) لبس السُّلطان وسائر النَّاس الطيلسان في هذا اليوم فحسب.

(د) تخصيص الملك بموعظةٍ بعد صلاة العيد.

(هـ) جلوس السُّلطان في ميدان على عريشٍ مضروبٍ يُطلَقُ عليه: «بَنْبي»؛ لسماع إنشاد «دوغا»، وعزف النِّساء، ورقص الغلمان.

(و) إنشاد شعراء «جالي» أشعاراً وعظيَّة؛ لتذكير السُّلطان بواجباته، وحثِّه على حسن الأفعال.

عيد الأضحى: أسامٍ محليَّة ومضامين ثقافيَّة:

يُطلق على عيد النَّحر في لغة هوسا: (بابانْ صلاة babban' salla)، أي: الصَّلاة الكبرى، وعلى عيد الفطر: (كرامارْ صلاة karamar salla)، ومثل ذلك تماماً عند مادينغ؛ حيث يُشارُ إلى عيد الفطر باسم: (seli-deni)، وإلى الأضحى باسم: (seli-ba)، وينبغي التَّنبُّه هنا إلى تعبيرهم عن العيد بكلمة: (صلاة).

أما يوربا؛ فيطلقون على عيد الأضحى: (Ileya)، وهي اقتراضٌ محرَّفٌ من العربيَّة (أضحى)، تطوَّر فيه صوتُ الضَّاد إلى اللاَّم على ألسنة يوربا، ومثل ذلك بلغة مادينغ: (lyan-seli)، أي: صلاة الأضحية[1]، غير أنَّ الباحث (Ryan: ١٩٧٨ : ٢٨٠) يذهب إلى أنَّ (ileya) عند يوربا غير مقترضة من العربيَّة، وإنَّما هي اختصارٌ لقولهم: (Ile-ya)، أي: لنَعد إلى البيت! إشارةً إلى عودة كلِّ فردٍ إلى أسرته ومسقط رأسه من أجل العيد[2].

وفي لغة ولوفْ بالسِّنغال وغامْبيا يُطلق على الأضحى: (تاباسْكي Tabaski)، وعلى عيد الفطر: (كوريتيهْ Korité).

أمَّا في السواحيليَّة؛ فيُعرف عيد الأضحى باسم: (عيد الحج)، ويُطلق عليه بعضُهُم: (sikukuu)، وهو إطلاقٌ عامٌّ على جميع الأعياد حتى غير الإسلاميَّة. كما توجد عدَّة إطلاقات عليه، منها: (iddyamfungotatu) (عيد الشَّهر الثَّالث بعد رمضان)، و (sikuya kuchinja (iddya)) (عيد النَّحر)، و (sikuyavijungu) (يوم المائدة؛ إشارةً إلى الأكل الجماعيِّ، وتلك عادةٌ تبدأ منذ غرَّة الشَّهر حتى يوم العيد)، كما يطلقون عليه: (sikukuukubwa) (العيد الأكبر)، ويقابله: (sikukuundogo) لعيد الفطر[3].

بناءً على هذا الاستعراض لعدَّة نماذج من

---

(١) تحويل صوت الضاد العربية إلى (لام) ممالة مطرد في اللغات الإفريقية الكونغو النيجيريَّة، يقرؤون مثلاً: (ولا الضَّالين) بقولهم: (ولا لالين).

(٢) Margaret, Thompson Drewal. (1992). Yoruba Ritual: Performers, Play, Agency, Indiana University Press, 215.

(٣) G. C. Bruinhorst. Raise your Voices..., Op. Cit., 132.

الأسماء المطلقة على العيدَين في لغات الشُّعوب المسلمة تتبيَّنُ تشابهات موجودة بين تلك الأسماء، مثل: وصف أحدهما بالأصغر والآخر بالأكبر، ويبدو أنّ ذلك ظاهرةٌ متواردةٌ في معظم لغات الشُّعوب المسلمة، غير أنَّ الجزم بذلك بحاجةٍ إلى دراساتٍ استقرائيَّة استقصائيَّة، بجانب ذلك توجد بعض الأسماء المختصَّة لدى بعض الشُّعوب كما هو الحال في السَّواحيليَّة.

هنا تجدر الإشارة إلى ظاهرةٍ ثقافيَّة عن أسماء (عيد الأضحى) في المجتمعات الإفريقية، تتمثَّل في تسمية المولود الذي يصادف مولدُهُ إحدى هاتَين المناسبَتَين بها، وتلك ظاهرةٌ معروفةٌ في الثَّقافة الإفريقية قبل الإسلام في إشارة الاسم إلى موسم معيَّن أو عيدٍ دينيٍّ، من ذلك: الاسم (Ekpo) عند إثنيَّة Ibibio بجنوب نيجيريا؛ لمن وُلد في موسم (عيد أرواح الأسلاف UsoroEkpo)[1].

أمَّا في السِّياق الإسلاميِّ؛ فإنَّ كثيراً من المسلمين يحملون أسماء الأيَّام والأشهُر العربيَّة؛ وبخاصَّة ذات العلاقة بالمناسبات والشَّعائر الإسلاميَّة، على سبيل المثال يشيع في الوسط السواحيلي وعند هوسا أسماء مثل: رجبُ، وشعبان، ورمضان، وعاشور، وجمعة، وتضاف علامة التَّأنيث إلى بعض هذه الأسماء للبنات، مثل: mwa-jumaa,mwana-jumaa.

أمَّا في مجتمع مادينغ؛ فيُطلقون على المواليد أسماء الأشهُرِ العربيَّة والمناسبات الدِّينيَّة بترجماتها في لغتهم، مثل: Sunkalo لرمضان، و Seriba لعيد الأضحى – اسماً للذُّكور –، و Domba لربيع الأوَّل، و Makurubi لليلة القدر – اسماً للإناث –، وعند فولاني يُطلق Julde على المولود بمناسبة عيد الفطر، فكلَّما نودي أحدٌ بأيٍّ من الأسماء المذكورة، عُرِفت مناسبةُ مولده.

أبرز مظاهر الاستعداد للعيد في المجتمعات الإفريقية:

يتمثَّل الاستعداد لعيد الأضحى في المجتمعات الإفريقية في عدَّة مظاهر اجتماعيَّة، منها: تزيين المنازل – في القرى– بطلائها بمادة بيضاء، وقد ترسم بعض النِّساء نقوشاً هندسيَّة مميَّزة على جدران منازلهنَّ، ويصبغن أيديهنَّ وأقدامهنَّ بالحناء، ويهيِّئن للعيد ما عندهنَّ من الزِّينة.

أمَّا الشَّباب؛ فيقومون عادةً قبل يومَين من العيد بتنظيف المصلَّى ونزع الأعشاب منه؛ لأنَّ صلاة العيد تكون عادةً في أرضٍ خلاء داخل القرية أو خارجها.

ويسهر الخيَّاطون شهراً كاملاً تقريباً قبل العيد في خياطة الملابس الجديدة.

ومن المظاهر العامَّة المرتبطة بالأضاحي، قيام بعض الأفراد بتسمين غنم لفترة قد تبلغ عاماً كاملاً أو عدَّة أشهُر، فيعزِلونها عن بقيَّة القطيع، ويحرصون على عَلَفها وإطعامها؛ حيث يُعتَقَد أنَّ كلَّ فردٍ سيجوز على الصِّراط على أضحيته، كذلك يُبادر بعضُهم إلى شراء أضحيَّته قبل العيد بأكثر من شهر؛ تفادياً للغلاء المصاحب لفترة العيد، كما يقوم الرُّعاةُ الفولانيُّون بعزل قطيعٍ من الغنم يُطلق عليها: (غنم العيد)، فيحرصون على تسمينها وورودها المراعي الخصبة والعناية بها؛ حتى تكون رائجةً في سوق العيد.

وقد أوضح الباحث أدْرياسينْ أنَّ أهميَّة العيد تتَّضح في هذا المقام، فكون الفولاني

(١) Klasberry, UmmaUmana. (2012). CULTURE OF NAMES IN AFRICA: A Search for Cultural Identity, Xlibris Corporation; also: E. U. Okoko (1988).Ubium History: Customs and Culture, Paico Limited.

رعاةً رُحَّلاً تحكُمُهم معايير كثيرة في قرار الحلِّ والتِّرحال؛ فـإنَّ عيد الأضحى يمثِّل معياراً قويّاً بين تلك المعايير، فيؤثِّر في اختيارهم للمراعي، وتوجيه مسار رحلاتهم الرَّعويَّة، ورصد الأسواق الرَّائجة ومواسـم العيد، أي أنَّ جانباً مهمّاً من حياة شعب الفولاني مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بعيد الأضحى[١].

هـذا، وتُعدُّ فترة عيد الأضحى فترةً باهظة التَّكاليف؛ بفعل العادات الاجتماعيَّة الكثيرة التي تلبَّسـت بهذه الشَّـعيرة، مثل لزوم شراء الرَّجل الأضحيـة لوالدَيْه ولأعمامـه وأحمائه، وتوفير ملابس العيـد لذَويه وبعض أقاربـه؛ مَا يُلجئ بعضَهُـم إلى تحمُّل ديونٍ كثيرة، وفي السِّـنغال مثلاً، تصرف الحكومة أو الشَّركات في القطاع الخاصِّ أجوراً مقدَّمة للموظَّفين بهذه المناسبة تُحسـم مـن رواتبهم علـى فترات، وتسـمَّى: (Advances Tabaski)[٢].

(١) Adriansen, H. K. (2008). Understanding Pastoral mobility: the Senegalese Fulani, GEOGRAPHICAL JOURNAL, Vol. 174, No.3, 222-207.

(٢) Anne-Marie Brisebarre, La Tabaski au Senegal, Op. Cit., 126.

أيضاً؛ من العادات قُبَيْل العيد سفر الأفراد إلى ذويهم إذا تيسَّر ذلك؛ لقضاء العيد معهم.

أمَّا عن هلال شـهر العيد؛ فلا بد أن يكون واضحـاً جليّاً لا يماري فـي رؤيته اثنان؛ لذلك ورد في أمثـال مادينغ قولهـم: (ereyira la yoselibakalo)، أي: فـلان يرائي مثل هلال عيد الأضحى.

الخروج للعيد:

يكـون خروج النـاس لمصلَّـى العيد وقت الضحى تبعاً للمذهـب المالكي في ذلك، وفي القـرى، حتى في بعض المُـدُن يأتي الإمامُ إمَّا راكباً دابَّة وإمَّـا راجلاً، وحوالَيه طلابه يقرؤون الآيات وينشدون المدائح النَّبويَّة، ويكون هُوَ آخر الحاضريـن عادَةً بعد شـيخ البلَد والأمير (في مجتمعات هوسا).

وبعد الصَّـلاة والخطبة يذبح الإمامُ أضحيته التي يؤتـى بها إلى المصلَّى؛ ليكـون ذلك إيذاناً للمسـلمين بالذَّبح، بعد ذلك ينتشـر النَّاس، وفي ولايات الهوسا بشـمال نيجيريا يسير الأمير مع الرَّكب من المصلَّى إلى قصره؛ حيث يجد بانتظاره جموع المهنِّئيـن من أهل القـرى الآتين لتهنئته بالعيد، وتقـام وليمةٌ كبيرة، وتـوزَّع الهدايا على

الفقراء، وقد يأتي بعضُهم بهدايا خاصَّة للأمير.

ومن الأنشـــطة الثَّقافيَّـــة المصاحبة لهذه المناسبة إنشاد المدَّاحين الشَّعبيِّين لأشعارٍ في حقِّ الأمراء، ووُجهاء النَّاس، وكذلك ســـرد قصَّة (بايزيدا)، وهي قصَّة ملحميَّة للبطل الأسطوريِّ الذي تزعم هوســـا أنَّه وفد من كنعان، وأنَّه هو جدُّ قبائل هوسا، ومؤسِّس ممالكها[١].

وفي مناطـــق يوربا جنوبـــي نيجيريا تخرج المجموعات في المدن في جولةٍ اســـتعراضيَّةٍ على الخيول المزيَّنة تُعرف باسم: (Ojude Oba/ita-Oba)، يطلقـــون فيهـــا الرَّصـــاص، ويلعبون بالرِّماح، وهي فُرصةٌ للأفراد والعشائر لاستعراض ثرائها وقوَّتها (العسكريَّة)[٢].

ويتبـــارى المدَّاحـــون الشَّـــعبيُّون في هذه المناسبة في ســـرد «مآثر» كلِّ عشيرة. أمَّا في جنوب بوركينافاســـو مثلاً، فـــإنَّ المدَّاحين من الفولانـــي يقومون بالتَّطواف على المنازل خلال أيَّام العيد الثَّلاثة، وإنشاد مدائح في حقِّ كلِّ أهل بيتٍ، ويحصلون بالمقابل على بعض الهدايا من الأقمشة، والدَّواجن، والنُّقود.

هـــذا، وإنَّ عنايـــة الملـــوك والسَّـــلاطين بإفريقيـــا بالعيدَين، وكونهما مناســـبةً لتوطيد أواصر التَّعاون، وحســـن الجوار بين المسلمين وبيـــن الملوك غير المســـلمين عـــادةً، لظاهرةٌ معروفةٌ في التَّاريخ الإفريقي، فقد كان كثيرٌ من الملوك يشـــاركون المسلمين في هذه المناسبة، ومـــن النَّماذج في هذا المجـــال مملكة (مُوصِي Mossi) الوثنيَّـــة القديمـــة، وفيها بلـــغ الوئامُ بين الأقليَّة المســـلمة وبين الزُّعمـــاء (مُورونَابا Moronaba) شأواً كبيراً، وكان الزَّعيم الوثنيُّ يشـــهدُ صلاة عيد الفطر (Nolokre) و صلاة عيد الأضحى (Kisha)، ويضحِّي فيه، ويجزل عطاياه للمســـلمين[٣]، وقد أحدَث ذلك خلافاتٍ فقهيَّة بين العلماء المســـلمين ببلاد السُّـــودان الغربي في مفهوم الولاء والبراء.

التَّهاني وعبارات المجاملة:

لمناسبة التَّهنئة بالعيدَيْن صِيَغٌ محفوظةٌ في معظم لغـــات إفريقيا، وتفيد تلك الصيغ فـــي تقوية أواصر الأخوَّة والتَّضامُن والألفة بين الأفراد في المجتمع.

ومن أشـــهَر عبارات التَّهنئة بعيد الأضحى بلغـــة مادينـــغ: (sambe-sambe)، أو: (salimafo!)، ويُجـــاب اختصـــاراً: (Allah an kesambejon ye!)، أي: (جعلنـــا اللـــه عِبَادَ كلِّ ســـنة)، وفي لغة وُلوفْ: (demenati, baalmaaq) (عيداً ســـعيداً، بلَّغنـــا الله عاماً آخر)، وعنـــد يوروبـــا: (EkuOdunileya/ EkuYedu) (عيد مبارك!).

وممَّا يتكرَّر عند مادينغ قولهم:

Smabesambe!	كل عام وأنتم
Fatigiya la. Batigiya la. Musotigiya la. Cetigiya la. Dentigiya la. Keneya la. Nafologigiya la.	بالآباء، بالأمهات، بالزَّوجات، بالأزواج، بالبنين، بالفتى...
Allah ka san camanyiraan'na	رزقنا الله أعواماً كثيرة.
Yafaan'ma	سامحونا (أخطاءنا)

(١) Dierk, Lange. "The Bayajidda legend and hausa history", in: Edith Bruder& Tudor parfitt (eds). (2012). The African Zion: Studies in Black Judaism, Cambridge Scholars Publishing, 138. 174.

(٢) Margaret, Thompson Drewal, Yoruba Ritual, Op. Cit., 143.

(٣) Levtzion,Nehemia.(1968). Muslims and chiefs in West Africa: a study of Islam in the Middle Volta Basin in the pre-colonial period, Clarendon P., 169.

قد يكتسب (عيد بَرزَ) منحىً سياسيّاً حادّاً في بعض الفترات تبعاً للطَّقس السّياسيّ، ومواقف المسلمين من الحكومات

ويزيد الدَّاعي في هـذه الصِّيغة ويخصِّصُ طبقاً لحـال المدعُوِّ له[١]، وقـد يطول الدُّعاء لدقائق معـدودة يتناوب فيها الأفـراد الدُّعاء بعضهم لبعضهم الآخر، ويتحـدَّدُ مدى الدُّعاء بمدى طلاقة الدَّاعي في الدُّعاء، وأحياناً علاقته بالمدعوِّ له. هذا، ولا بدَّ من زيارة جميع الأقارب والمعارف بهذه المناسبة للتَّهنئة.

غيـر أنَّ حياة المدُن قد لا تسـمح بالوفاء بهذه اللاَّزمة الاجتماعيَّة، ومع شـيوع وسـائل التَّواصُـل فـإنَّ الكثيريـن يكتفـون بالهواتف والرَّسـائل الإلكترونيَّة القصيرة (SMS)، وقد دخلت التَّهاني في الشَّبكة العالميَّة، وبدأ الشَّباب يتفنَّنون فيها، ومن إيجابيَّات ذلك توسيع مدارك بعض الشَّـباب عن العالَم الإسلاميِّ، وتضامُنهم مـع القضايا الإنسـانيَّة والسِّياسـيَّة التي تهمُّ المسـلمين، ففي تغريـدة إلكترونيَّة على توتير بمناسبة عيد الفطر؛ أرسل أحدهم باسم «سعيد كايْتا» من مالي تهنئةً يقول فيها:

«sambe – sambe/ happy Eid Mubarak/ Bonne fete de Eid del fitra a tout (sic) mesfreres et soeurs du monde. Paix au Mali, a Gaza, et dans le monde».

أي: «كلُّ عام وأنتم بخير/ عيد مبارك سعيد (بالإنجليزية)/ عيد فطر مبارك (بالفرنسـيَّة)، لجميـع إخوانـي وأخواتي في العالَـم.. ليحلَّ السَّلام في مالي وفي غزَّة وفي العالَم أجمع»[٢].

توزيع لحوم الأضاحي:

بعد عودة النَّاس من المصلَّى يشرع كلُّ بيت في ذبح أضحيته، والاعتقاد الشَّائع أنْ يتولَّى ربُّ البيت وصاحب الاضحية نفسه – إذا كان رجلاً – بذبحها، وليس غيره، اللَّهم إلاَّ إذا كانت زوجة الرَّجـل حاملاً، فإنَّ مجتمعات مادينغ تتشـاءم حينئـذٍ من إراقة الزَّوج للـدَّم، وفي تلك الحالة يتولَّى غيره الذَّبح، وفي المدن يكلِّف بعضُ النَّاس الجزَّارين المحترفين لسلخ الأضحية وتقطيعها.

ويطوف بعض الدَّباغين على المنازل لجمع الجلود ودبغها بأجور، وقد لا يرغب بعضُ النَّاس في ذلـك فيَهَبون الجلود لأولئـك الدَّباغين[٣]، وفي العادة تُتَّخذ تلك الجلود للصَّلاة، أو لتجليد المصاحف، أو لعمل الأحجبة التي يُعدُّها (علماء الأسرار) (sirrkaramogow)، وغير ذلك من الاستخدامات، ولتلك الاستخدامات تعبيرٌ قويٌّ لمكانـة الأضحية لدى المسـلمين، واعتبارها شهادةً قائمةً لهم يوم القيامة بأداء هذه الشَّعيرة.

بعد تقطيع اللَّحم إلى أجزاء صغيرة، ترسل شرائح منها إلى الأقارب والجيران والفقراء، وقد غدا هذا التَّوزيع مجرَّد «روتين» اجتماعيٍّ؛ حيث قد يتبرَّم بعضُهُم إذا أرسل بلحم إلى صاحبه ولم يحصل على «ردٍّ»، وكأنَّ الآخر لا يُبادلُهُ مجاملته بالمثل، ومن العادات القديمة السَّابقة للإسلام

(١) Steiner, Beatrice. (2011). Cybercafés de Bamako: les usages de l'Internet au prisme de la parentéet des classes d'âge, KARTHALA Editions,212.

(٢) Dated: 28 Jul 2014, 6:15am.

(٣) La Tabaski au Senegal, Op. Cit., 120

التي تدخَّلت في توزيع لحوم الأضاحي تخصيص أبناء الأخت بعنق الذَّبيحة!

وفي بعض مجتمعات هوسا، في توغو مثلاً، حيث يسكنون في أحياء معروفة، يُطلق عليها: (زونْغو)، ومعظمهم من التُّجار الموسرين، فإنَّ بعض أولئك من كبار التُّجار منهم ويُعرفون باسم: (مايْ غيدا maigida)، يقومون بذبح أبقار أو أغنام إلى جانب الأضحية الفريضة؛ وتوزيع لحومها على سكان الحيِّ[1].

وفي قرى مجموعات مالينْكي بمالي وكوت ديفوار وغينيا، يوجد قطيعٌ من البقر ملكٌ للقرية (forobamisi)، تؤخذ منها واحدة أو أكثر بحسب حجم القرية، فتُذبح وتوزَّعُ لحومها على الجميع. كما أنَّ من العادة – في القرى خاصَّة – الاجتماع وقت الظَّهيرة في دار شيخ البلد، وهو عادةً أكبر أهل القرية سنّاً، لغداء جماعيٍّ يحضرها جميع أهالي القرية ولو من غير المسلمين. كذلك، فإنَّ من العادة في عموم إفريقيا – تقريباً – إعطاء الجيران من غير المسلمين من لحوم الأضاحي، وهذا التَّقليد يُعزِّز روح السَّلام وحسن الجوار بين المسلمين وبين جيرانهم.

من العادات المرتبطة بلحوم الأضاحي في السِّنغال – خاصَّة – الاحتفاظ بأجزاء منها، قوائمها خاصَّة، لتُؤكَل ليلة عاشوراء، وكأنَّهم يربطون العام الفائت بالحاضر، ويقوم العلماء بشجب هذه العادة، وهي في اضمحلالٍ واضح.

رقصاتٌ وعروضٌ شعبيَّة:

تتخلَّل أيَّامَ العيد رقصاتٌ شعبيَّةٌ وفنونٌ أدائيَّة عدَّة بالمجتمعات الإفريقية على الرُّغم من الموقف المالكيِّ الصَّارم من الغناء واللَّهو، غير أنَّ العادات والتَّقاليد الموروثة لها قوَّة حاضرة.

ويقوم الشَّبابُ والنِّساء عادةً بتلك العروض الشَّعبيَّة المصاحبة للعيد، والظَّاهر أنَّ مظاهر البهجة واللَّهو تقلُّ في عيد الفطر عنها في الأضحى، ولعلَّ ذلك من تداعيات الحالة النَّفسيَّة الإيمانيَّة المفعمة المصاحبة لرمضان، أو لاعتبار عيد الفطر (عيداً أصغر)؛ كما يؤكِّده الإطلاق الدَّارج في معظم لغات المسلمين بإفريقيا.

وفي مشاهدات ابن بطوطة للعيدَين بمملكة مالي تسجيلٌ دقيقٌ للإنشاد بحضرة السُّلطان، وضرب آلة (بالانْغ balang=xylophone)، وكبيرُ المنشدين يُدعى (دوغا) متبوعاً بنحو ثلاثين من غلمانه.. «وكلُّ واحدٍ منهم متقلِّدٌ طَبله يضربه، ثم يأتي أصحابه من الصِّبيان يلعبون ويتقلَّبون في الهواء كما يفعل السِّندي، ولهم في ذلك رشاقةٌ وخفَّةٌ بديعة، ويلعبون بالسُّيوف أجمَلَ لعب»[2].

وفي الوقت الحاضر لا تزال صُوَرٌ من الرَّقصات والعروض الشَّعبيَّة تقام بمناسبة العيدَيْن، والأضحى خاصَّةً، مثل رقصة (taarab) بمجتمعات سواحيلي، وأغاني (واكا) بمجتمعات يوربا وهوسا، وغيرها من الفنون الشَّعبيَّة التي تُضفى عليها صبغةٌ دينيَّة، والسُّؤال: هل هناك أنواعٌ مخصَّصة من الفنون الغنائيَّة والرَّقصات الشَّعبيَّة لا تُقام إلا بهذه المناسبة؟ وهو سؤالٌ لا نملك عنه إجابةً في حال عدم اطِّلاعنا على

(١) Agier, Michel. (1981). Etrangers, logeurset patrons l'improvisationsociale chez les commercantssoudanais de Lome, CAHIERS D'ETUDES AFRICAINES, Vol.21 (81-83), 251-257.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، مصر: المطبعة الأزهرية، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م، (٢ / ١٩٨).

شعيرة عيد الأضحى لا تزال تحمل الكثير من المخزون الحضاريّ للمجتمعات المسلمة بإفريقيا

دراسات ميدانيَّة في هذا المجال.

من العادات القديمة بمجتمع سواحيلي بمنطقة تانْغَا، وبخاصَّة (تنزانيا)، خروج الصِّبيان مع معلِّميهم بعد صلاة العيد والتَّطواف في المدينة، يقرأون سُوَراً من محفوظاتهم، وينشدون قصائد إسلاميَّة، وفي الوقت الحاضر تقوم الجماعات والمدارس الإسلاميَّة بتنظيم مسابقاتٍ في حفظ القرآن بين الأطفال مساء العيد[١].

ومن الأنشطة الثَّقافيَّة الدِّينيَّة أيضاً ما يُعرف باسم: (عيد بَرَز iddbaraza)، وهو تجمُّعٌ على مستوى القرى والمدن والدَّولة في تنزانيا، وفي غيرها من مدُن الشَّرق والجنوب الإفريقي، يقوم فيها أحد المشايخ بكلمة حول موضوعٍ اجتماعيٍّ أو دينيٍّ، ويلقي بمواعظ إلى المستمعين، وقد يكتسب (عيد بَرَز) منحىً سياسيّاً حادّاً في بعض الفترات تبعاً للطَّقس السِّياسيّ، ومواقف المسلمين من الحكومات، وفي أهميَّة هذا التَّجمُّع يؤكِّد الباحث برونْسْهورتْ بقوله: «إنَّه أكثر أنشطة يوم العيد بروزاً (على المستوى الوطنيِّ)؛ لأنَّه يُذاعُ محليّاً في التِّلفزيون والرَّاديو»[٢]، ويحضره السِّياسيُّون ومسؤولو الحكومة، وله أبعادٌ سياسيَّة واجتماعيَّة بعيدةٌ واسعة، تُسهم في التَّأكيد على تماسُك المجتمع الإسلاميِّ، وتضامنه مع المجتمع من أجل تحقيق وحدة وطنيَّة.

هذا، ويبدو أنَّ تقليد (عيد بَرز)، هذا المشار إليه، امتدادٌ أو شبيهٌ بما أوردَهُ ابنُ بطوطة بمملكة مالي من جلوس السُّلطان على عريشٍ مضروبٍ بعد العصر، بحضرة جمهور الشَّعب، وقيام كبير الشُّعراء بإنشاد أشعارٍ وعظيَّة يذكِّره بأنَّ ملكه زائل، وأنَّ من الخير له أن يفعل من الخير ما يُذْكَر به بعده مثلما فعل أسلافه[٣].

العيد في الأدب والفنّ:

لشعيرة العيدَيْن، وغيرهما من الشَّعائر الإسلاميَّة، حضورٌ في الفنِّ الأدبي، غير أنَّ الباحث لا يكاد يعثر على ما يشفي في هذا المجال من النَّماذج الشِّعريَّة والقصص والحكايات، والظَّاهر أنَّ الكثير من تلك النُّصوص الشَّعبيَّة قد ضاع بفعل التَّحوُّل الاجتماعي المتسارع في المجتمع الإفريقي بأجمعه، والانقطاع الحادِّ بين الجيل السَّابق والحاضر، أضفْ إلى ذلك تصاعُد الاستكاف من الفنون الأدائيَّة من لَدُن الأجيال الجديدة من العلماء المسلمين.

من القصص الشَّعبيَّة في هذا المجال قصَّة الذِّئب الطَّماع (La tabaski de bouki)، الذي أراد أن يُعيِّد الأضحى مثل ملك، يسرق أربعة خراف سمان من أربع قُرى، ويمنِّي نفسه بالأكل حتى التُّخمة، وفي يوم العيد حين دقَّت طبول الدَّعوة للوليمة في القرية الأولى، وبدأ الذِّئب يجري نحوها،

(١) G. C. Bruinhorst. Raise your Voices..., Op. Cit., 355.

(٢) Ibid.,353.

(٣) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، مصدر سابق، (٢ / ١٩٨).

دقَّت الطُّبول في القرية الثَّانية؛ فعاد أدراجه، وهكذا وقع الذِّئب في حَيْصَ بَيْصَ، وهو يلهث جارياً نحـــو كلِّ قريةٍ، فلا يصل إلى منتصف الطَّريـــق حتى يعود جاريـــاً نحو قرية أخرى، والنَّتيجة أنَّـــه أعياه الجـــريُ، وخارت قواه، ولـــم يصل أبداً إلى أيٍّ من القرى، فـ «الطَّمع والشَّره يوقعان صاحبهما في أخطاء»[١]، كما تقول القصَّة.

وإذا كانـــت النَّمـــاذج شـــحيحةً في هذا المقام في النُّصوص الشَّعبيَّة؛ فإنَّ النَّماذج من الرِّوايـــات الفنيَّة الحديثة التي تناولت موضوع عيد الأضحى، فـــي إثراء فضائهـــا الرِّوائيِّ، يمكن وصفها بالكثيرة، ومن أوائل تلك الرِّوايات الفنيَّة التي تناولت موضوع عيد الأضحى رواية (كريـــم) لعثمان صوصيهْ السـنغالي[٢]، وفيها تصويرٌ لبعض المظاهـــر الاجتماعيَّة المعتادة للعيدَين، ومثلها روايـــة (القمامة) للروائي بابا باتيهْ ديـــوبْ[٣]، عالج فيها تمسُّـــك المجتمع بالمظاهر، وإرهاق الأفراد أنفســـهم من أجل إرضاء الرَّأي العام، ففي عيد الأضحى يحرص كلُّ ربِّ أســـرة في توفير الملابـــس الجديدة لزوجاته وأطفاله، ويتباهَوْن في ذلك، وفوق كلِّ ذلك حرص كلِّ شـــخصٍ على شراء الأضحية مهما غلا الثَّمن؛ مخافة أن يقع ضحيَّة الألسن، أو أن يبدوَ أقلَّ قدراً من أقرانه.

بعيداً عن توظيف شـــعيرة الأضحى فنيّاً فـــي النَّقد الاجتماعيِّ؛ تأتـــي رواياتٌ جديدة لتصوير الدِّلالات الرُّوحية والإنسانيَّة السَّامية في شعيرة العيد، ولدينا في هذا الصِّنف رواية (صاحبة الجلجـــل الذَّهبـــي) للروائي تيمتي باصـــوري[٤]، وفيها تســـجيلٌ عميق لطقوس عيـــد الأضحى، وحمل العيد لمضامين روحيَّة واجتماعيَّة في إثـــراء رؤيا هذه الرِّواية؛ بكون الإســـلام عاملاً للسَّـــلام والتَّســـامُح والوئام الاجتماعيِّ.

روايـــاتٌ أخرى ســـعت إلى رســـم بعض أبعاد شـــخصيَّاتها من خلال ربطها بشـــعيرة عيد الأضحـــى، ومن الصُّور المتـــواردة في تلك الرِّوايات إبرازها لمبـــدأ (برِّ الوالدَين)، وذلك بالتـــزام الشَّـــخصيَّة المحوريَّة بتوفير كبـــش الأضحية لوالدَيه، من ذلك رواية (نداء حلبـــات المصارعة) للكاتبـــة أميناتا صوفالْ السنغاليَّة، وفيها يلتزم السَّيد (انْديوغو باري) كلَّ عام بشراء الأضحية لوالدته العجوز على الرُّغـــم ممَّا عُرِفَ عنه من انـــزلاقٍ في حياة البورجوازيَّة، والتَّنصُّل من العادات والأعراف التَّقليديَّة[٥].

مـــن الأمثلة الرِّوائيَّة أيضـــاً رواية (ضفادع الأحراش) السِّياســـيَّة، وفيها يُقبضُ على البطل الثَّائر في اضطرابٍ سياســـيٍّ، وبينما يُقاد إلى حتفـــه يهمس في أذن زوجتـــه بوصيَّته الأخيرة قائلاً: «اذهبي إلى البنك واسحبي الرَّصيد كلَّه، وأرسلي منه إلى والدي لمصاريف عيد الأضحى المقبل...»[٦].

كذلك، يبـــرز مبدأ البـــرِّ بالوالدَين مرتبطاً

(١) Roger M., Le Baron et Jacques Francois. (1828). Fables Senegalaises,Paris : Nepveu, 77-78.

(٢) OusmaneSoce. (1948). Karim: Roman Senegalais, Nouvelles Editions Latines.

(٣) Pape PatheDiop. (1984). La Poubelle, Présenceafricaine,91.

(٤) BasoriTimite, Grelots d'Or. (1983). CEDA.

(٥) Aminata Sow Fall. (1982). l'Appel des Arenes, Les Nouvelles Editions Africaines, 112.

(٦) ThernoMonenembo. (1978). Crapauds de brousse, Éditions du Seuil, 122.

بشعيرة عيد الأضحى في مشاركة الغلام «عثمان» في سباقٍ للجري يوم العيد، وفوزه بكبشٍ يأتي به إلى المنـــزل هديَّة لوالده الـمُقْعَد المعْدم، يقول السَّارد: «في ذلك اليوم؛ كانت صورة الإله القادر قد ارتســـمتْ بجلاءٍ أمام عَيْنَـــي بابا إبراهيما، أدرك أنَّ الله قد زوَّد ساقَيْ ابنه عثمان بما فقَدَهُ هو من ســـاقَيْه.. كلاَّ لم يَعُدْ أيضـــاً مُقعداً»[١]، وبهذا الموقف اســـتطاع الكاتب أن يُصوِّر بدقَّةٍ إسهام هذه المناســـبة في إبراز بُعدٍ عميقٍ في شـــخصيَّة الغلام، وفي الوقت نفسه بُعد الإيمان بالله وبألطافه في شـــخصيَّة والد الغلام، فعيد الأضحى، في كلٍّ من الرِّوايات الفنيَّة السَّـــابقة، قد اضطلع برسم البُعد الرُّؤيَوي للرِّواية، وبإثراء فضائها، ورسم أبعاد شخصيَّاتها.

خاتمة:

إنَّ تأثير عيـــد الأضحى في جوانب الثَّقافة الإفريقية يُعدُّ صورةً جزئيَّة من التَّأثير الإسلاميِّ الكليِّ في مظاهر الحضارة الإفريقية، أكَّد ذلك باحثون كُثُر عبر دراسات أنثروبولوجيَّة وتاريخيَّة، منهم الباحث برافْمان[٢]، الذي استكشف الكثير من الأصول الإســـلاميَّة في فنِّ الأقنعة، ومنهم الباحثان مارك[٣] وتامـــاري[٤]، وغيرهم، بل إنَّ هـــذا التَّأثير، كما يؤكِّده الباحـــث ماهر صولْ، قد تجاوز الأوساط الإسلاميَّة بإفريقيا إلى غير المســـلمين، ومن مظاهر ذلك ربط المجموعات الإثنيَّة غير المسلمة الكثير من رموزها الثَّقافيَّة بالمصدر المكِّيّ، واقتراضها الكثير من العناصر الإسلاميَّة في طقوسها التَّقليديَّة[٥].

هذا، وإنَّ شعيرة عيد الأضحى لا تزال تحمل الكثير من المخـــزون الحضـــاريِّ للمجتمعات المســـلمة بإفريقيا وفي غيرها من المجتمعات، من ذلك مثلاً إســـهام هذه الشَّـــعيرة في نشـــر ثقافة السَّلام والتَّسامُح، وفي تعزيز روح الإخاء والتَّضامن في المجتمع بأسْرِه.. مسلمين وغير مســـلمين، ولا شـــكَّ أنَّ دعم هذه الخاصيَّة في شـــعيرة عيد الأضحى يحقِّق مكاسب اجتماعيَّة جمَّة لم تـــزل المجتمعات البشـــريَّة بعيدةً عن تحقيقها.

أخيراً: إنَّ الدِّراســـة الحاليَّة لو نجحت في «فتح شـــهيَّة» الباحثين للقيام بدراساتٍ مفصَّلة مركَّزة عن شـــعيرة عيد الأضحـــى، أو غيرها من الشَّـــعائر الإسلاميَّة، واستكشـــاف آثارها الحضاريَّة بإفريقيا.. لو حقَّقت قراءة الدِّراســـة الحاليَّة هذا المقصد؛ لكفى ذلك! ■

---

(١) Ide Oumarou. (1997). Gros Plan, NEA.

(٢) Bravmann, René A. 1974. Islam and Tribal Art in West Africa. Cambridge: Cambridge University Press.

(٣) Mark, Peter. 1992. The Wild Bull and the Sacred Forest: Form, Meaning and Change in Senegambian Initiation Masks. Cambridge: Cambridge University Press.

(٤) Tamari, Tal. 2001. Notes sur la représenta tioncosmogoniquedogon, bambara et malinké et leursparallèles avec la pensée antique et islamique. Journal des Africanistes 71(1): 93–111.

(٥) Soul, Mahir, Islam and West African Anthropology, AFRICA TODAY, 26.

اللغات الإفريقية في التكنولوجيا المعلوماتية

أ. محمد تفسير بالدي

باحث دكتوراه في الدراسات الإفريقية - غينيا كوناكري

في ظلّ العولمة التي تشهد فيها وسائل الحياة تحوّلاً لا مثيل له، من ثورةٍ معلوماتية في معظم مجالات الأنشطة المتداولة، اتخذت التكنولوجيا الحديثة سجلات آلية للحفاظ على التراث العالمي من الضياع والاندثار، وأصبحت أرضية خصبة لتطوير اللغات المهددة بالانقراض؛ وذلك لما تسهم به «المعرفة التكنولوجية» من دورٍ أساسيٍّ في التنمية المستدامة.

ولعل من بين أضخم المشاريع التي عُنيت بذلك: مشروع شركة غوغل العملاقة المسمّى: (مشروع اللغات المهددة بالاندثار)، والذي يهدف إلى توثيق ٣٥٠٠ لغة معرّضة لخطر الانقراض خلال الأعوام المائة القادمة[١]، ومشروع منظمة اليونسكو (Unesco) المعروف باسم: (برنامج ذاكرة العالم) الهادف إلى إجراء «دراسة لقياس التعدد اللغوي على الإنترنت، وبحث سبل استخدام جميع اللغات في مواقع الخدمات العامة، مع التأكد من تضمين

(١) التفاصيل في موقع المشروع: www.endangeredlanguages.com

ترجمة العلوم التكنولوجية باللغات الإفريقية تعتمد – غالباً - على العمل التطوعي الفردي أكثر من العمل المؤسسي

لغات الأقليات بها»[٢].

وظهرت كلّ هذه المشاريع الرقمية بعد الدراسات الميدانية التي أكدت أنّ «واحدة من اللغات تختفي كلّ أسبوعين تقريباً»[٣]، بما فيها بعض اللغات الإفريقية والآسيوية.

من هنا تضاعفت الجهود العلمية لإدراج اللغات المهددة بالانقراض ضمن برامج التكنولوجيا المعلوماتية، لتصبح لغات علمية عالمية متداولة؛ ذلك أنّ لترجمة «العلوم والتكنولوجيا دوراً مهمّاً في إغناء اللغة العلمية أو التكنولوجيا للمجتمع»[٤].

وهذه المبادرات الرقمية لم تكن بمعزلٍ عن القارة الإفريقية؛ إذ برزت بها مشاريع مهمّة، حاولت ادماج اللغات الإفريقية ضمن التكنولوجية المعلوماتية، عبر

(٢) هذا ما أكدته جوى سبرينجر مديرة برنامج ذاكرة العالم بمنظمة اليونسكو في مؤتمر (التعددية اللغوية والعولمة والتنمية) الذي نظمته مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع بيت اللغات (لينجوامون)، ومؤسسة (روبرتو مارينهو) بالبرازيل، وبرعاية اليونسكو. ينظر: الأهرام – الطبعة العربية، على الرابط www.ahramdigital.org.eg/articles.aspx?Serial=355572&eid=1114.

(٣) المصدر: روسيا اليوم تي في RT + هافينغتون بوست، http://arabic.rt.com/news/757528 .08.09.2014

(٤) محمد مرياتي: أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، يوليوز ٢٠٠٢م، ص ٢٦.

برامج متنوّعــة، من أهمها: البرامــج الحرة (Open Source)، والبرامــج المخصّصــة لترجمــة اللغات العالمية في العلوم التكنولوجية.

ولأهمية الموضوع ومحوريته، في مستقبل التراث اللغــوي الإفريقي وعلاقته بالتطورات المتلاحقة، تأتي هذه المســاهمة للبحث عن معدّل النمــوّ التكنولوجي للغات الإفريقية، والتركيــز على الجهود العلمية لدعم محتــوى اللغات الإفريقية في التكنولوجيا الحديثة، ولا يهمّنا في ذلــك الأبجدية التي تُكتب بهــا اللغات قيد الدراسة بقدر ما يهمّنا حضورها في مجتمع المعلومات؛ ذلكم أنّ كتابة اللغات الإفريقية بأبجدية موحّدة لا يزال إشكالاً قائماً بذاته في الأوساط الإفريقية.

وتجدر الإشــارة إلى أنّ معظم اللغــات الإفريقية تكتب – الآن – بالحــرف اللاتيني المدعوم من طرف اليونسكو ومنظمة الوحدة الإفريقية – قديماً والاتحاد الإفريقي حالياً –، وهي كلٌّ من: (السواحيلية، والهوسا، والفولانيــة، والولــوف، والصومالــية، والأفريكانــز، واليوروبا، والإيبو).

واللغات نفســها المذكورة آنفــاً، إلى جانب بعض اللغــات الإفريقية الأخرى كالسوســو، تُكتب بالحرف العربي المدعوم من طرف المنظمة الإسلامية للتربية والعلــوم والثقافــة (إيسيســكو)، ومعهد الدراســات والبحــوث للتعريب التابــع لجامعة محمــد الخامس بالمغرب، ومعهد الخرطــوم الدولي للغة العربية التابع للمنظمة العربيــة للثقافة والتربية والعلوم (ألســكو)، ومركز يوســف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربي بجامعة إفريقيا العالمية بالسودان.

وتميّزت بعض اللغات الإفريقية بأبجديتها الأصيلة، مثل (أبجدية انكو) بغرب إفريقيا، و (أبجدية ماندومبي Mandombe) بالكونغــو الديموقراطية، و (الأبجدية الأمازيغية) بشمال إفريقيا، و (الأبجدية الإثيوبية) التي تُكتب بهــا الأمهرية والتيجرينية فــي إثيوبيا وإريتريا، كلّ هذه الأبجديات فرضت نفســها بحروفها الخاصة فــي التكنولوجيا الحديثة بعيداً عــن الحرفين العربي واللاتيني.

ومن المعلــوم أنّ التكنولوجيــا المعلوماتية تخصّ جميع وســائل الإعلام المتداولة، مــن: إذاعة، وتلفزة، وجرائد ومجــلات، وما يدور في الشــبكة العنكبوتية مــن برمجيات متنوّعة، إلا أننا ســنركّز في دراســتنا على البرامج الحاســوبية، والهواتف الذكية، وخدمات الإنترنت.

ولقــد ارتأينا بعد جمــع المــادة العلمية للبحث وتصنيفها أن نعرضها في خطة تشــتمل إجمالاً على: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

تمهيد: البداية الفعلية لتطوير اللغات الإفريقية عبر التكنولوجيا المعلوماتية:

نظــراً لما تلعبه التكنولوجيــا المعلوماتية من دورٍ فعّالٍ في إغناء اللغة وحمايتها من الضياع والانقراض؛ بــرزت مجموعة من المبــادرات الإقليمية في إفريقيا لتطوير اللغات الإفريقية عن طريق الترجمة العلمية.

ومنــذ مؤتمر باماكو (مالي)، الذي أشــرفت عليه منظمة اليونســكو عــام ١٩٦٦م بمشــاركة مجموعة من الخبــراء الأفارقــة واللســانيين الأجانب، لوضع خطة شــاملة حول تطوير اللغــات الإفريقية بالحرف اللاتينــي[١]، عُقدت اجتماعات مكثّفة على المســتوى الجهوي بخصوص اللغات الإفريقيــة، كان من أبرزها مؤتمر نيامــي بالنيجر عام ١٩٩٨م، وقمّة أســمرة[٢] بإريتريــا عــام ٢٠٠٠م، ومؤتمر باماكــو ٢٠٠٢م تحت عنــوان: (اللغات الإفريقيــة والإنترنــت Langues africaines et internet).

(١) ينظر: ورقتنا التي قدّمناها في ندوة اليوم الثقافي الأول: (اللغة والثقافة الفولانية وشقيقتها الإفريقية)، بعنوان: اللغة الفولانية وتوظيف التكنولوجيا في خدمتها، (تحت الطبع) جامعة القاهرة ٢٤ فبراير ٢٠١٥م.

(٢) La déclaration d'Asmara sur les langues et littératures africaines, Conférence intitulée, Contre toute attente: Langues et littératures africaines dans le 21ème siècle, Asmara, Érythrée, 11 17 janvier 2000.

ومنذ أن تبنّى الاتحاد الإفريقي مشروع الاهتمام باللغات المحلية، بأن أسّس الأكاديمية الإفريقية للغات (Académie Africaine des Langues) عام ٢٠٠٠م، وبعدها تأسّس مركز الدراسات اللغوية والتاريخية عن طريق التقليد الشفهي Centre d'études linguistiques et historiques par tradition، بدأت اللغات الإفريقية تثبت ذاتها للاندماج ضمن اللغات العالمية، وذلك عبر التأليف والترجمة والنشر والبرامج التعليمية والتكنولوجيا المعلوماتية.

ولعل أهم ما يلفت أنظارنا في ذلك هو أنّ اللغة السواحيلية، التي بدأت عملية تطويرها منذ سنة ١٩٧٨م، تحتل اليوم مكانة خاصة على المستويين الوطني والإقليمي؛ إذ أصبحت اللغة الرسمية الأولى في تنزانيا، كما أنها إحدى اللغات المعتمدة في الاتحاد الإفريقي.

ومن أهم المجالات التي انخرط فيها مطوّرو اللغات الإفريقية: وسائل الإعلام (المكتوبة والمسموعة والمرئية)، والتكنولوجيا الحديثة بكلّ صورها، للحفاظ على تلك اللغات من الضياع والانقراض، ولإثبات وجودها في المجالات المتداولة اليوم، ولإنشاء هويّة «رقمية» إفريقية، وتفيد بعض الأبحاث اللسانية بإفريقيا أنّ القارة الإفريقية قد حظيت ببرنامج حاسوبي يمكّن من الكتابة بجميع اللغات الإفريقية، وذلك منذ عام ١٩٩٢م برعاية من اليونسكو[١].

وخلال مؤتمر تونس حول (مجتمع المعلوميات)، اتفق المشاركون على «العمل لتحقيق التعدد اللغوي على الإنترنت»، كما دعوا إلى «استخدام اللغات المحلية فيه لتطوير المحتويات، والترجمة، والتأليف،... ومجالات متنوعة من تكنولوجيا المعلوميات»[٢].

(١) ينظر: http://fr.allafrica.com/stories/200407280842.html (زرناه في ٢٠١٥).

(٢) Agenda de Tunis pour la société de l'information, document WSIS05/TUNIS/DOC/6 (Rév.1)F, paragraphe 53.

ويبقى أنّ القمّة التحضيرية بالعاصمة المالية باماكو ٢٠٠٢م، حول المجتمع العالمي للمعلوماتية la Société Mondiale de l'Information، أوصت بضرورة إدماج اللغات الإفريقية ضمن البرامج التعليمية والتكنولوجيا الحديثة لضمان تنمية القارة الإفريقية[٣].

كيف اندمجت اللغات الإفريقية في التكنولوجيا المعلوماتية:

لم يكن تطوير اللغات الإفريقية وفق المعايير العالمية المعتمدة في العلوم التكنولوجية من السهولة بمكان؛ ذلك أنّ الأبجديات التي تختص بها غير مسجّلة في الآلات المتداولة عالمياً، الأمر الذي كان عائقاً في وجه المطوّرين.

ولتسهيل عملية الاندماج لجؤوا إلى معيار اليونكود (unicode) الذي بواسطته استطاعوا أن يصنعوا لوحات مفاتيح خاصة بالأبجديات الإفريقية؛ لأنّ الحروف التي لا يتعرّف عليها معيار اليونكود لا يمكن استعمالها في المواقع الإلكترونية مثلاً – إلا عن طريق ال Html –، ومن هنا أوصى الخبراء في مؤتمر نيامي (١٩٩٨م) بضرورة توحيد لوحة المفاتيح الإفريقية لتقريب اللغات الإفريقية، وهذا الذي تحقّق على يد شركة ريفال الإفريقية Réseau international francophone d'aménagement linguistique) التي قامت منذ عام ٢٠٠م بتمويلٍ من فرنسا لتمكين المنظمات اللسانية ببلدان إفريقيا الفرنكوفونية من اعتماد معيار اليونكود Unicode[٤].

(٣) Maxime Z. Somé/ LES LANGUES AFRICAINES ET LES TIC, Université de Koudougou (Burkina Faso) Université Paris XNanterre (France), page : 89.

(٤) www.rifal.org

المبحث الأول: اللغات الإفريقية في التكنولوجيا الحديثة:

استطاعت مجموعة من اللغات الإفريقية أن تتلمس طريقها ضمن برامج الشركات الإلكترونية العالمية، وبعد ظهور البرامج الحرّة، أو ما يعرف باسم Open Source، سارع كثيرٌ من مطوّري اللغات الإفريقية إليها لترجمة بعض البرامج المتداولة في عالم الإنترنت، ومن أكثر المشاريع التكنولوجية انفتاحاً على اللغات الإفريقية ما يأتي:

١ - مشروع Pootle:

فهذا المشروع، بالإضافة إلى كونه من أصلٍ إفريقيٍّ وبرعاية من دواين باي لي Dwayne Bailey من جنوب إفريقيا، يوفّر ترجمة البرامج الحرّة بطريقة ميسرة، وفيه أكثر اللغات الإفريقية انتشاراً كلها قيد الترجمة، ويقدّم برامج حديثة، من بينها: FileZila FreeMinde ، و وورد بريس Wordpress .. وغيرها.

وتصل ترجمة اللغة الأفريقانية (afrikaans) فيه بمعدّل ٥٤٪، والبامبارا ٥٪، والهاوسا ١٪، والفولانية ٦٦٪، والسواحيلية ٣٩٪، والولوفية ٤٪، واليوروبا ٣٪.

ويلاحظ أنّ اللغة الفولانية تحتل الصدارة في هذا المشروع أمام اللغات الإفريقية الأخرى بنسبة ٦٦٪، وتأتي بعدها الأفريقانية بنسبة ٥٤٪.

٢ - مشروع Transifex:

وهذا المشروع - كسابقه - متخصّصٌ في ترجمة تطبيقات الحواسيب والهواتف الذكية والمواقع الإلكترونية، والأفلام المشهورة إلى لغات العالم، ففيه أكثر من مائة لغة متداولة، من بينها اللغات الإفريقية.

٣ - برنامج Tux Paint:

وهو عبارة عن برنامج للرسم، مصمّمٌ للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ - ١٢ سنة، ويُستخدم في معظم المدارس في أنحاء العالم باعتباره نشاطاً لتعلّم الرسم عن طريق الكمبيوتر، ولقد تُرجم البرنامج إلى العديد من اللغات الإفريقية، منها: السواحيلية، والولوفية، والبابمبارا، والسونغاي، والفلانية، والهوسا، ولغة فيندا (venda)[١].

٤ - الأنظمة التشغيلية:

(٤-١) مايكروسوفت ويندوز:

في استراتيجيتها الجديدة لتوسيع آفاقها بإفريقيا، بادرت شركة مايكروسوفت بمشروع ضخم أسمته: (مايكروسوفت من أجل إفريقيا Microsoft ٤ Afrika)، ويهدف إلى تأهيل ٢٠٠٠٠٠ ألف شخص في مجال التكنولوجيات؛ نصفهم ستساعدهم الشركة للحصول على العمل من طرف معارفها.

كما بادرت مايكروسوفت في خطوةٍ ناجحة لترجمة أنظمتها التشغيلية إلى اللغات الإفريقية الأكثر انتشاراً؛ فظهر (ويندوز فيستا) بلغتي الولوفية والأمهرية، وكذا (ويندوز ٨) باللغة الأمازيغية...، ويُذكر أنّ شركة مايكروسوفت وضعت خطة لإعداد المعاجم اللغوية المتخصصة لتسهيل عملية الترجمة ضمن برامجها المعلوماتية.

(٤-٢) النظام التشغيلي الحرّ أوبنتو:

كلمة (أوبنتو) مأخوذة من لغة الزولو، والمعنى الحرفي لها: (الإنسانية)، ولكن المعنى المقصود بها يأتي من الاستخدام الجنوب إفريقي لها لوصف مبدأ (الإنسانية تجاه الآخرين)، أو ما يترجم أحياناً باسم: (نحن موجودون بسبب الآخرين)، تم تسمية التوزيعة بهذا الاسم؛ لأنه من المراد لها أن تجلب مفهوم أوبنتو إلى عالم البرمجيات، فأوبنتو هو: نظامٌ حرٌّ ومجانيّ، ويمكن نشره بين أي عدد من الأشخاص[٢]، فهذا النظام الجنوب إفريقي مستخدمٌ في عددٍ كبيرٍ من اللغات الإفريقية، أهمها: الأفريقانية، والولوفية، والزولو... ومعظمها قيد الترجمة.

---

(١) موقع البرنامج http://www.tuxpaint.org/

(٢) موسوعة ويكيبيديا.

اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي لا ترقى إلى المستوى نفسه الذي تحظى به اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف اللاتيني من حيث عدد المواقع وجودتها

٥ - البرامج المكتبية:

قبل ظهور اللغات الإفريقية في البرامج المعلوماتية والشبكة العنكبوتية كانت حاضرة في البرامج الخاصة لتحرير النصوص، كما اعتمدتها بعض المطابع القديمة[١] التي ساهمت في نشر الكتب والمجلات ببعض اللغات الإفريقية.

وقد وعدت شركة مايكروسوفت العملاقة، في خطوة أولى لمحاولة إدراج اللغات الإفريقية ضمن برامجها الإلكترونية، اعتماد بعض اللغات الإفريقية في برامجها المكتبية Microsoft Office عام ٢٠٠٣م، فصدرت نسخة البرنامج في ١٥ لغة إفريقية، والإصدار الأخير من البرنامج متوفرٌ في كلٍّ من: الأفريقانية، والأمهرية، والهوسا، والإيبو، والزولو، والسواحيلية، واليوروبا[٢].

وهناك برامج مكتبية أخرى ترجمت باللغات الإفريقية، نذكر منها:

- كوما كوندا koma Kunda: وهو أوّل برنامج لتحرير النصوص ظهر بلغة انكو.

- أوبن أوفيس Open Office: صدر بلغة جولا Djoula[٣]: وهي باقة من تطبيقات مكتبية حرة ومتعددة المنصات، تدعم أنساق مايكروسوفت أوفيس (٩٧ - ٢٠٠٣ - ٢٠٠٧)، ويتوفر أوبن أوفيس حالياً بأكثر من ١١٠ لغة؛ فيها ما يزيد عن خمس عشرة لغة إفريقية[٤] لا يزال أغلبها قيد الترجمة.

- Somitek Hikaadiye: وفي إصداره الثالث لويندوز (٣,١): أصدرت شركة مايكروسوفت نسخة من برنامجها المكتبي باللغة الصومالية تحت اسم Somitek Hikaadiye، بميزة مراجعة النصوص وتصحيحها[٥].

- خدمة Bambara/Bamanakan spell checker للتدقيق الإملائي للنصوص بلغة البامبارا: وهي متوفرة في أغلب البرامج المكتبية لتحرير النصوص، من أمثال: Libre Office, Open Office, Neo Office -Windows, Linux- Mac OsX. كما يمكن إدماجها في متصفح فيرفوكس، وهي من إعداد البروفسور فالين تن فيدرين (Valentin Vydrin) من معهد اللغات الشرقية INALCO / بفرنسا[٦].

- La Boîte à innovations: ومن جهته؛ أطلق الناشط الكندي توني سيمار Tony Simard مشروعه الموسوم باسم: La Boîte à innovations عام ٢٠١٣م، ويهدف للوصول إلى المعرفة عن طريق

(١) Don Osborn/ LES LANGUES AFRICAINES A L'ERE DU NUMERIQUE, Défis et opportunités de l'informatisation des langues autochtones, Traduit de l'anglais par: Geneviève Deschamps, Centre de recherches pour le développement international, 2011. Page : 96.

(٢) للتفاصيل ينظر: http://www.microsoft.com/wosn/download/details.aspx?id=36528

(٣) التفاصيل على هذا الرابط: https://fr.groups.yahoo.com/neo/groups/UnicodeAfrique/conversations/messages/1233

(٤) Don Obsorn / 133.

(٥) موقع البرنامج www.somitek.com (لكنه معطّل).

(٦) لمزيد من المعلومات، ينظر: http://extensions.libreoffice.org/extensioncenter/bambarabamanakanspellchecker

التكنولوجيا الحديثة باللغات الإفريقية، وخصّص لمشروعه ستّ لغات إفريقية هي: لغة فون le fon، واليوروبا، والباتونو baatonu، والجولا، والولوف، والفولفلدي (الفولانية). ويقدّم مشروع توني سيمار هذا: مجموعة من البرامج التعليمية في علم الرياضيات، والمعلوميات، ومبادئ الإنترنت... وكلّها مترجمة إلى اللغات الإفريقية المذكورة آنفاً[١].

٦ - الهواتف الذكية:

يكاد المرء لا يجد استخدام اللغات الإفريقية ضمن الهواتف الذكية الأكثر تداولاً في عالم الهواتف، من أمثال نظام أندرويد، والآيفون، وهواوي HUAWEI.

ومنذ فترة بادرت شركة نوكيا بإدراج بعض اللغات الإفريقية ضمن هواتفها المحمولة؛ فترجمت في خطوتها الأولى بعض منتجاتها بالأفريقانية، والسواحيلية، والهوسا، واليوروبا، والإيبو، والزولو، وغيرها من لغات جنوب إفريقيا[٢].

كما اعتمدت شركة مايكروسوفت كبرى اللغات الإفريقية في نظامهما (ويندوز فون)، كالسواحيلية والأفريقانية، وغيرهما. ومنذ أن اعتمدت شركة موزيلا بعض اللغات الإفريقية في متصفحها المشهور فيرفوكس، اتّبعت الخطّة نفسها في هواتفها الذكية، فأدرجت اللغات الإفريقية نفسها في هواتفها الذكية.

وفي غينيا؛ حاولت أكاديمية انكو إدراج أبجديتها ضمن هواتف تيكنو TECNO، كما نسّقت الأكاديمية نفسها مع كلٍّ من شركة مايكروسوفت وآبل، وغيرهما من الشركات العالمية المشهورة، لإدراج لغة انكو في هواتفها الذكية، الأمر الذي أدى إلى ظهور ويندوز فون بلغة انكو.

٧ - التطبيقات:

تفطّن بعض أبناء القارة السمراء لما تعانيه اللغات الإفريقية من تأخّرٍ في العلوم التكنولوجية، فسعوا إلى تأسيس مراكز علمية لتشجيع الشبيبة الإفريقية للنهوض بعالم التكنولوجيا، ومن أبرز المشاريع التي ظهرت بهذا الخصوص مشروع بونغو هايف BongoHive المتخذ من المقر بزامبيا، والهادف إلى الابتكار والإبداع في مجال التكنولوجيا بلغات زامبيا، ويستضيف تطبيق بانتو بابل Bantu Babel الهادف إلى ترجمة الكلمات والعبارات الشعبية باللغات الزامبية الآتية:

بيمبا (Bemba)، والكي كاوندي (Kikaonde)، واللوزي (Lozi)، واللوندا (Lunda)، والماومبيوي (Mambwe)، والجانجي (Nyanja)، والتونغا (Tonga)، والتومبوكا (Tumbuka).

ولا يتطلب البرنامج الاتصال بالإنترنت، وهو خاص بالهواتف الذكية، ومتوفّر للتحميل على غوغل ستور بهذا الاسم: Bantu Babel.

٨ - في الألعاب التعليمية الإلكترونية:

من المعلوم بالضرورة أنّ الألعاب التعليمية تساعد الأطفال على الفهم، والقدرة على التحليل، وخصوصاً إذا كان ذلك بلغتهم التي يفهمونها.

وبعد اطلاعنا المتواضع لم نقف على ألعاب إلكترونية أدرجت اللغات الإفريقية ضمن برامجها، إلا لعبة[٣] Open Spell، ومعناها: (الإملاء المفتوح)، هذا البرنامج من صنع جنوب إفريقيا، وهو عبارة عن لعبة قصدها التعليم عن طرق الإملاء، صمّم للأطفال الصغار، ويضم الإحدى عشرة لغة المعترف بها رسمياً في جنوب إفريقيا.

المبحث الثاني: اللغات الإفريقية في خدمات الإنترنت:

١ - البريد الإلكتروني:

بحكم سرّية البريد الإلكتروني يصعب إجراء دراسة دقيقة عن معدّل استخدام لغة ما عن طريق

(١) خدمات المشروع متوفرة على هذا الرابط: https://alphaomedia.org/?page=inscription&step=1

(٢) Don Obsorn/ 136.

(٣) https://sites.google.com/site/openspell/

الرسائل الإلكترونية، ومما لا شك فيه أنّ كتابة الرسائل الإلكترونيـــة باللغات الأجنبية كان - ولا يزال - الغالب في القارة الإفريقية، ومع ذلك كانت هناك جهودٌ معتبرة ســـاهمت في تســـهيل عملية تداول الرســـائل النصية باللغـــات الإفريقيـــة، وفي ذلك ظهر كلٌّ من مشـــروع Africast.com و Mailafrica لتمكيـــن اللغـــات الإفريقية من التـــداول في الرســـائل الإلكترونية عن طريق لوحات افتراضية[١]، ويحتفظ موقع Lexilogos بمعظم اللوحات الافتراضية للغات الإفريقية.

٢ - المواقع الاجتماعية:

مع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي برزت أعدادٌ كثيرةٌ من مجموعات الدردشـــة على الهاي فايف Hi٥، والفيس بوك.. باللغات الإفريقية.

ومنـــذ عـــام ٢٠٠٣م وجـــد الباحثـــان فـــان دير فكيـــن (Van der Veken) ودي شـــري فاير (De Schryver) مجموعات للدردشـــة باللغتين السواحيلية والهوســـا، واعتبـــرا أنّ محتوى اللغـــات الإفريقية في الإنترنت يفوق الوصف[٢].

إلا أنـــه حتـــى الوقت الحالـــي لم تُـــدرج اللغات الإفريقية في المواقع الاجتماعية المشـــهورة بشـــكل نهائيٍّ باستثناء النسخة الأمازيغية للفيس بوك[٣]، وبعد حملات فيسبوكية طالبت بإدراج بعض اللغات الإفريقية ضمن اللغات المستعملة على صفحات الموقع؛ نسّقت إدارة الفيس بوك للقيام بالمهمة المطلوبة.

وثمّـــة مبـــادرات إقليمية تحاول «أفرقـــة» مواقع التواصل الاجتماعي؛ من أهمّها: موقع تبكيTABAKI[٤] للتواصـــل الاجتماعـــي، وهو متوفّـــر بثماني لغاتٍ إفريقية، إلا أنه تعرّض لتحدي التمويل فتمّ بيعه، وأدرج الموقع الاجتماعي فولاني فايس[٥] fulani face اللغة الفولانية ضمن لغات الموقع.

وفـــي جنـــوب إفريقيـــا أصبحت شـــركة MXit المتخصصة في الرســـائل النصية من أبرز الخدمات التي تجمع مســـتخدمي الإنترنت فـــي إفريقيا، وفيها أكثر من سبعة ملايين مستخدم، تغطي معظم العواصم الإفريقيـــة، وتقدّم برامج تهـــم الأفارقة، وهي من أكبر المواقع الاجتماعية بإفريقيا[٦].

٣ - خدمات غوغل:

يُعدّ (مشـــروع غوغـــل للغات المهـــددة بالاندثار) من أهـــمّ خدمات الإنترنت التي تعمـــل لصالح اللغات الإفريقية المهددة بالانقـــراض، كما أنّ (غوغل مابس Google maps) للخرائـــط الإلكترونيـــة، وموقـــع اليوتيوب لعرض لقطات الفيديو، وشـــبكة غوغل بلس، تمكّن الناشطين اللغويين من التعاون لتسجيل المعلومات بشـــأن اللغات المهددة وتوثيق تلك المعلومات وتبادلها، وذلك للحفاظ على التراث اللغوي عبر خدمات غوغل، وتستفيد اللغات الإفريقية من هذه الخدمات مع اللغات الآسيوية على حدٍّ سواء.

ويذكـــر أنّ تطبيـــق غوغل للترجمـــة (Google Translate) قد أضـــاف في خطوة أولى خمس لغات إفريقية، وهي: الصومالية، والزولو، والهوسا، واليوروبا، والإيبو، وتفادياً للترجمات الرديئة حاولت شركة غوغل مراجعـــة المقترحـــات المتعلقة بخدماتهـــا بالتعاون مـــع بعض موظفيها المتقنين للغـــات الإفريقية وكذلك المتطوّعين[٧].

ومن مظاهر اهتمام الشـــركة باللغـــات الإفريقية

---

(١) ولقد توقف المشروعان عن العمل منذ مدة طويلة، ربما لضعف في التمويل.

(٢) Don obsorn / 120.

(٣) الخبر هنا: http://bit.ly/1B9wsPk (زرناه في ٢٠١٥).

(٤) www.bataki.com

(٥) www.fulaniface.com

(٦) http://www.un.org/africarenewal/fr/magazine/december2010/lafi%C3%A8vredes99af%80%m%C3%A9diassociauxgagnel%E2rique

(٧) Denis Gikunda (communication personnelle, 2009).

البارزة: خدمة غوغل إفريقيا Google Africa[١]، وهي عبارة عن مدونة تقدّم توجيهات ونصائح إلى مستخدمي غوغل بإفريقيا.

(٣-١) محركات بحث غوغل الإفريقية:

من الخدمات التي قدمتها شركة غوغل للغات الإفريقية: محركات البحث باللغات الوطنية، ومنها: محرك البحث غوغل (بالسواحيلية)[٢]، وغوغل سنغال (بالولوفية)[٣]، وغوغل هوسا[٤]، وغوغل يوروبا[٥]، وغيرها من اللغات الإفريقية المشهورة.

(٣-٢) بريد جي ميل Gmail باللغات الإفريقية:

بالإضافة إلى محرك بحث غوغل بالسواحيلية نجد كذلك بريد جي ميل Gmail متوفراً بكلٍّ من: الأفريقانية، والسواحيلية، والزولو.

٤ - المتصفحات:

(٤-١) موزيلا فَيَرفُوكس Mozilla Firefox:

شركة موزيلا من أولى الشركات العملاقة التي انفتحت على لغات العالم، وذلك عبر متصفّحها المشهور فَيَرفُوكس، ففيه العديد من اللغات الإفريقية التي ستدرج لاحقاً ضمن أنظمتها الحرّة للهواتف الذكية، ومن اللغات الإفريقية المترجمة إلى الـ فَيَرفُوكس نذكر: الفولانية، والأفريقانية، ولغة غندا genda، ولغة أشولي Acholi، والخوسية.

(٤-٢) مشروع غوغل كروم باللغات الإفريقية:

في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠١٠م أفادت مجلة راتي Ratio Magazine الكينية، بلسان جو موجيرو Joe Mucheru رائد غوغل لإفريقيا جنوب الصحراء، أنّ «الشركة قد مكّنت إفريقيا ببعض منتجاتها، مثل غوغل كروم، وخدمة غوغل مابس للخرائط بالسواحيلية»[٦].

٥ - خدمة text to speech:

بالرغم من ظهور التكنولوجيا الحديثة، وتيسير سبل التعلّم في بعض المناطق من العالم، لا تزال نسبة الأمية تتزايد في القارة الإفريقية، ففي إفريقيا نسبة كبيرة من الذين لا يجيدون القراءة فضلاً عن الكتابة، ولمساعدة الأميين في القارة السمراء للاندماج السريع في العلوم الحديثة؛ برزت مشاريع إلكترونية حاولت إعداد برامج صوتية تمكّن المستخدمين من إيصال أصواتهم عبر التسجيل والإرسال، فكان من أبرز القائمين بذلك: (مبادرة تكنولوجيا الخطاب باللغات المحلية Local Language Speech Technology Initiative)، والتي عملت على إدماج كلٍّ من السواحيلية والزولو ولغة إيبي بو Ibibio[٧].

وهناك مشاريع راهنة تقوم بإعداد برامج للتعرّف على لغتي اليوروبا والصومالية عن طريق الصوت (speech-to-text)[٨]. ويوفّر موقع Oddcast Text To Speech المتخصص في تحويل النص المكتوب إلى كلام منطوقٍ لمجموعة من اللغات الإفريقية بتلك الخدمة؛ كما أفاد بذلك الموقع الرسمي للخدمة[٩].

وخلال مؤتمر زيمبابوي حول تعليم الإنترنت بإفريقيا ٢٠١٣م؛ أفاد الباحث إيان ماتاميري Ian Matamiri من جامعة زيمبابوي أنه يسهر على إعداد تطبيق من نوع TTS للغة الشونا Shona، تمكّن من قراءة نصوص الـ Shona عبر لوحات Tablettes المثبّتة على نظام أندرويد[١٠].

---

(١) http://googleafrica.blogspot.com

(٢) https://www.google.co.ke

(٣) https://www.google.sn/

(٤) https://www.google.com/?hl=ha

(٥) https://www.google.com/?hl=yo&gws_rd=ssl

(٦) Ratio Magazine/ Nairobi, 30 June 2010 In recognition of the ongoing regional integration and growing prominence of local languages on the internet.

(٧) Don Obsorn/ 137.

(٨) Don Osborn/ 110.

(٩) http://www.oddcast.com/home/demos/tts/tts_example.php

(١٠) http://www.elearningafrica.com/fra/

٦ - الترجمة الآلية:

باستثناء خدمات غوغل للترجمة؛ ليست هناك خدمات أخرى تمكّن الترجمة من لغة إفريقية إلى لغة أخرى، عدا خدمة موقع Mokenon الذي يوفّر الترجمة من الإنجليزية إلى كلٍّ من الفلفلدي (الفولانية)، والخوسية Xhosa[١]، وهناك مشاريع أخرى تحاول إعداد خدمات للترجمة لكلٍّ من اللغتين الأكانيّة واليوروبوية تحت إشراف السيدة/ أو كي مون O'Kennon[٢].

ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي أطلق الأستاذ الجامعي آفري هورس كينين Arvi Hurskainen مشروع (خدمة سلما-SALAMA) للترجمة إلى السواحيلية، وهو نظامٌ حاسوبيٌّ قائمٌ على تسهيل أنواع كثيرةٍ من التطبيقات القائمة على الكتابة بالسواحيلية، وتجدر الإشارة إلى أنّ كلمة (سلما) بالسواحيلية تعني: (السلام)[٣]. وهناك مشاريع راهنة تهدف إلى تسهيل الرسائل النصية SMS متعددة اللغات[٤]، وللغات الإفريقية نصيبٌ منها.

٧ - المدونات العالمية:

من المعلوم أنّ المدونات تؤدي دوراً مهمّاً في إغناء محتوى اللغات عبر الإنترنت، ومن أشهر المدونات تأثيراً في عالم التدوين: مدونة (الأصوات العالمية Global Voices)، وهي تضم أكثر من ٨٠٠ كاتب ومحلل ومترجم وخبير في مجال الإعلام الإلكتروني، وتغطّي ١٦٧ دولة، وتترجم إلى ٣٠ لغة عالمية، من بينها لغتان إفريقيتان، هما: السواحيلية[٥]، والملغاشية[٦].

(١) موقع الخدمة http://mokennon2.albion.edu/language.htm (زرناه في ٢٠١٥)

(٢) Don Obsorn/ 141.

(٣) موقع المشروع: http://www.njas.helsinki.fi/salama/

(٤) Don Obsorn/ 78.

(٥) http://sw.globalvoicesonline.org/

(٦) http://mg.globalvoicesonline.org/

تبيّن لنا من خلال هذا الرصد أنّ اللغات الإفريقية الحاضرة في التكنولوجيا المعلوماتية لا تعدو خمس عشرة لغة

ومشروع مدونة (الأصوات الصاعدة Rising Voices[٧]) بالشراكة مع معهد الألسنة الحيّة، ومشروع (اللغات المهددة بالاندثار)، وهي الأخرى تولي اهتماماً بالغاً بلغات العالم، إذ أطلقت حملة إلكترونية تحت عنوان: (غرد بلغتك الأمّ)، وذلك في كلّ ٢٤ فبراير بمناسبة اليوم العالمي للغة الأمّ، مما مكّن كثيراً اللغات الإفريقية من الظهور على الشبكة العنكبوتية، ويكفي البحث عن وسومات #MotherLanguage أو #Mld ، بالإضافة إلى وسم اللغة المطلوبة (مثال: #Fulfulde) لتظهر مدى انتشار تغريدات باللغات الإفريقية.

خاتمة:

إلى هنا تنتهي دراستنا المخصّصة لحضور اللغات الإفريقية في التكنولوجيا المعلوماتية، ولقد حاولنا من خلالها رصد البرمجيات المترجمة باللغات الإفريقية.

ولقد اكتشفنا أنّ هذه المحاولة بدأت منذ تسعينيات القرن الماضي؛ حيث حظيت اللغات الإفريقية ببرنامج حاسوبي يمكّن من الكتابة باللغات المحلية، وبما أنّ ترجمة العلوم التقنية تتطلب توفير القواميس والمعاجم اللغوية المخصصة؛ يبقى حضور اللغات الإفريقية في المجتمع المعلوماتي مرتبطاً بالمعاجم اللغوية المتوفّرة فيها.

ويلاحظ على البحث عدم تعرضه للغة العربية

(٧) http://rising.globalvoicesonline.org/about/

ضمن البرامج المدروسة، وينبغي ألا يُفهم من عدم ذكرها نفي إفريقيتها، فهي لغة إفريقية أصيلة، لكن لم نذكرها في بحثنا نظراً لتقدّمها على باقي اللغات الإفريقية، وإن كان حجم المحتوى العربي على الإنترنت لا يفوق ١٧٪ مما تم تسجيله إلكترونياً[١]، إلا أنّ مشروع (ذاكرة العالم العربي على الإنترنت)، وغيره من المشاريع العربية «الرقمية»، كفيلٌ بتحقيق محتوى معتبر على الشبكة العنكبوتية.

ثم إنّ العربية لم تعد لغة تحتاج إلى مبادرات لإدماجها ضمن التكنولوجيا المعلوماتية، فلقد سجّلت اللغة العربية، بين عام ٢٠٠٠م و ٢٠١١م، أعلى نسبة نموٍّ على شبكة الإنترنت مقارنة باللغات الأخرى؛ حيث ساهمت زيادة استخدام تطبيقات الهواتف النقالة، ووسائل التواصل الاجتماعي، واعتماد بعض البلدان أسماء للنطاقات العلوية باللغة العربية، في زيادة المحتوى العربي[٢].

ومما نسجله في هذه الورقة: أنّ ترجمة العلوم التكنولوجية باللغات الإفريقية تعتمد – غالباً – على العمل التطوعي، وهذا مما لا شكّ فيه يجعل حضور اللغات في عالم التكنولوجيا مبنياً على الجهود الفردية أكثر من العمل المؤسسي.

ولقد خلصت خاتمة بحثنا إلى عدة نتائج، نجملها فيما يأتي:

- من خلال تتبعنا لاستخدام اللغات الإفريقية في العلوم التكنولوجيا اكتشفنا أنّ أكبر دولة إفريقية تُعنى بإنتاج برامج تكنولوجية باللغات الإفريقية هي جنوب إفريقيا، ونظامها التشغيلي أوبنتو يعطي مثالاً واضحاً على ذلك.
- أبانت مراحل هذا البحث عن كمٍّ عظيم من برمجيات مترجمة باللغات الإفريقية، أبرزها: الأفريقانية، والسواحيلية، واليوروبا، والهوسا، والفلفلدي.
- تبيّن لنا من خلال هذا الرصد أنّ اللغات الإفريقية الحاضرة في التكنولوجيا المعلوماتية لا تعدو خمس عشرة لغة، وهي التي أشار إليها تقرير التنمية البشرية الصادر ٢٠٠٤م بوصفها الأكثر تداولاً بين باقي اللغات الإفريقية.
- ولقد تبيّن لنا من خلال البحث أنّ لغات جنوب إفريقيا من أولى اللغات الإفريقية دخولاً في الهواتف المحمولة، وذلك من مبادرةٍ خلال شركة نوكيا.
- كما أبانت الدراسة أنّ معظم اللغات الحاضرة في التكنولوجيا المعلوماتية كُتبت بالأبجدية اللاتينية المدعومة من طرف اليونسكو، وبعضها حاضرة بأبجديتها الأصيلة، ولم نقف على أي لغة إفريقية حاضرة في المجتمع المعلوماتي بالحرف العربي.

وفيما يلي أهم التوصيات:

- إنّ مما ينبغي أخذه بعين الاعتبار في زمن العولمة «الرقمية»: تطوير اللغات الإفريقية وصولاً بها إلى ساحات المعرفة التكنولوجية، مما قد يساهم بشكلٍ كبيرٍ في تحقيق التنمية المستدامة؛ كمشروع غوغل للغات المهددة بالانقراض، ومشروع اليونسكو.. وغيرهما؛ مما يدفع صانع القرار إلى ضرورة التفكير لتوحيد الجهود الوطنية والإقليمية لضمان الحدّ الأدنى من الاحتياجات الرقمية لشعوبها.
- على الاتحاد الإفريقي، من خلاله مؤسساته التعليمية كالأكاديمية الإفريقية للغات، الاعتناء باللغات الإفريقية وإعادة الاعتبار لها ضماناً لمكانتها في عالم التكنولوجيا، ولن يتأتّى ذلك إلا بالجهود المتواصلة والحثيثة على مستوى الجامعات والمراكز العلمية بالقارة أداءً لرسالتها العلمية وواجبها الحضاري.
- الاهتمام بالبرامج التجارية بالتعاون مع الشركات الرقمية العالمية الكبرى؛ لكونها ذات مردود

(١) قاله الدكتور صالح: مدير مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي في مصر. ينظر: دليل الإنترنت/ العدد: ٢٠١، ١٥ يوليوز ١٥ شتنبر ٢٠١٠، ص ٣.

(٢) جاء ذلك في تقرير الملامح الإقليمية لمجتمع المعلومات الذي أطلقته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الاسكو ٢٠١١م. http://www.escwa.un.org/information/publications/edit/upload/E_ESCWA_ICTD_11_4_e.pdf

تكنولوجي أكثـر فعالية؛ بدل الاعتمـاد على البرامج الحرة في سبيل دعم التطور الرقمي الإفريقي.

- مما يؤسف له أنّ اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي لا ترقى إلى المسـتوى نفسـه الذي تحظى به اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف اللاتيني؛ من حيث عدد المواقع وجودة المحتوى وسهولة الوصول إلـى المعلومة، وهو ما يدعو إلـى تكاتف الجهود بين المعنيين بالأمر لتعزيز موقع اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي.

- من الملاحـظ الاهتمام الغربـي المتزايد باللغات الإفريقية في ارتباطها بمجال الحياة العمومية؛ فـي الوقت الذي تقتصر فيه الدراسـات العربية على البعد الديني والثقافي بالأساس، وهو ما يجعل من تقدّم اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي أمام الحرف اللاتيني تحدياً صعباً.

- ولحجـم التحـدي، الذي نلاحظـه على مستوى القارة من غياب لغاتها المقررة لمصيرها عقب الاسـتقلال، كان ذلك السبب وراء إعطاء بعض اللغات القومية أولوية على غيرهـا؛ لكن ذلك ينبغي أن يكون مرحلياً فحسب؛ أي اسـتثناءً بحكم الضرورة الموروثة عن الاسـتعمار. وتأسيسـاً عليه؛ فإنّ الوضع السويّ والقاعـدة العامة هـي أن تجد كلّ اللغـات الإفريقية مكانتها داخل القارة؛ بغضّ النظر عن عدد المتحدثين بها قلّة كانوا أو كثرة.

- على الرغـم من أهمية برنامج اليونكود في تمكين اللغات من ولـوج التكنولوجيا المعلوماتية؛ فإنه يظل قاصراً عن بلوغ الهدف المنشود؛ إذ أنه في بعض البرامج المتداولة لا تظهر الأبجديات الخاصة باللغات الإفريقية لاعتمادهـا معيار اليونكود، ومن هنا ضرورة البحث عن برامج تتجاوز نواقص اليونكود.

- ومع اكتسـاح اللغات الأجنبية التكنولوجيا المعلوماتيـة؛ فـإنّ تجربـة جنوب إفريقيـا بنظامها التشـغيلي المتداول والمعروف باسـم «أوبنتو» يثبت إمكانيـة إنتاج برامـج تكنولوجية معبّرة عـن الهوية الإفريقية.

- ترجمة أعمال الباحثيـن المختصين في هذا الميدان ممن قاموا بدراسـات مسـتفيضة في مجال اللسـانيات الإفريقية والتكنولوجيا، من أمثال: دون أوسـبرن Don Osborn فـي عملـه الرائد (اللغات الإفريقية في العصر الرقمي)، سعياً لتدارك النقص ومواكبة المستجدات ■

أهم الأحداث

■ اتهامات جديدة بالاغتصاب للقوات الأممية بإفريقيا الوسطى:

قالت فانينا ماستراسي، نائبة المتحدث الرسمي باسم الأمين العام للأمم المتحدة، إنّ البعثة الأممية في جمهورية إفريقيا الوسطى (مينوسكا) أبلغتهم بتقارير جديدة حول تعرّض ثلاث فتيات لعمليات اغتصاب على أيدي جنود البعثة في العاصمة بانغي، وكشفت ماستراسي أنّ عدد الجنود المتورطين في عملية الاغتصاب نحو عشرين جندياً.

وتتزامن هذه الاتهامات مع تحقيقات لا تزال تجريها باريس مع ١٤ جندياً فرنسياً بشأن ما يرجّح أنه «عمليات اغتصاب قاصرين»، ارتكبوها في إفريقيا الوسطى بين عامَي ٢٠١٣م و ٢٠١٤م، كما أنّ هناك ١١ تحقيقاً حالياً في اعتداءاتٍ جنسيةٍ محتملة بجمهورية إفريقيا الوسطى منذ أن بدأت البعثة الأممية مهمتها.

الجزيرة نت - ٢٠١٥/٨/٢٠م

■ ما يقارب من ٧ آلاف مرشّح يخوضون الانتخابات البرلمانية في بوركينافاسو:

يخوض ما يقارب من ٦٩٤٤ مرشحاً، بينهم ٢٠٧٤ امرأة، غمار الانتخابات البرلمانية التي ستجري في الـ ١١ من أكتوبر المقبل، وذلك بحسب ما أعلنته اللجنة الانتخابية الوطنية المستقلة (CENI)، المؤسسة المسؤولة عن تنظيم الانتخابات في بوركينافاسو.

يُذكر أنّ المرشحين قد توزّعوا على ٧٨ من القوائم الحزبية و ١٨ من قوائم الجماعات المستقلة، وتوجد ثلاث قوائم للمرشحين المستقلين فقط.

وكالة أنباء عموم إفريقيا (آبا) - ٢٠١٥/٨/١٢م

■ غينيا تحدّد الدورة الأولى من الانتخابات الرئاسية في ١١ أكتوبر:

وقّع رئيس غينيا ألفا كوندي مرسوماً أكّد فيه إجراء الانتخابات الرئاسية في البلاد في ١١ أكتوبر القادم، وهو موعد كانت اللجنة الانتخابية الوطنية المستقلة قد حدّدته في مارس الماضي.

ولم يذكر المرسوم أي موعدٍ للدورة الثانية، ولا أيّ تفصيلٍ حول الحملة الانتخابية، ولكن حسب القوانين في غينيا فإنه: «في حال كان المطلوب دورة ثانية في الانتخابات الرئاسية، فتجرى في اليوم الرابع عشر بعد إعلان النتائج النهائية للدورة الأولى»، ويجب أن تبدأ الحملة الانتخابية «قبل ٣٠ يوماً من تاريخ إجراء الانتخابات»، وتنتهي «منتصف ليل يوم التصويت».

يُذكر أنّ المعارضة الغينية كانت قد أكّدت معارضة جدول اللجنة العليا بخصوص الانتخابات الرئاسية، ملوّحة بانسحابها من الجمعية الوطنية واللجنة الانتخابية لتنضمّ - حسب قولها - إلى صفوف الجماهير.

فرنس برس - ٢٠١٥/٨/١٠م

■ واتارا يقدّم أوراق ترشّحه في الانتخابات الرئاسية في ساحل العاج:

قدّم الحسن واتارا (٧٣ عاماً) رئيس ساحل العاج أوراق ترشّحه في الانتخابات الرئاسية المقبلة، التي من المقرر أن تُجرى في البلاد في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر القادم.

تجدر الإشارة إلى أنّ لوران جباجبو رئيس ساحل العاج السابق رفض الاعتراف بالهزيمة أمام واتارا في الانتخابات الرئاسية التي جرت عام ٢٠١٠م، الأمر الذي أدى إلى اندلاع أعمال عنفٍ أسفرت – آنذاك – عن مصرع أكثر من ٣٠٠٠ شخص.

وكالة أنباء الشرق الأوسط (أ ش أ) – ٢٠١٥/٨/٦م

■ الجيش النيجيري يحرّر ١٧٨ شخصاً كانوا محتجزين لدى جماعة بوكو حرام:

قال المتحدث باسم الجيش النيجيري: إنه تمّ إنقاذ ١٧٨ شخصاً، كانت جماعة بوكو حرام المسلحة تحتجزهم في ولاية بورنو النيجيرية.

وقال الكولونيل توكور جوسو المتحدث باسم الجيش، في بيانٍ عبر البريد الإلكتروني: إنّ ١٠١ ممن تمّ تحريرهم أطفال، بالإضافة إلى ٦٧ امرأة، أما الباقون فمن الرجال.

وأضاف: إنه تمّ أيضاً اعتقال أحد قيادي بوكو حرام، وتطهير عدة معسكرات للمسلحين حول بلدة (باما) الواقعة على بعد نحو ٧٠ كيلومتراً جنوب شرقي مدينة مايدوجوري عاصمة الولاية.

وكالة رويترز – ٢٠١٥/٨/٣م

■ رئيس بوروندي يفوز بفترة رئاسية ثالثة في انتخابات قاطعتها المعارضة:

فاز رئيس بوروندي (بيير نكورونزيزا) بفترةٍ رئاسيةٍ ثالثةٍ مدتها خمس سنوات، بعد أن قاطعت المعارضة الانتخابات، في انتصارٍ قد يزيد من حالة الانقسام في هذا البلد الصغير الواقع في شرق إفريقيا، ويجعله عرضةً لعزلةٍ دوليةٍ بعد شهور من الاضطراب.

ودفع قرار نكورونزيزا الترشّح لفترةٍ رئاسيةٍ ثالثةٍ البلاد إلى أتون أكبر أزمة سياسية؛ منذ انتهاء الحرب الأهلية العِرْقية عام ٢٠٠٥م، وتقول المعارضة: إنّ مسعى نكورونزيزا للحصول على ولايةٍ ثالثةٍ يمثّل انتهاكاً للدستور.

وحصل (نكورونزيزا) على ٦٩,٤١٪ من الأصوات، من بين ٢,٨ مليون ناخبٍ أدلوا بأصواتهم، وحقّق أغلبية مريحة في المناطق الريفية، حيث يعيش معظم سكان بوروندي (عددهم عشرة ملايين نسمة)، وحصل منافسه الأقرب (أجاثون رواسا) على ١٨,٩٩٪.

وأُجريت الانتخابات على الرغم من دعوات زعماء أفارقة وقوى غربية لتأجيلها؛ بسبب تصاعد حدة الاضطراب ومقاطعة مرشحي المعارضة، وبلغت نسبة الإقبال على التصويت بالعاصمة ٢٩,٧٥٪، في حين بلغت النسبة على مستوى البلاد ٧٣,٤٤٪.

وكالة رويترز – ٢٠١٥/٧/٢٦م

إفريقيا بالأرقام

■ الاقتصاد الكاميروني ينمو بـ ٠,٣ نقطة في عام ٢٠١٤م:

زاد نموّ الاقتصاد الكاميروني خلال العام الماضي بـ ٠,٣ نقطة مقارنة بعام ٢٠١٣م، حيث بلغ معدل النمو عند ٥,٩٪، بعد أن كان قد وصل إلى ٥,٦٪ في العام ٢٠١٣م، وفقاً لتقريرٍ صدر من المعهد الوطني للإحصاء.

ويُعزى هذا الأداء بشكلٍ رئيسٍ للطلب المحلّي في حدّ ذاته، والناتج عن توحيد نفقات الاستهلاك النهائي بنسبة ٥,٧٪ والمسرع للاستثمار.

وفيما يتعلق بالعرض؛ يبيّن التقرير أنّ قطاع الخدمات نما بنسبة ٥,٣٪ خلال فترة الدراسة؛ مقابل ٦,٣٪ في العام السابق.

وفي الوقت نفسه؛ تسارع نموّ القطاع الثانوي أيضاً لما يصل إلى ٦,٨٪؛ مقابل ٥,٧٪ في عام ٢٠١٣م، كما واصل القطاع الأولي الارتفاع بنسبة ٤,٧٪؛ مقارنة بعام ٢٠١٣م.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٨/١٨م

■ الاتحاد الاقتصادي لغرب إفريقيا: معدلات التضخم ارتفعت إلى ١,٥٪ في نهاية يونيو ٢٠١٥م:

ارتفعت معدلات التضخم في الاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا (UEMOA)؛ على أساسٍ سنويٍّ إلى حدود الـ ١,٥٪ في نهاية يونيو ٢٠١٥م؛ مقابل ٠,٨٪ مسجلة في نهاية مايو ٢٠١٥م، وذلك بحسب ما أعلنه البنك المركزي لدول غرب إفريقيا (BCEAO) في العاصمة داكار.

زيادة الأسعار لا تزال هي المكون الرئيس لهذا التضخم مع ١,٢ نقطة مئوية، وذلك بحسب ما أورده البنك المركزي.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٨/١٦م

■ موريشيوس تدعم مشروعاً لتكنولوجيا المعلومات في غانا بمبلغ ٢٦٠ مليون دولار:

تدعم حكومة موريشيوس حكومة غانا في إنشاء مرفقٍ بقيمة ٢٦٠ مليون دولار في «تيما»، وهي مدينة صناعية قرب ميناء غانا، لتطوير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في البلاد، ودول أخرى في المنطقة.

وقد وفرت حكومة غانا الأرضية والمرافق والبنية التحتية التقنية لتنفيذ المشروع، وتمّ الترحيب بالتوقيع على الاتفاق كخطوةٍ نحو الاتجاه الصحيح للمساعدة في معرض التكنولوجيا بغانا في غرب إفريقيا.

وتجدر الإشارة إلى أنّ غانا متكاملة بشكلٍ قويٍّ في مجال تعليم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المناهج الدراسية على أعلى المستويات.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٨/١٤م

■ البنك الإفريقي للتنمية يضخّ ٦٤ مليار فرنك إفريقي في ثلاث مناطق بساحل العاج:

سيقوم البنك الإفريقي للتنمية (ADB) بضخّ ما يقرب من ٦٤ مليار فرنكٍ إفريقيٍّ في مشاريع المحاصيل الغذائية، بثلاث مناطق في ساحل العاج عام ٢٠١٧م، وذلك بهدف المساهمة في تحقيق الأمن الغذائي للبلاد؛ بحسب ما أعلنه «نجيب قاسم» كبير اقتصادييه الزراعيين.

ووفقاً لـ «قاسم»، الذي تحدّث خلال مؤتمر برلماني حول: «استراتيجيات تمويل الأنشطة الزراعية في ساحل العاج»، فإنّ أول مشروع بدأ بالفعل منذ عام ٢٠١٢م بمناطق: غندينيه – دجابلينا – بنغورو (شرقي البلاد)، بتمويلٍ فاق الـ ١٦ مليار فرنكٍ إفريقي.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٨/١٤م

قالو عن إفريقيا

▪ «إنّ شـــعوبنا لا تعترف بالحدود التي صنعها الاســـتعمار، الذي نجح من خلال سياسة: (فرق تسد) في حكم إفريقيا فترة طويلة من الزمن، فعلى مدى فترةٍ طويلةٍ من الزمن عانينا – نحن الأفارقة – من مرضٍ تســبّب فيه الأوروبيون، ألا وهو إشـــاعة الخلافات فيما بيننا على أُسس قبلية، إنّ الشـــراكة والاندماج هما الطريق الوحيد الذي يتيـــح للأفارقة القدرة على تحقيق الرفاهية التي يطمح إليها مواطنو القـــارة، لذا يجب علينا أن ندرك أنّ قوتنا تكمن في وحدتنا، وقدرتنا تعني العمل معاً كشعبٍ واحد».

الرئيس الكيني أوهورو كينياتا، في كلمةٍ ألقاها خلال زيارته إلى أوغندا، ٢٠١٥/٨/١٠م

▪ «إنّ إفريقيا تتغير بعد نصف قرنٍ من الاستقلال، يجب أن يعترف العالم بالتقدّم الاستثنائي لإفريقيا التي يُسجّل فيها أسرع نموٍّ، بدليل بلوغ حجم الطبقة الوســـطى أكثر من بليون مســـتهلك، والانتقال إلى رخاءٍ جديدٍ من خلال امتـــلاك الأفارقة مئات الملايين من الهواتف النقالة، وتزايد وصولهم إلى الإنترنت».

الرئيس الأمريكي باراك أوباما، في خطابه أمام الاتحاد الإفريقي، في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا، ٢٠١٥/٧/٢٨م

▪ «نســـجّل بارتياح انخفاض عدد النزاعات في إفريقيا، مؤكّدين على ضـــرورة مواصلة فضّ النزاعات واحتوائها فـــي إطارٍ إفريقيٍّ؛ يعتمد التوافـــق نهجاً لحلّ الخلافات الداخلية. كما أنّ دعم أُســـس العمل المشترك، وتكثيف التشاور: أمران ضروريان للخروج من دائرة العنف التي تعيشها بعض بلدان القارة».

الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي، في كلمةٍ ألقاها بمناسبة أعمال القمّة الإفريقية الـ ٢٤ لرؤساء الدول والحكومات الإفريقية، ٢٠١٥/١/٣٠م

فرق وأديان

■ اتحاد علماء إفريقيا يندّد بالتفجيرات وأعمال العنف التي شهدتها عدد من دول القارة مؤخراً:

نـــدّد اتحاد علمـــاء إفريقيا في بيانٍ له، حصلت قراءات إفريقية على نســـخةٍ منه، بأعمال العنف والتفجير التي تشـــهدها عددٌ من الـــدول الإفريقية في الأيام الأخيرة، مثل (نيجيريا وتشـــاد والكاميرون والنيجر)، والتي أدت لسقوط عددٍ كبيرٍ من الضحايا؛ أغلبهم من النســـاء والأطفال، وكـــذا الممتلكات المدمرة، وحالـــة الخوف والفزع بين السكان؛ حتى لم تسلم من هذه التفجيرات أماكن العبادة والأسواق، وتتهم حكومات هذه الدول حركة بوكو حرام بالوقوف وراء هذه الهجمات.

وجرّم البيانُ هذه الأعمال الإجرامية؛ مؤكداً أنّ الإسلام لا يقرّها، ولا يصحّ نسبتها للإســـلام، ومما يزيد في بشاعتها استخداما الصغار من الأولاد والفتيات لتنفيذها بعد خداعهم والتغرير بهم.

ووجّـــه الاتحادُ نداءً إلى مرتكبي هذه الأعمال بالتوبة، كما حثّ العلماءَ والدعاةَ إلى مضاعفة الجهد، لبيان الإسلام الصحيح البعيد عن أفكار الغلو.

ودعا إلى وجوب إزالة مظاهر الظلم والفساد والقمع الموجودة في مجتمعاتنا، والتي تُعدّ من أخطر أسباب هذه الظاهرة.

وختم البيانُ بالدعاء بأن يمنّ الله على المجتمعات الإفريقية بالأمن والسلام.

وقد ذُيلّ البيان بتوقيع الأمين العام للاتحاد الدكتور سعيد محمد بابا سيلا، ورئيس اتحاد علماء إفريقيا الدكتور سعيد برهان عبد الله.

خاص (قراءات إفريقية) – ٢٠١٥/٨/٢٤م

■ متمـردون يخطفـون ستـة علمـاء مسلميـن وسائقهـم فـي شـرق الكونغو:

قالت الســـلطات في جمهورية الكونغو الديمقراطية: إنّ متمردين مجهولين خطفوا ستة أئمة مسلمين تنزانيين وسائقهم في شرق البلاد.

وأوضح الإمام موســـى الحاجي هاشم، الســـكرتير التنفيذي للجالية الإسلامية في المنطقـــة، أنه جرى خطف الأئمة وســـائقهم الكونغولي يوم الأحد الماضي، بين قريتي روتشورو وكيتوجورو، في منطقة نورث كيفو.

وطالـــب المتمردون، الذين يفترض أنهم ينتمون إلـــى جماعة القوات الديمقراطية لتحريـــر رواندا المتمردة، بدفع الجالية الإســـلامية فدية قدرها ٤٠ ألف دولار – وفقاً لهاشم –.

وكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ) – ٢٠١٥/٨/٦م

■ الإعلان عن تأسيس مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة:

ترأس العاهل المغربي محمد السادس مراسم إعلان تأسيس مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، وهي مبادرة تهدف إلى توحيد جهود علماء المغرب والدول الإفريقية؛ بهدف التعرف على قيم الإسلام، ونشرها وتفعيلها.

وتتمثل أهداف المؤسسة في: اتخاذ كلّ مبادرةٍ من شأنها تفعيل قيم الدين السمحة في كلّ إصلاحٍ تتوقف عليه عملية التنمية في إفريقيا، سواء على مستوى القارة أو على صعيد كلّ بلدٍ، وتنشيط الحركة الفكرية والعلمية والثقافية المتصلة بالدين الإسلامي الحنيف، وتوطيد العلاقات التاريخية التي تجمع المغرب وباقي دول إفريقيا، والعمل على تطويرها.

وكالة أنباء الشرق الأوسط (أ ش أ) – ٢٠١٥/٨/٦م

■ مقتل أحد رموز الدعوة السلفية في أوغندا برصاص مجهولين:

قُتل في أوغندا الداعية السلفي الشيخ «إبراهيم حسن كيريا» بيد مسلحين مجهولين أثناء عودته إلى منزله في بلدة بوياجريري التابعة لمنطقة اكيسو شرق العاصمة الأوغندية (كمبالا).

وقال شهود عيان: إنّ «كيريا» قُتل عندما توقف في طريق عودته لمنزله لشراء بعض المستلزمات من أحد المحلات التجارية؛ حيث هاجمه بالأسلحة النارية شخصان يركبان دراجة نارية، وقد أُصيب في الهجوم أربعة أشخاص تصادف وجودهم في مكان الحادث.

يُذكر أنّ «كيريا» كان قد تلقّى في الأسبوع الأخير قبل مقتله تهديدات عبر الهاتف بالقتل، وأبلغ بها الشرطة الأوغندية.

والشيخ «كيريا» هو سادس داعية إسلامي يُقتل بالطريقة نفسها خلال الأشهر الماضية، والتاسع خلال عامين، الأمر الذي آثار حالةً من الاستياء في الأوساط الإسلامية.

ويأتي هذا الهجوم بعد شهرٍ من مقتل الداعية الإسلامي الأوغندي البارز الشيخ «راشد عبده أفولا»، إمام مسجد بلال في مدينة مبالي ومدير معهد نكالوكي العلمي، وذلك في أثناء عودته هو أيضاً إلى منزله في بلدة نكالوكي.

خاص (قراءات إفريقية) – ٢٠١٥/٧/١م

ذاكرة التاريخ

■ القائد رابح فضل الله.. ومقاومة الاحتلال الفرنسي:

خـــلال الفترة من عام ١٨٨١م وحتى عام ١٩٠٠م خاض القائد المســـلم رابح فضل الله (أو: رابح الزبير – كما يُطلق عليه –) العديد من المعارك الطويلة مع الاحتلال الفرنســـي، تمكن خلالها من هزيمتهم وكســـر قادتهم العظام في عددٍ من المعارك، ففي عام ١٨٩٠م التقت قواته بقوات «بول كرامبل» الفرنسية، والتي كانت تستكشـــف إفريقيا الوسطى، وتمكنت قواته من هزيمة الفرنسيين وقتل «كرامبل»، واستولى رابح على معداته، مما شجّعه على الاتجاه نحو الغرب الإفريقي لنشر الإسلام في القبائل الوثنية.

وقد قام بتأسيسٍ مملكة كبيرة، واتخذ من مدينة «دكوة» عاصمةً له، واتخذ من الشريعة الإسلامية أساس الحكم والقرآن دستوراً، وأحيا السنّة، وأمات البدعة، فاستتب الأمن، وأحبّه الناس.

حاولت أوروبا اســـتمالته؛ فأصرّ أنه لا علاقة بمن قاتلوهم في الدين إلا الجهاد، فخطّطت فرنســـا لضمّ المنطقة والقضاء على رابح.

وكانت إمبراطورية رابح العقبة الأولى أمام توســـعات إنجلترا (في نيجيريا)، وفرنسا (في النيجر)، فكان القضاء عليه من أُســـس الاســـتراتيجية الأوروبية، لذلك أرسلت له فرنسا جيشاً كبيراً، تقدّم رابح نحو القوات الفرنسية وأبادها في معركة «تجباو»، ومات القائد الفرنسي «بريتونيه»!

كان صـــدى المعركة مدوياً، وانضمّ الكثير ممن كانوا يوالون فرنســـا لجيـــش الزبير، وكانت لطمةً كبرى لفرنســـا، صمم على إثرها «إميل جنتل» رئيس البعثة الفرنســـية لإفريقيا الوسطى، وأحد أبطال فرنسا، على الانتقام لكرامة فرنســـا، وبلغ من نصر المســـلمين أن قال أحدهم: «عمامةٌ بيضاء في القارة السوداء؛ أخطر علينا من ألف قنبلة ثقيلة!».

وعاد «جنتل» من فرنسا للانتقام من رابح، وأصدر أوامره إلى الكابتن «دوبيلو» بالتقدم بثلاث فرق للقضاء على رابح، وفي ٢٨ أكتوبر ١٨٩٩م بدأت المعركة، وســـقط عددٌ كبيرٌ من الفرنســـيين، وحدثت خسائرٌ فادحة في الفرقتين اللتين بدأتا المعركة، والتي استمرت ٨ ساعات، وفقد الفرنسيون عدداً من أكفأ الضباط، وجُرح «دوبيلو» جرحاً خطيراً، وانسحب القائد الفرنسي.

أصدرت فرنسا أوامرها إلى قواتها في إفريقيا (الوسطى، والجزائر) بقيادة الضابط «لامي» بالتقدّم نحو بحيرة تشـــاد والانضمام إلى «جنتل»، وجمعت فرنسا قواتها في ٣ حملات ضدّ رابح في أواخر أبريل ١٩٠٠م، وتحرّكت الحملة الأولى من وســـط إفريقيا، والثانية بقيادة «جنتل» من جنوب تشـــاد، ثمّ الثالثة بقيادة «لامي»، كانت المعركة الأخيرة بقيادة «لامي»، وقد صمدت القوات الإســـلامية ونجحت في تحطيم الموجة الأولى من الهجوم، وأوقعت خسائر فادحة في قوات الأعداء، لكنّ الفرنسيين عاودوا الهجوم، واستولوا على حصن رابح، وكان المصابون من المسلمين يمسكون بأسلحتهم ويطلقون النار على الفرنسيين حتى النطق بالشهادة.

حوّل الفرنســـيون المدن إلى نيران، وقتلوا الأطفال والشيوخ والنساء، واندفع المسلمون بالسلاح الأبيض وبالأيدي العارية في كلّ شـــارع ومنزل ليواجهوا الجموع الفرنسية بشجاعةٍ وإقدام، وبرغم عدم تكافؤ القوتين فإنّ إيمان الرجال جعلهم يفضّلون الشهادة على الاستسلام، فكبّدوا الفرنسيين خسائر فادحة.

أما رابح: فعلى الرغم مما أحاط بقواته فقد رفض الاستســـلام، وأعاد تنظيم ما بقي من جنوده، وعاود الهجوم على الحصن الذي احتله الفرنسيون، وقَتَل رابحٌ القائدَ الفرنسي «لامي» بطلقةٍ في صدره، ثم استُشهد بعـــد ذلـــك، وحين جيء برأس رابح إلى القائد «جنتل» انحنى احتراماً أمامـــه وقال: إنه «كان يودّ لو حماه من الموت؛ لأنه يكنّ له كلّ احترام».

المراجع: موسوعة المعرفة العربية – موقع ويكيبيديا – موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، د. فيصل محمد موسى، منشورات الجامعة المفتوحة.

■ **شركة كهرباء ساحل العاج تعلن عن برنامجها لتحسين الإنارة العامّة في البلاد:**

أعلنت شركة الكهرباء العاجية في أبيدجان عن برنامجها لتحسين الإنارة العامّة في البلاد؛ حيث تستفيد ٤١٤ ألف أسرة من الإضاءة العامّة.

من جهته؛ رحّب «هنري بيبين كرو» المستشار الفني للمدير العامّ للوكالة، في هذه المناسبة، بزيادة الإنارة العامّة، والذي أوضح بأنه منذ عام ٢٠١٤م تعرف الإنارة العامّة تزايداً ملاحظاً في البلاد.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٨/٢٠م

■ **أكثر من مليون سائح في ليسوتو خلال العام:**

زار أكثر من مليون سائح مدينة «ليسوتو» في العام ٢٠١٤م، وذلك بحسب ما أعلنه المكتب الوطني للتنمية السياحية في «ليسوتو» (LDTC)، ووفقاً لرئيس قسم البحث والتطوير في المكتب «سيهلاباكا رامافيكينغ»؛ فإنّ جمع بيانات السياحة من أجل التحليل يعتبر أمراً مهمّاً؛ لتعزيز السياسات المنفذة في قطاع السياحة.

يُذكر أنّ معظم الزوار المسجلين ينتمون لدول المنطقة الفرعية، مثل: جنوب إفريقيا وبوتسوانا، ثم ملاوي وسوازيلاند وزامبيا، ثم زيمبابوي – حسب المعطيات المجمّعة –.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٨/١٥م

■ **الرئيس النيجيري يعيّن لجنة استشارية لمكافحة الفساد:**

قال متحدثٌ باسم الرئيس النيجيري محمد بخاري: إنّ الرئيس عيّن لجنةً لتقديم المشورة له بشأن أفضل السبل لمكافحة الفساد وإصلاح النظام القانوني.

ولم يذكر المتحدث أيّ تفاصيل عن الموعد الذي سترفع فيه اللجنة تقريراً للرئيس متضمناً نتائجها وتوصياتها.

ويقول بخاري – الذي تولّى السلطة في ٢٩ مايو بعد انتخابه على أساس وعود بمكافحة الفساد المستشري –: إنه يعتقد أنّ المسؤولين سرقوا نحو ١٥٠ مليار دولار من الخزانة العامّة على مدى السنوات العشر الأخيرة.

وكالة رويترز – ٢٠١٥/٨/١١م

■ **القواعد الجديدة لتأشيرة دخول جنوب إفريقيا أدت لتراجع السياحة:**

قال وزير السياحة «ديرك هانيكم»: إنّ الإجراءات الجديدة لإصدار تأشيرات السفر إلى جنوب إفريقيا أدت إلى «انخفاض مقلق» في عدد الزائرين الأجانب، وإنه ربما تكون هناك حاجة لاتباع نهج جديد بهذا الشأن.

وفي العام الماضي طبّقت جنوب إفريقيا قواعد جديدة، تفرض على الزائرين تقديم بيانات حيوية عند التقدّم لطلب الحصول على تأشيرة دخول، وهو ما مثّل مشكلة لأشخاصٍ في دولٍ كبيرة، مثل الصين التي لا توجد بها سوى قنصليتين لجنوب إفريقيا في بكين وشنغهاي.

وشهد قطاع السياحة نموّاً مطرداً منذ استضافة جنوب إفريقيا بطولة نهائيات كأس العالم لكرة القدم في ٢٠١٠م، وهو الآن ثالث أكبر قطاع مساهم في الناتج المحليّ الإجمالي.

لكن «ديرك هانيكم» لفت الانتباه إلى أنّ عدد الوافدين من الصين، وهي مصدر رئيس للسائحين إلى جنوب إفريقيا، انخفض بنسبة ٣٨٪. وتأمل الحكومة أن تساهم السياحة في خلق أكثر من ٢٠٠ ألف فرصة عمل، وتحقيق إيرادات تبلغ نحو ٥٠٠ مليار راند بحلول عام ٢٠٢٠م.

وكالة رويترز – ٢٠١٥/٧/٣٠م

■ **صندوق النقد الدولي يتوقع ارتفاعاً في معدل نموّ الاقتصاد الصومالي:**

توقّع صندوق النقد الدولي، في بيانٍ صدر عنه، أن يبلغ معدل نموّ اقتصاد الصومال سنوياً نحو ٥٪ على المدى المتوسط، ومع ذلك «سيبقى النموّ غير كاف لمعالجة الفقر والفوارق بين الجنسين».

وأشار الصندوق، في البيان نفسه، إلى أنه منذ عام ١٩٩١م عانى الصوماليون كثيراً بسبب الحرب الأهلية؛ حيث تدهور الاقتصاد، كما تمّ تدمير البنية التحتية المادية.

شبكة الشاهد الصومالية – ٢٠١٥/٧/٣٠م

آراء وقضايا

■ كيف سيغير التحالف بين داعش وبوكو حرام مستقبل نيجيريا؟

أعلنت جماعة بوكو حرام النيجيرية في ٧ مارس الماضي بيعتها لتنظيم داعش عبر تسجيلٍ صوتيّ، وتزامن الإعلان مع هجوم متجددٍّ على مدينة مايدوجوري، حيث نفذت بوكو حرام أربعة تفجيرات انتحارية.

ويبدو أنّ تنظيم داعش قد قبل بيعة بوكو حرام، لكن لا يزال مدى الشراكة بين بوكو حرام وداعش غير واضح، غير أنّ الإعلان يسجّل لحظة مهمّة في تطور تمرّد بوكو حرام.

بوكو حرام بدأت طائفةً منشقة، محصورةً في منطقةٍ صغيرةٍ بولاية بورنو، وأصبحت الآن قوة قوامها بين ٤٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ مقاتل، تتحكم في مساحة شاسعة من الأراضي النيجيرية، ونفذت هجمات إقليمية، وترعى الآن صلات إرهابية دولية.

أظهرت البيانات ومقاطع الفيديو الأخيرة الصادرة عن بوكو حرام محاكاةً لأسلوب داعش في الدعاية، فمن ناحية الأسلوب: عزز تنظيم بوكو حرام احترافه وتعقيده، بل استخدم المقاطع الصوتية نفسها التي يستخدمها داعش في «افتتاحيات» أفلامه.

تلك الأنواع من المحاكاة قد تكتب أوراق اعتماد بوكو حرام دولياً، لكن مدى الدعم الذي قد يلقاه التنظيم داخل نيجيريا نتيجة نشر تلك المقاطع المصنوعة ببراعة سيأخذ وقتاً أطول لمعرفته.

يستخدم ثلث الشعب النيجيري تقريباً خدمات الإنترنت؛ برغم الزيادة السريعة لمعدل انتشار خدمات الإنترنت في البلاد، ومن شبه المؤكد أنّ معدلات استخدام الإنترنت أقلّ في الشمال الشرقي

للبلاد، حيث معقـــل بوكو حرام، لكن معرفة صلاته بداعش عبر منافذ أخرى سوف يضفي المزيد من الشرعية لبوكو حرام.

اعتمد التنظيمان خلال الأشـــهر الأخيرة على اســـتراتيجيات تسعى إلى السيطرة على المزيد من الأراضـــي؛ بدلاً من القيام بذلك النوع من الهجمات المثيرة التي تســـتهدف أهدافاً غربية، وهو ما ميّز القاعدة وتابعيها.

وبينمـــا اعتمد تنظيـــم القاعدة علـــى تمويل المتبرعيـــن؛ يعتمـــد داعش على بيـــع النفط في الســـوق السوداء والأنشـــطة غير الشرعية الأخرى لتمويل عملياته، وخلال الأشـــهر الأخيرة بدا تمويل بوكـــو حرام متصـــلاً على نحوٍ متزايدٍ بالشـــبكات الإجرامية في منطقة الســـاحل، ويتضمّن - ربما - تجارة الفتيات المختطفات، كما شارك التنظيم في سرقات البنوك منذ إنشائه.

وتكمن قيمة بيعة داعش بالنســـبة لبوكو حرام بشـــكلٍ أقلّ في المســـاعدة العملياتيـــة المحتملة، وبشـــكلٍ أكبـــر في تســـهيل اجتـــذاب المزيد من المتطوعين عبر ذلك الاتفاق.

عبر تقديم البيعة؛ يقبل بوكو حرام سلطة تنظيم داعش، ومن المرجّح أن يعزز ذلك الاتفاق شـــرعية بوكـــو حـــرام وجاذبيته في نيجيريـــا وجميع أنحاء منطقة الساحل.

وبينمـــا ظهرت الكثير من المحاولات لتفســـير جاذبيـــة داعش وقدرتـــه على جـــذب المتطوعين الخارجييـــن؛ أظهـــرت صحيفة «بوســـطن جلوب» الأمريكيـــة توافقاً مبدئياً على أنّ التنظيم تمكّن من خلق «فكرة واضحة - وبالنســـبة للبعض: مقنعة - عن: المواطنة، وبناء الدولـــة، في منطقةٍ محرومةٍ بالكامل تقريباً من كليهما».

تجري العملية نفســـها في نيجيريا، وبرغم عودة نيجيريـــا إلى الحكـــم الديمقراطي عام ١٩٩٩م؛ فـــإنّ ثقـــة المواطنين فـــي الحكومة منخفضـــة، وتُظهر الإحصـــاءات المقارنة بين شمال وجنوب البلاد تبايناً بين مستويات التنمية في كليهما، حيث تبلغ نســـبة الذين يستطيعون القـــراءة والكتابة في مدينة لاجـــوس الجنوبية ٩٢٪، بينما تصل النســـبة إلـــى ٤٩٪ في مدينة كانو العاصمة التجارية الشمالية، وأقل من ١٥٪ في بورنو حيث تتمركز أزمة بوكو حرام.

ومثلما يستخدم داعش الشعارات البلاغية والتاريخية التي تجتذب المجتمعات المســـلمة على نطاقٍ واســـع؛ تمكن بوكو حرام من اجتذاب الدعم ضدّ الدولة النيجيرية على أساس وصف الدولة بعدم الكفاءة.

يناقش مراقبون دوليون حالياً: هل تستدعي بيعة بوكو حـــرام لداعش تدخـــلاً أمريكياً في الصراع؟ إلا أنّ تلك الاســـتجابات تتجاهل في النهاية جـــذور التمرد، مثلما فعـــل المراقبون الخارجيون منذ ظهور بوكو حرام.

يكمـــن الفهـــم الأعمـــق للجاذبيـــة والنموّ الفكري لبوكو حرام في مدى عدم كفاءة الدولة النيجيرية في مواجهة الإرهاب؛ عبر ممارستها للعنـــف الخارج عن القانـــون، وانتهاكات حقوق الإنســـان ضدّ المدنيين في الشمال، أدت تلك الانتهـــاكات إلى تعزيز مزاعـــم المتمردين بأنّ الدولة فاقدة للشرعية، وبينما من غير المحتمل أن تغيّر البيعة من سمات التمرد النيجيري بشكلٍ جذريّ؛ إلا أنها ستضخم تلك الرسالة الخطرة.

يلاري ماتفيس - ترجمة راقب، نقلاً عن موقع defenseone

عقب مدة قليلة من نيلهما الاستقلال عن بريطانيا، في أوائل الستينيات، اندمجت كلٌّ من تنجانيقا وزنجبار، ليكوّنا معاً: «جمهورية تنزانيا المتحدة»، في ١٩٦٤م. وفي عام ١٩٩٥م انتهى حكم الحزب الواحد في جمهورية تنزانيا؛ حينما أُجريت أول انتخابات ديمقراطية، في البلاد، منذ السبعينيات.

السِّمات الجغرافية:

١ – الموقع الجغرافي: تقع جمهورية تنزانيا المتحدة في شرقي قارة إفريقيا، على المحيط الهندي، بين كينيا وموزمبيق.

٢ – المساحة:

أ. المساحة الكليّة: ٩٤٧,٣٠٠ كم٢.

ب. مساحة اليابس: ٨٨٥,٨٠٠ كم٢.

ج. مساحة المياه: ٦١,٥٠٠ كم٢.

٣ – المناخ: يتنوع مناخ تنزانيا بين مداريٍّ على طول الساحل، ومعتدل في الأراضي العليا.

٤ – التضاريس: تنقسم تضاريس تنزانيا إلى سهولٍ على طول الساحل؛ وهضبة في وسط البلاد، ومرتفعاتٍ في شمال البلاد وجنوبها.

التركيب السكاني:

١ – عدد السكّان: يبلغ عدد السكان ٤٨,٢٦١,٩٤٢ نسمة؛ طبقاً لتقديرات يوليه ٢٠١٣م.

٢ – التقسيمات العرقية: في اليابسة الرئيسة من جمهورية تنزانيا يشكّل الأفارقة ٩٩٪ من إجمالي السكان (منهم ٩٥٪، من البانتو، وهي تضم أكثر من ١٣٠ قبيلة)، بينما تشكّل المجموعات العرقية الأخرى (التي تتكون من الآسيويين، والأوروبيين، والعرب) ١٪.

أما سكان إقليم زنجبار: فتضم مجموعاتهم العرقية: (العرب، والأفارقة، وهجناء من العرب والأفارقة).

٣ – الديانة: في اليابسة الرئيسة من جمهورية تنزانيا يمثّل النصارى ٣٠٪ من إجمالي السكان، والمسلمون ٣٥٪، وأصحاب المعتقدات الإفريقية المحلية ٣٥٪.

أما في إقليم زنجبار: فيمثّل المسلمون أكثر من ٩٩٪ من إجمالي سكان الإقليم.

٤ – اللغة: الكيسواحيلي Kiswahili (السواحيلية Swahili) هي اللغة الرسمية في تنزانيا؛ إضافة إلى الإنجليزية، وهي لغة رسمية كذلك، كما أنها اللغة الأولى في التجارة، والإدارة، والتعليم العالي. ومن اللغات الأخرى المنتشرة في تنزانيا: اللغة العربية، وتُستخدم على نطاقٍ واسعٍ في إقليم زنجبار؛ إضافة إلى الكثير من اللغات المحلية.

النظام السّياسي:

١ – اسم الدولة:

أ. الاسم الرسمي الكامل: جمهورية تنزانيا المتحدة.

ب. الاسم الرسمي المختصَر: تنزانيا.

ج. الاسم السابق: جمهورية تنجانيقا وزنجبار المتحدة.

٢ – نظام الحُكم: جمهوري.

٣ – العاصمة: دار السلام Dar es Salaam.

٤ – التقسيمات الإدارية: تنقسم جمهورية تنزانيا إلى ٣٠ منطقة.

٥ – الاستقلال: نالت جمهورية تنزانيا استقلالها في ٢٦ أبريل ١٩٦٤م، وكانت تنجانيقا قد نالت استقلالها عن الإدارة البريطانية، تحت وصاية الأمم المتحدة، في ٩ ديسمبر ١٩٦١م، كما استقل إقليم زنجبار في ١٩ ديسمبر ١٩٦٣م عن المملكة المتحدة كذلك، ثم اتحدت تنجانيقا مع زنجبار في ٢٦ أبريل ١٩٦٤م، ليكوِّنا معاً جمهورية تنجانيقا وزنجبار المتحدة، التي غُيِّر اسمها في ٢٩ أكتوبر ١٩٦٤م إلى الاسم الحالي: جمهورية تنزانيا المتحدة.

٦ – الدستور: صدر في ٢٥ أبريل ١٩٧٧م، ثم عُدِّل تعديلات رئيسة في أكتوبر ١٩٨٤م.

٧ – النظام القانوني: يُستمد من القانون

الإنجليزي العام. وتقتصر المراجعة القضائية للتشريعات القانونية على التفسيرات فقط. ولم تقبل تنزانيا السلطة الإلزامية لمحكمة العدل الدولية، ولكنها تقبل بسلطة المحكمة الجنائية الدولية.

بيانات اقتصادية:

١ – النظام الاقتصادي:

تُعدّ جمهورية تنزانيا إحدى أفقر بلدان العالم اقتصادياً، من حيث دخل الفرد؛ ولكنها قد حقّقت معدلات نموٍّ عالية بشكلٍ عام، معتمدةً على الذهب والسياحة، وقد أكملت تنزانيا، وإلى حدٍّ كبيرٍ، عملية التحول إلى اقتصاد السوق الحُر؛ على الرغم من أنّ الحكومة ما تزال تحتفظ بوجودٍ لها في قطاعاتٍ مثل: الاتصالاتٍ، والخدمات المصرفية، والطاقة والتعدين.

ويعتمد اقتصاد تنزانيا اعتماداً شديداً على الزراعة، فهي تسهم بأكثر من الربع من إجمالي الناتج المحلي، و ٨٥٪ من إجمالي الصادرات، وتستوعب ٨٠٪ من إجمالي القوى العاملة في البلاد.

وقد ساعدت الإصلاحات المصرفية الأخيرة على ارتفاع معدل النمو في القطاع الخاص، وازدياد استثماراته، وزادت الحكومة

من نسبة الإنفاق على الزارعة حتى وصلت إلى ٧٪ من الميزانية.

٢ – مصادر إجمالي الناتج المحلي، طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٢م:

أ. قطاع الزراعة: ٢٧,٧٪.

ب. قطاع الصناعة: ٢٥,١٪.

ج. قطاع الخدمات: ٤٧,٢٪.

٣ – قوة العمل؛ طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٢م:

أ. الإجمالي: ٢٤,٧٥ مليون عامل.

ب. توزيعها؛ طبقاً لتقديرات عام ٢٠٠٢م:

(١) الزراعة: ٨٠٪.

(٢) الصناعة والخدمات: ٢٠٪.

٤ – معدل التضخم: ١٦,١٪؛ طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٢م.

٥ – الاستثمار: ٣٦,٩٪، من إجمالي الناتج المحلي، طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٢م.

٦ – الموازنة: طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٢م.

أ. الإيرادات: ٥,٥٧١ بلايين دولار.

ب. النفقات: ٦,٧٠٦ بلايين دولار.

٧ – الدَّين العام: ٣٦,٤٪ من إجمالي الناتج المحلي، طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٢م.

٨ – الزراعة: من أهم المنتجات الزراعية في تنزانيا: البن، والسيزال (نبات ذو ألياف متينة، يُستخدم في صنع الحبال)، والشاي، والقطن، والبايريتروم (مبيدات حشرية)، والكاجو، والتبغ، والقرنفل، والذرة الشامية، والقمح، والكاسافا (التابيوكا)، والموز، والفواكه، والخضراوات، والماشية، والأغنام، والماعز.

٩ – الصناعات: تعتمد جمهورية تنزانيا على الصناعات الزراعية، مثل: (السكر، والجعة، والتبغ، والحبال المزدوجة)؛ إضافة إلى الألماس والذهب، وتعدين الحديد، والملح، وبودرة الصودا، وتكرير النفط، والأحذية، والملابس، والأسمنت، والمنسوجات، والمنتجات الخشبية، والأسمدة، والملح.

المسلمون في تنزانيا:

دخول الإسلام:

كان المسلمون على علاقةٍ قويةٍ بهذه البلاد منذ القرن الأول الهجري، بدأت بعلاقاتٍ تجارية، ثم هجرةٍ وتأسيس أمارات إسلامية، وظهرت أقدم الإمارات الإسلامية علي ساحل شرقي إفريقيا، وهي امارة لامو على الساحل الشرقي الإفريقي شمال مدينة مومباسا، في نهاية القرن الأول الهجري.

وفي مستهل القرن الرابع الهجري ظهرت إمارات: (ماندي، وأوزي، وشاكه) قرب دلتا نهر تانا في كينيا، وهكذا وصل الإسلام إلى الساحل الجنوبي من تنجانيقا في مستهل القرن الرابع الهجري، بل امتد حتى الجنوب.

ودهم الاستعمار البرتغالي الإمارات الساحلية، وشنّ ضدهم حرباً دامية، دمرت معظم مدن الساحل، وازداد التنافس الاستعماري على المحيط الهندي، وبرزت قواتٌ إسلاميةٌ جديدة من عمان استطاعت القضاء على النفوذ البرتغالي، فهزمت البرتغاليين هزيمة ساحقة عند (ممبسة) في سنة ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م.

وبعد أن انهارت سيطرة البرتغاليين واستقر الأمر للعرب توغلت الدعوة إلى الداخل، فوصلت إلى نياسلاند (ملاوي حالياً)، كما وصلت إلى هضبة البحيرات حيث أوغندا، وتوغل الإسلام إلى داخل تنجانيقا، وظهر في المدن الساحلية والقرى، ونقل العمانيون العاصمة إلى (دار السلام)، وبرزت مراكز إسلامية بالداخل، كان منها في تنجانيقا: (طابورة) و (أوجيجي) على بحيرة تنجانيقا، و (تانجا) التي كانت من أكبر مراكز الثقافة العربية بالبلاد.

وظهرت قوى استعمارية جديدة، تمثّلت في

بريطانيا وألمانيا، اقتسمتا دولة (آل بوسعيد) في شرقي إفريقيا، واستولت ألمانيا على تنجانيقا، وما كادت تنجانيقا تستقل حتى تعرّض المسلمون لحربٍ دامية، تمثّلت في الأحداث التي استهدفت العرب في زنجبار، في سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، راح ضحيتها ٢٣ ألفاً من المسلمين، وبعد أربعة أشهرٍ على تلك المجازر المروعة؛ أُعلن قيام وحدة سياسية بين: (تنجانيقا وزنجبار)، واتخذ هذا الكيان الجديد اسم: (تنزانيا).

مناطق المسلمين:

يتجمّع المسلمون في تنزانيا في مناطق عديدة، فالأغلبية العظمى من سكان جزيرتي: (بمبا، وزنجبار) مسلمة، وإقليم البحيرة (تنجانيقا)، و (تتورا، وفورا، وتوشي تا اشة)، وكذلك سكان مدينة (دار السلام)، وتبلغ نسبة المسلمين بها ٩٠٪، وكذلك ميناء (تنجا)، والمدينة التاريخية (كلوا) التي أسسها المسلمون في القرن الرابع الهجري تحفل بالمساجد والمدارس الإسلامية، والغالبية المسلمة تتركز في النطاق الساحلي، وينتشر المسلمون في ولاية (طابورة) في الداخل، وفي: (موشي، وكيجوما وأوجيجي)، أما المساجد؛ فتعد بالآلاف، وكذلك المدارس الإسلامية، وكلها أُقيمت بمجهوداتٍ ذاتية، حيث إنّ الدولة لا تدعم المؤسسات الدينية الإسلامية.

تعداد المسلمين:

الإحصاءات الحالية لا تشمل الدين عند تعدادها للسكان، حيث حظرت الحكومة ذلك منذ سنة ١٩٦٧م، لكن بعض الإحصاءات لزعماء دينيين تقدّر تعداد المسلمين في اليابسة الرئيسة بـ ٣٥٪، والمسيحيين ٣٠٪، وأتباع الديانات الأخرى ٣٥٪. بينما يشكّل المسلمون تسعة وتسعون في المائة من سكان زنجبار.

في حين تؤكد بعض المصادر الإسلامية أنّ تعداد المسلمين يتجاوز ٦٥٪ من المجموع الكلّي للسكان.

أما أقدم الإحصاءات الرسمية، والتي أجريت في عام ١٩٥٨م، فتشير إلى أنّ الدين الإسلامي يشكّل نسبة ٥٥٪ قياساً بالديانات الأخرى.

أوضاع المسلمين هناك:

١ - تعليمياً: إنّ الحالة التعليمية للمسلمين في تنزانيا مع تشكيلهم النسبة العليا من السكان سيئة جدّاً؛ في حين أنّ أتباع المسيحية يتمتعون بمستوى عالٍ من التعليم، حيث كانت سياسة الاستعمار قائمة على إتاحة فرص التعليم للمسيحيين، واستمر حرمان المسلمين من التعليم حتى بعد الاستقلال في حكم «يوليس نيريري»، وكان من نتيجة هذه السياسات أنّ نجد النسبة العليا من طلاب المدارس الابتدائية من المسلمين، حيث تصل نسبتهم إلى ٨٠٪، لكن هذه النسبة نجدها تقلّ كلما اتجهت إلى التعليم الثانوي، لتصل إلى ١٠٪ في التعليم العالي (المعاهد العليا والجامعات).

ولم يتمكن المسلمون من افتتاح المدارس العصرية الإسلامية المسجلة رسمياً إلا بعد

اســـتقالة «يوليس نيريري»، وتولّي «علي حسن موينى» منصـــب رئيس الجمهوريـــة، وكان أول تغيير أجراه هو إسناد منصب وزير التعليم لأول مرة إلى مسلم، هو الأستاذ الدكتور «كيغوما علي ماليما»، مما أدى إلى:

- حصول انتعاش في ارتفاع نســـبة الطلبة المسلمين في المراحل التعليمية المختلفة.
- افتتاح المســـلمين قليلاً مـــن المدارس الابتدائية والثانوية العصرية الإسلامية.

ومـــع هذا كلـــه: فإنّ الأمر مـــا زال صعباً على المســـلمين في هذا المجال؛ فلقد أعلنت الحكومة إلغـــاء التعليم المجانـــي الذي أعلنته منذ أكثر من عشـــرين عاماً، وقررت من جديد أن يساهم أولياء الأمور بتكاليف التعليم، وعليه: أعادت الرسوم الدراسية العالية جدّاً في التعليم الثانوي والتعليـــم العالي، الأمر الذي يعجز عنه الكثير من أولياء الأمور المسلمين؛ نتيجة ضعف المستوى الاقتصادي للمسلمين.

٢ - اقتصاديّـــاً: المســـتوى الاقتصـــادي للمســـلمين في تنزانيا ضعيـــف، وهذا الضعف يأتي بســـبب اعتمـــاد اقتصاد تنزانيا أساســـاً على الزراعة، التي يزاولها أكثر المســـلمين في المناطق الســـاحلية، ويمكن أن يتحسن الوضع الاقتصادي من خلال تطوير الزراعة؛ من حيث نوعية المحاصيل والأســـاليب الزراعية، ولكن الحكومة لا ترغب في ذلك.

والمجال الوحيـــد الذي يمكـــن القول بأنّ للمسلمين قوة نســـبية فيه هو التجارة، ومعظم البارزين في هذا المجال هم من العرب والهنود، وهـــؤلاء نســـبتهم قليلة في عدد الســـكان، أما السكان الأصليون (الأفارقة) فليس لهم ذكر في مجال التجارة.

٣ - سياسيّاً: بعد أن تولى «يوليوس نيريري» رئاســـة الجمهورية ألغى نظـــام تعدد الأحزاب

السياسية، ثم بدأ بإبعاد الكثير من الشخصيات الإســـلامية عن حزبه الحاكم، كمـــا قام أيضاً بحرمان المسلمين من المناصب السياسية، فلم يكن في فترة رئاســـته إلا القليل من المسلمين. وبعـــد أن تولـــى «علي حســـن موينى» رئاســـة الجمهورية حاول أن يوجِد التوازن في المناصب السياســـية بين المسلمين والمســـيحيين؛ على الرغم من المعارضة الكبيرة التي واجهته.

٤ - الخدمات الصحية: الخدمات الصحية في تنزانيا هي من أسوء الخدمات الاجتماعية، فالشعب التنزانـــي عموماً يعاني الكثير من الأمراض، وأحد أســـباب هذا الأمر هو ضعف الخدمات الصحية، حيث أنّ نسبةً كبيرةً من السكان في تنزانيا يعيشون فـــي القرى، حيث لا توجد فيها المستشـــفيات أو المراكز الصحية أو المستوصفات، والجهة الوحيدة التي يمكن القول بأنها حاولت إلى حدٍّ ما الاقتراب من توصيل الخدمات الصحية إلى المناطق القروية هي الكنيسة.

المراجع: موســـوعة مقاتـــل الصحراء - موقع ويكيبيديا - مؤسســـة آفران للدراسات والبحوث - النزاعات الأهلية في إفريقيا، مجلة البيان، العدد: ١٠٦، جمـــادى الآخرة ١٤١٧هـ / نوفمبر ١٩٩٦م - موقع الإســـلام - التابع لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقـــاف والدعوة والإرشـــاد بالمملكـــة العربية السعودية - موقع NationMaster للإحصاء.

■ برعاية المنتدى الإسلامي ومنظمة الإشراق.. انطلاق فعاليات الملتقى الدعوي الأول بشرق السودان:

بهدف توحيد صف الدعاة والارتقاء بهم، وفتح آفاق جديدة للتعاون بين قيادات العمل الدعوي والأجهزة الرسمية للدولة، انطلقت فعاليات الملتقى الدعوي الأول بمدينة (كسلا) شرق السودان، (١٠/٨/٢٠١٥م حتى ١٥/٨/٢٠١٥م)، برعاية المنتدى الإسلامي ومنظمة الإشراق للتنمية والإعمار، وذلك بمشاركة ٥٢ داعيةً من أنحاء البلاد. الجلسة الافتتاحية: شهد الجلسة الافتتاحية للملتقى كبار المسؤولين بالدولة، وفي مقدمتهم: وزير الشؤون الاجتماعية محمد موسى طاهر، ووالي كسلا آدم جماع آدم، والذي أكد أنّ حكومة ولايته تسعى إلى تمكين الدعوة؛ لخلق مجتمع رساليٍّ متمسكٍ بقيم الدين الإسلامي. في المقابل دعا وزير الشؤون الاجتماعية إلى إيجاد خارطة للعمل الدعوي، مؤكداً التزام وزارته بمساندة البرامج الدعوية كافة، والعمل على نبذ أسباب الفرقة والشتات.

مشاركة المنتدى:

ومن جانبه صرح الأستاذ معاوية حسين المدير التنفيذي للمنتدى الإسلامي بالسودان: بأنّ مساهمة المنتدى في الملتقى كانت قوية، وعلى مستوى تنظيميٍّ وفنيٍّ كبير، وذلك بالتعاون مع منظمة الإشراق. شارك فريق المنتدى بتقديم ورشة: (استراتيجيات العمل المشترك والتحالفات)، وأمسية: (التقنيات الحديثة وأثرها في تقديم الدعوة)، والتي قدّمها الأستاذ عاصم محمد حسن رئيس وحدة التخطيط والتطوير. تميّز الملتقى بعقد دوراتٍ تدريبيةٍ حول إدارة العمل الدعوي، والطريق لصناعة النجاح، كما عقد متخصّصون ورشاً حول: فقه الخلاف، ودور الداعية في حماية المجتمع من المهددات، بالإضافة لعدد من المحاضرات.

تقييم الفعاليات:

وحول تقييم فعاليات الملتقى ذكر آدم علي حامد مدير منظمة الإشراق: أن الملتقى يُعدّ الأول من نوعه، حيث شارك فيه أكثر من ٢٥ جهة دعوية، كما حضر أكثر من ٥٠ داعيةً، على مدى أيام من العمل المكثف والورش والدورات التدريبية، استمرت نحو ٤ ليال و ٥ أيام، مشيراً إلى أنّ تلك الفترة تكللت بالنجاح. ونظراً لأهمية الملتقى؛ فقد أولته وسائل الإعلام بتغطية خاصة، كصحيفتي: الصيحة، والتيار، كما قدمت قنوات: كسلا، والسودانية، والشروق: تقارير تلفزيونية ترصد فعاليته، في حين قدّمت إذاعات مختلفة بمدينة كسلا تقارير نوعية حول أهداف الملتقى وإنجازاته.

ختام فعاليات الملتقى: شارك وزير الشؤون الاجتماعية في تكريم المتدربين، وتقديم شهادات التدريب. كما خرج المنظمون بمجموعة من التوصيات، وأهمها: ضرورة عقد ملتقيات أخرى؛ تساهم في توحيد الخطاب الدعوي، ونقل التجربة إلى ولاياتٍ أخرى لتعمّ الفائدة، وتكثيف محاضرات وورش التقنيات الحديثة وأثرها في الدعوة.

إفريقيا الوسطى وتحقيق السِّلم الاجتماعي

د. محمد البشير أحمد موسى
باحث في الدراسات الإفريقية والقانونية – تشاد

ظلّت تردّد فرنسا دائماً، في عهد الجمهورية الثالثة، أنها جاءت إلى إفريقيا بناءً على واجب تقديم الحضارة والمدنية، والأنظمة السياسية والإدارية، والقيم والمبادئ العلمية والجمالية، إلى شعوب بربرية متوحشة، ترسف في أغلالٍ من التقاليد البالية التي تمنعها من الاتصال بالعصر الجديد، في تجلياته ومظاهره الأوروبية.

وأنّ الواجب الإنســـاني يُملي عليها ألا تترك هذه الشـــعوب المتخلِّفة للتصرف في نفســـها، وأنَّ قدر فرنسا أن تعيش في ظلّ إمبراطوريتها المترامية الأطراف[1]، مع أنّ التاريخ يشهد على ما قدّمته الممالك الإسلامية في إفريقيا للعالم من حضـــارةٍ ورقيّ، في وقتٍ كانت تعيش الدول الغربية كلها، وعلى رأســـها فرنســـا، في عصر الظلمات.

ظلَّت السياسة الاستعمارية الفرنسية تجارية في طبيعتها، إذ ترى في المســـتعمرات أراضي ملحقة بأراضيها اقتصادياً وإدارياً وسياســـياً، ولذلك أنشأت معظم العواصم الفرانكفونية على ضفـــاف الأنهار أو المحيطات لتســـهيل عملية النقل، مثـــل «أنجمينا» في تشـــاد، أو «بانقي» في إفريقيا الوســـطى، أو «دكار» في السنغال.. وغيرها.

وكانـــت أولى وســـائل هذا الحكـــم تحطيم الزعامات القبلية والمحلية بأنواعها المختلفة، وكذلك المعتقدات الدينيـــة والفكرية، لتحطيم الدولة أو الســـلطة المحلية القائمة قبل وصول المســـتعمر، ثمَّ تحطيم كلّ ولاءٍ دينيٍّ أو دنيويٍّ لتلك السلطة.

وقد نتج هذا عن عاملين:

أولهما: دور الجيش الفرنســـي في التوسع الاســـتعماري وما لقيه مـــن مقاومـــةٍ عنيفة، وخصوصاً في الصحراء الكبرى، لهذا ســـيطر التفكير العســـكري على السياسة الاستعمارية الفرنسية.

وثانيهمـــا: الثورة الفرنســـية ومـــا صورته للفرنســـيين مـــن أنَّ عليهم عبء حمل شـــعلة الحضارة إلى البشـــر، وتعليمهم دروس الحرية، وبخاصة الأفارقة، حتى لو كان ذلك قهراً[2].

المسلمون في إفريقيا الوسطى لم يكن لهم بعد الله عز وجل أية دولة داعمة لهم في تحقيق المطالبة بحقوقهم على عكس المنظومة النصرانية في البلاد

لقد أُنشـــئت المســـتعمرات فـــي إفريقيا وغيرها لا لأغراض الأمـــن، بل، كما يقول أحد الباحثيـــن، لإطالة عمر الرأســـمالية الأوروبية المحتضرة، وهو ما ورد على لسان أحد الحكام الفرنسيين: «لقد أوجدت المستعمرات من قبل الدولة الأم المُسْـــتَعْمِرة ولأجلها»، ولذلك كانت سياسة الاســـتيعاب ضرورية لاستمرارية الدولة الأمّ، ألا وهي فرنسا[3].

لم تكتف القوى الاستعمارية بتقسيم إفريقيا إلى كيانات غير متماســـكة وقوميـــات متنافرة فحســـب، بل عمَّقت، عن طريق استراتيجياتها وسياســـاتها الإدارية والاقتصاديـــة والثقافية، عوامل الانقســـام بين القوميـــات داخل القطر الواحد، وهذا ما أدى إلى كثرة الحروب العرقية بين مختلـــف القوميـــات، حتى بيـــن القومية الواحدة، كما فـــي حالة: (إفريقيا الوســـطى) الأخيرة وغيرها من الدول، ولتكون هذه الحروب وســـيلة أخرى من وسائل الاستفادة الاقتصادية للدول الأوروبية، حيث ســـوق السلاح للحكومة

(١) نور الدين ثنيو: قراءة وكتابة تاريخ الاستعمار في لحظة ما بعد الكولونيالية، مجلة دراسات بجامعة الأمير عبدالقادر – الجزائر، ص ٧٠.

(٢) أساني فساني: الصحوة الإفريقية، ص ٣٣٠.

(٣) وليم توردوف: الحكم والسياسة في إفريقيا، ص ٤٠.

والمعارضة على حدٍّ سواء، وكذلك سوق نهب المقدرات من المخزون الاستراتيجي للدول الإفريقية من الذهب واليورانيوم وغيرها؛ مما ظهر لنا جلياً في الأحداث الأخيرة في إفريقيا الوسطى، وفي غيرها من الدول الإفريقية.

إفريقيا الوسطى من الانقسام الداخلي إلى تحقيق السِّلم الاجتماعي:

لم تكن إفريقيا الوسطى بدعاً من الدول الإفريقية في بناء دولةٍ قوميةٍ، تتعايش فيها المكونات الاجتماعية والدينيةٍ وغيرها، بل عانت، خصوصاً في الأزمة الأخيرة، التي ابتدأت في ٢٠١٣/١٢/٥م وما زالت مستمرة، وبإيعازٍ من جهات خارجية، حرباً أهلية قضت على معظم الوشائج الاجتماعية بين مكوناتها المختلفة، وأدت إلى نزوح قرابة مليون شخص وتشريدهم من قراهم ومدنهم، وأدى بشكلٍ كبيرٍ إلى القضاء على السِّلم الاجتماعي الهشّ الذي كان سائداً بين المكونات المختلفة في إفريقيا الوسطى منذ نشأة الدولة الحديثة فيها عام ١٩٦٠م.

ومنذ حدوث التغييرات على الوضع الميداني العسكري للصراع في إفريقيا الوسطى، ومساعي القيادات العسكرية الشمالية المنضوية تحت تحالف «سيلكا»، ودعوة عدد من قياداتها المؤثرة إلى الانفصال، أصبح الواقع أمام القوى الداعمة للميليشيات النصرانية العسكرية في البلد في وضعٍ لا يحسد عليها، خصوصاً أنّ معظم الجرائم التي اقتُرفت على أيدي هذه الميليشيات والقوات الغربية والإفريقية الموالية لها سجلتها المنظمات الدولية، وصُنفت بوصفها: (جرائم ضدّ الإنسانية)، ولأول مرة في تاريخ هذا البلد نرى الانتهاكات البشعة ضدّ المسلمين، والتي - في هذه المرة - لم تكن كسابقتها في الثمانينيات من القرن الماضي عندما تمّ قتل وتهجير آلافٍ من المسلمين من قراهم، حيث لجؤوا إلى جنوب تشاد تحديداً في منطقة «قوري» التي استوطنوها، ولم يستطيعوا العودة إلى قراهم الأصلية مرة أخرى.

أدركت القوى الغربية، التي ساهمت في اندلاع الحرب الأخيرة في ٢٠١٣/١٢/٥م، أنّ تحقيق أهدافها الاقتصادية في المرحلة الراهنة يتطلب تحقيق السلام في البلاد، لذا كان الضغط على القوى المؤثرة في البلاد، والمتمثلة في ميليشيا «أنتي بلاكا» النصرانية وحركة «سيلكا» ذات الأغلبية المسلمة، لعقد مفاوضات سلام، بدأت في برازافيل ٢١-٢٣/٧/٢٠١٤م، مروراً بنيروبي كنقلة نوعية غريبة، فاستمرت لأشهرٍ هناك، وفي جلسات مغلقة تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والكنيسة الكاثوليكية وبعض القوى الغربية، ومن ثمّ كان ختام تلك المفاوضات في برازافيل مرة أخرى، حيث كانت الاتفاقية التي أُبرمت بحضور الحكومة الانتقالية برئاسة كاثرين سامبا، حيث خلصت الاتفاقية إلى نقاطٍ تمَّ التوافق عليها من قبل، ومن أهمها:

١ - نزع جميع الأسلحة من كلّ الأطراف، وجمعها في ستّ مناطق في البلاد.

٢ - دمج مَن يصلح من الميليشيات في الجيش الوطني طبقًا لضوابط معينة.

٣ - تكوين جيشٍ قويٍّ، يكون ولاؤه للوطن دون غيره.

٤ - سيادة العدالة الكاملة في ربوع إفريقيا الوسطى، وذلك بضمان تطبيق القانون على الناس كافة دون تفرقة أو تمييز.

٥ - تقرير حقّ المواطنة للكل، باعتبار المسلم مواطناً له كامل الحقوق وعليه جميع الواجبات.

٦ - إنشاء محكمة خاصة لمحاكمة مرتكبي

جرائم حرب في الحـــرب الأخيرة، حتى تتحقق العدالـــة الكاملـــة، وفق ضوابـــط تحقق الأمن والعدالة للمتهمين.

٧ – بنـــاء جميـــع دور العبادة من مســـاجد وكنائس.

٨ – حقّ المســـلمين في إجازاتهم الرسمية في الأعياد السنوية.

٩ – تعويض المتضررين جرّاء الأزمة الأخيرة من الطرفين.

١٠ – نشـــر ثقافة السلام بين أبناء إفريقيا الوســـطى، وتحقيـــق الســـلم الاجتماعي بين مكوناتها المختلفة.

١١ – علمانيـــة الدولة، وذلـــك بعدم تدخل الســـلطة السياسية في أيّ شـــأن من الشؤون الدينية أو القضاء الإسلامي أو العرفي.

١٢ – اســـتقلالية الســـلطة القضائية حتى تحقق العدالة الكاملة في البلاد.

١٣ – تفعيـــل دور المجتمـــع المدنـــي على نحوٍ يكفل حفظ الإنســـانية، ويصـــون الأموال والأعراض.

١٤ – إعادة النظر فـــي الاتفاقيات الدولية التـــي عُقدت مـــع إفريقيا الوســـطى بما يكفل الحقـــوق والحريات العامّة فـــي الدولة، ويحقق الأمـــن الاقتصـــادي والسياســـي، ومـــن بينها الاتفاقيات مع دولة فرنسا.

١٥ – تنمية الموارد البشـــرية، واســـتغلال الثروات الطبيعـــة، بما يحقّق الأمـــن الغذائي والتنمية المستدامة لجميع السكان[١].

لقـــد كانت هذه الاتفاقيـــة مماثلة في كثيرٍ من بنودها لأول ورقة لتحقيق السِّلم الاجتماعي طرحتها حكومة «سيلكا» عند وصولها إلى سدّة

(١) http://www.reuters.com/article/2015/10/05/us-centralafrica-politics

وثقت المنظمة حالات التحويل القسري للمسلمين في غرب البلاد إلى الديانة النصرانية بتخيير المسلمين العائدين إلى ديارهم ما بين العودة الآمنة باعتناق النصرانية أو القتل

الحكم، لكن لم توافق عليها الحكومة الســـابقة برئاســـة «بوزيزي»، وكذلك الدولة المســـتعمرة الســـابقة، مما أدى إلى الحرب الأخيرة، إلا أنه وبعد مـــرور أكثر من عامٍ ونيّـــف، ومقتل قرابة عشـــرة آلاف شـــخص من الطرفين، والتهجير القسري لحوالي ٤٠٠,٠٠٠ ألف مسلم إلى دول الجوار[٢]، ها هم أولاء يوافقون على توقيع هذه المذكرة، والتي تمّ إعلانها رســـمياً في: (منتدى بانقي للسلام)، الذي عُقد في الفترة : (٤-١١/ يوليو ٢٠١٥م).

الاتفاقية وتحقيق طموحات المسلمين وآمالهم:

يرى الناظر في بنود هذه الاتفاقية، والمذكرة التوضيحية لها، أنّها لم تحقّق كثيراً من المطالب التي كان ينادي بها المسلمون منذ سنوات، ومن أجلها حملوا السلاح، وضحّوا بالغالي والنفيس، بـــل أدى إلى هجرة كثيرٍ مـــن كوادرهم إلى دول الجوار، حتى استطاعوا في تحالفٍ بينهم تحقيق جزءٍ من طموحاتهم بالوصـــول إلى رأس الهرم الحكومي، ومن خلال ذلك يتمّ فرض شـــروطهم

(٢) تقرير المنظمة الأفروسطية عن الوضع الإنساني في إفريقيا الوسطى رقم (٢)، بمناسبة مرور عام على المجازر ٢٠١٤/١٢/٥م. ومنظمة الهجرة الدولية بخصوص اللاجئين والنازحين.

التي لم يستطيعوا تحقيقها، إلا أنَّ الكنيسة والدوائر الغربية لم ترض عن وصولهم إلى السلطة وتحقيق بعضٍ من آمالهم، لذا كانت الحرب التي شاركت فيها عددٌ من الدول وعددٌ من مجالس الكنائس في دول الجوار وغيرها، والتجييش الإعلامي لهذه الحملة المضادة ضدّ المسلمين في معظم الوسائل الإعلامية ذات المرجعية الفرنسية.

ولعل هذه البنود تحقّق جزءاً - ولو يسيراً - من آمال المسلمين وطموحاتهم، حيث لم يكن لهم دولة داعمة في تحقيق المطالبة بحقوقهم؛ على عكس المنظومة النصرانية في البلاد، حتى منظمة التعاون الإسلامي كان موقفها في أضعف الأحوال، إذ لم تستطع حتى الموافقة بالإجماع على اعتبار ميليشيا «أنتي بلاكا» منظمة إرهابية، مما أفقد كثيراً من المسلمين الأمل في هذه المنظمة التي كان من المفترض أن تقوم بما لم تستطع كثيرٌ من الدول الإسلامية القيام به.

ووسط هذه الحالة من اللامبالاة من عددٍ من الدول الإسلامية، وانسحاب بعضها وسط ضغوطٍ دولية، ما كان أمام قادة تحالف «سيلكا» إلا أن يستمروا في هذا المسار، وسط محاولاتٍ جادةٍ لتمزيق الصف الواحد للمسلمين بإثارة النعرات القبلية والجهوية على حساب القضية الواحدة، ووسط ضغوطٍ من اللاجئين بالمطالبة بالعودة الآمنة أو الذهاب مرة أخرى إلى الحرب، حيث أخذت الحركة شرعيتها باعتبارها تحالفاً بين أكبر الفصائل المسلمة، مع وجود مجموعات تُدار من بعض الدول حتى لا يتحد المسلمون في كيانٍ واحد، فاستغلت الدوائر الغربية هذه الأجواء لفرض الحكومة الانتقالية برئاسة كاثرين سامبا، والتي سعت إلى مزيدٍ من التمزيق الداخلي للمسلمين باختيار بعض القيادات المحسوبة على فرنسا بأنها قيادات تمثّل المسلمين، أمثال رئيس الوزراء الحالي الانتقالي محمد كمون وغيره، مما دفع حركة «سيلكا» إلى إصدار بيانٍ واضح بأنّ محمد كمون لا يمثّل إلا نفسه، وليس ممثلاً للمسلمين، وهذا البيان كان إحراجاً للحكومة الانتقالية وداعميها، مما تطلب الاستمرار في إجراء الحوار بين الأطراف المختلفة (الحكومة الانتقالية + ميليشيا أنتي بلاكا + حركة سيلكا).

ولهذه الضغوط والظروف المحيطة بهذه القضية، وإشعال حربٍ جديدةٍ في المنطقة تحت مظلة محاربة جماعة «بوكو حرام»، لم يكن أمام حركة «سيلكا» والمسلمين في غالبهم إلا الموافقة على هذه الاتفاقية، وتحقيق جزءٍ من طموحاتهم، مع وجود إشكالية لم يتم حسمها إلى الآن، وهي عودة اللاجئين والمشردين إلى البلاد، وهي قضية ما زالت تشكّل سجالاً بين الأطراف المختلفة، وإن كانت المحكمة الدستورية أعلنت رسمياً مشاركة اللاجئين في الانتخابات القادمة، وهي خطوة ساهمت في التقليل من السجال بين هذه الأطراف.

العلماء ودورهم في الدفاع عن حقوق المسلمين:

ولعلّ قوة العلماء المسلمين وثباتهم على مواقفهم إبّان الأزمة وتماسكهم، وكذلك دعوتهم لحركة «سيلكا» وغيرها من القيادات السياسية للمسلمين بالوحدة وعدم التفريط بأيّ حقٍّ من حقوقهم، ألجأت الحكومة الانتقالية وكذلك حركة «سيلكا» إلى أخذ وجهة نظر العلماء بعين الاعتبار.

كما تمثلت قوة العلماء أيضاً في أنَّ كثيراً منهم صمدوا ولمدة أكثر من عام في الدفاع عن المسلمين وعن آخر حيٍّ رئيسٍ لهم في العاصمة بانقي، ودعوا الشباب إلى الرباط والدفاع عن

العجزة والمسنين والأرامل والأيتام، وإفشال كلّ المخططات الرامية إلى نقلهم، وبخاصة الدعوات الرسمية من المنظمة الدولية الأمم المتحدة الداعية إلى الهجرة «الآمنة»، والتي أعلن مسؤولها الأول الأمين العام أكثر من مرة، في أثناء زيارته للمسجد العتيق ولهذا الحيّ، بضرورة نقل المسلمين من هذا المكان الخطر، إلا أنّ ردود الفعل القوية أجبرته على التراجع عن هذا الموقف، بل أجبرت القوى الأخرى على ضرورة مشاركة بعض من العلماء في الهيئة التشريعية الانتقالية، وهو ما تحقق بمشاركة بعضٍ منهم، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عمر قونيٍ، أحد أبرز الدعاة الذين وقفوا ضدّ حملات التهجير القسري للمسلمين وإفراغ العاصمة منهم[1].

الضغوط الخارجية والداخلية لتحقيق السِّلم الاجتماعي في البلاد:

شهدت القارة الإفريقية خلال هذا العام ٢٠١٥م في عددٍ من دولها انتخابات رئاسية وتشريعية، ويُعدّ عام ٢٠١٥م عام انتقاد الديمقراطية الإفريقية، فقد تمّ إعادة انتخاب عددٍ من الرؤساء بانتخابات يشوبها عددٌ من العيوب، ومن ذلك ما جرى في دولة إثيوبيا وبورندي وغيرهما، ومع هذا الانتقاد للديمقراطية فقد شهدت دول أخرى، مثل ليسوتو ونيجيريا، انتخابات قلبت كلّ الموازين، وبخاصة نيجيريا التي أعيدت إليها الحياة الديمقراطية، بعد أن خشيت الأطراف الداخلية والخارجية من ضياعها وسط ضغوطٍ قويةٍ من عددٍ من الدول، ولا يختلف اثنان في أنَّ هناك عدداً من المتغيرات على الساحة النيجيرية تحققت بوصول الجنرال محمد البخاري، قد تعيد رسم الخريطة السياسية والاقتصادية والدينية في القارة الإفريقية، تحديداً منطقة جنوب الصحراء، وخصوصاً في دول وسط إفريقيا، وبدأت آثارها تظهر في سرعة وتيرة تحقيق السلام في دولة إفريقيا الوسطى بأيّ شكلٍ كان، ولو على حساب المجموعات النصرانية التي أقامت الدنيا ولم تقعدها باعتبارها جماعة مضطهدة في إفريقيا الوسطى، إلا أنّ الوقائع التي سجلتها المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، وما تمّت مشاهدته من قِبل العالم أجمع، تؤكد أنّ هذه الفئة التي تدّعي بأنها الأغلبية المضطهدة كانت مجيشة من بعض القوى الغربية ودول الجوار لتحقيق أهداف اقتصادية مع محو الهوّية الإسلامية.

ولعلّ آخر تلك الوقائع المسجلة ما أوردته منظمة العفو الدولية في تقريرها رقم: (AFR١٩/٢١٦٥/٢٠١٥)، وتاريخ: (٣٠/ يوليو ٢٠١٥م) بعنوان: (محو الهويّة لمسلمي إفريقيا الوسطى)[2]، حيث وثقت المنظمة حالات التحويل القسري للمسلمين في غرب البلاد إلى الديانة النصرانية؛ بتخيير المسلمين العائدين إلى ديارهم ما بين العودة الآمنة باعتناق النصرانية أو القتل، وكذلك التضييق بمنع الآذان والصلوات في مساجد المناطق الغربية المتاخمة لحدود دولة الكاميرون، حيث كانت المقتلة الكبرى للمسلمين، وبخاصة الرعاة في هذه المناطق، وهي المناطق التي تمتاز بوفرة الألماس واليورانيوم والذهب.

أما في العاصمة بانقي؛ فبعد عودة نسبية

(١) مركز أنباء الأمم المتحدة: جمهورية إفريقيا الوسطى: خطة لإخلاء آلاف المسلمين المحاصرين، ٢٠١٤/٢/٢٧م: http://www.un.org/arabic/news/story.asp?NewsID=20644#.Vd1VsyVViko

(٢) https://www.amnesty.org/ar/documents/afr19/2165/2015/en/

للأمن فاجأت القوات الأممية (البورندية تحديداً) السكان بإطلاق النار على حيّ كيلو خمسة حيث الغالبية العظمى من المسلمين، في محاولةٍ منها لاعتقال أحد قادة المسلمين في هذا الحيّ، وأدى ذلك إلى تبادل إطلاق النار بين الطرفين، قُتل على أثره اثنان من الشباب الذين دافعوا عن المسلمين في هذا الحيّ الوحيد المتبقي للمسلمين طيلة عام كامل، وجُرح وقُتل عددٌ من القوات البورندية[1].

ومع هذه الأحداث المؤلمة؛ فإنَّ الضغوط الخارجية والداخلية تدفع كلها إلى تحقيق السِّلم الاجتماعي، وإجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في موعدها في ١٨ أكتوبر ٢٠١٥م، ولعل اللقاءات التي تمّت في الآونة الأخيرة توحي بذلك، وأهمها لقاء الرئيس النيجيري محمد البخاري - بعد انتخابه بقليلٍ- والرئيس المسلم السابق لإفريقيا الوسطى ميشيل دجوتيا، وكذلك لقاء الرئيس الأمريكي - في زيارته الأخيرة لكينيا يوليو ٢٠١٥م - والرئيس الأسبق «بوزيزي» الذي يتزعم ميليشيات «أنتي بلاكا»، وسرعة وتيرة المحكمة الجنائية الدولية بمحاكمة مجرمي الحرب في إفريقيا الوسطى، وعلى رأسهم قادة (جيش الربّ الأوغندي)، كلّ ذلك يدلّ على وجود محاولات من بعض الأطراف لحلحلة المسألة الأفروسطية، ولعل زيارة وزير الدفاع الفرنسي وكذا وزير الخارجية لكلٍّ من بانقي وبرازافيل في يوليو الماضي ٢٠١٥م، وتأكيد الدعم الفرنسي للعملية الانتقالية، توحي جميعها بأنّ فرنسا قد حققت بعضاً من أهدافها، وبخاصة الاقتصادية منها، وإن أخفقت في تحقيق الأهداف الأخرى، وبخاصة التي تخدم الكنيسة الكاثوليكية التي تورطت بشكلٍ كبيرٍ في المجازر الأخيرة للمسلمين هناك.

إنَّ هذه الخطوات والضغوط كلها يجب أن تدفع المسلمين دفعاً إلى مزيدٍ من الوحدة والاتفاق، لأنّ الحرب الأخيرة أبرزت بشكلٍ واضحٍ أنّ الحرب حربٌ «دينية» بامتياز، فلم يُستثنَ مسلم سواء في الشمال أو الجنوب من القتل والتهجير، خصوصاً أنّ هنالك قوى غربية كثيرة تساعد النصارى على التخطيط والتدبير، وتقدّم لهم الدعم الماديّ والمعنوي، وبالمقابل لا توجد أية قوى أو دولة تساند المسلمين في هذه القضايا، حتى تلك العمليات الإنسانية التي تقوم بها بعض المنظمات الطوعية الإسلامية أصبحت شبه متوقفة نظراً لقلة الدعم والمعونة.

حركة التنصير ودور المنظمات الدولية في ذلك:

دأبت المنظمات الدولية، وبخاصة التي تعمل تحت مظلة الأمم المتحدة، على رفع تقارير دورية عن وضع اللاجئين والنازحين، دون تقديم برامج نوعية لمساعدة هؤلاء اللاجئين في مناطق اللجوء، بالرغم من أنّ الكثير منهم يعانون أشدّ المعاناة، ومع ذلك نجد أنّ ما تقدّمه هذه المنظمات من دعاية إعلامية مقارنةً بما تقدمه على أرض الواقع لا يُقارن بشيء، ولكن الأمر اللافت في هذه التقارير التي تقدمها هو تقليل عدد المسلمين المهجرين إلى تشاد بشكلٍ لافت، فقد رفعت المفوضية السامية للاجئين تقريرها الأخير في (٢٠١٥/٧/٢٦م)، وذكرت أنّ إجمالي المهجرين من إفريقيا الوسطى (٤٦٨,٣٨٦) إلى دول الجوار، كالآتي:

١ - الكاميرون: (٢٤٧,٥٩٦).
٢ - الكونغو الديمقراطية: (٩٩,١٨٢).
٣ - تشاد: (٩٢,٥٣٤).

(١) بانا برس: أعضاء مجلس الأمن يدينون استهداف عناصر حفظ السلام في إفريقيا الوسطى: http://www.panapress.com

٤ – الكونغو الشعبية: (٢٩,٠٧٤).

٥ – بالإضافة إلى: (٣٦٨,٨٥٩) نازحاً في داخل إفريقيا الوسطى[١].

بعدد إجمالي للاجئين والنازحين قدره (٨٣٧,٢٤٥) لاجئاً ونازحاً.

والناظر في هذه الأرقام يرى بشكلٍ لافت تقليل عدد المسلمين المهجّرين إلى تشاد، حيث كان العدد في بداية الأزمة قد وصل إلى قرابة (٤٣٠,٠٠٠) لاجئٍ في تشاد وحدها، وإذا ما استبعدنا المقيمين من هذه النسبة؛ فإنّ العدد الذي ذكرته المفوضية (٩٢,٥٣٤) غير منطقي حسب الأرقام الميدانية للمنظمة الأفروسطية التي تعمل وتنشط وسط هذه المخيمات منذ الوهلة الأولى للأحداث، حيث كانت آخر الإحصائيات لها في ٢٠١٥/٦/٢٥م، في تسع مخيمات رئيسة، وهي: (قوي + ميقاما + سيدو + دنمجة + أمبوكو + دوسي + أمبوكو + أنغونجي + موندو)، بلغت مائتي ألف وخمسة وعشرين لاجئاً: (٢٠٠,٠٢٥)، وأكبر الأعداد في مخيمي «ميقاما» و «دوسي» في منطقتي: (سار، وقوري)، هذا إذا استبعدنا الأعداد الموجودة في (مخيم السلامات) في المنطقة الوسطى الجنوبية من تشاد، حيث كانت هناك بعض الهجرات إلى هذه المنطقة لم تمرّ عبر الممرات الخاصة بالأمم المتحدة، وهذه الأرقام بناءً على ما أورده موظفو وزارة الشؤون الاجتماعية في هذه المخيمات.

ولعل هذا العدد الذي تكرره منظمات الأمم المتحدة في دولة تشاد (٩٢,٥٣٤) يرجع إلى عددٍ من العوامل، من أهمها: أنها اعتبرت المهجّرين غير مواطنين ولا يمكنهم العودة، أي إسقاط حقّ العودة عنهم باعتبارهم غير مواطنين، وهو ما تبدّى بشكلٍ واضح في موضوع الانتخابات، حيث دعت بعض القوى النصرانية إلى استبعاد هؤلاء بحجة أنهم أجانب أو بحجة حدوث تزوير، وهو ما رفضته المحكمة الدستورية في بانقي، حيث أصدرت حكماً بحقّ مشاركة هؤلاء اللاجئين في الانتخابات القادمة في ٢٠١٥/١٠/١٨م[٢].

هناك محاولات لتوطين المهجرين المسلمين في بلدان الجوار، والهدف الأساسي من هذه الحملة هو وقف المدّ الإسلامي إلى جنوب منطقة الغابات الاستوائية في إفريقيا

وهذه الفرضية تسعى إلى توطين المهجرين في بلدان الجوار، وتحقيق الهدف الأساسي من هذه الحملة، وهو وقف المدّ الإسلامي إلى جنوب منطقة الغابات الاستوائية في إفريقيا.

وكذلك فإنَّ العدد المذكور لدولة الكاميرون: (٢٤٧,٥٩٦) مبالغ فيه بشكلٍ كبير، مما يدلّ على السعي إلى توطين ميليشيات «أنتي بلاكا»، حيث إنّ كثيراً من أفراد هذه الميليشيات، وبخاصة الذين ينتمون إلى قبيلة الرئيس السابق «بوزيزي»، يحملون الجنسية الكاميرونية، وهو ما يتطلب توطينهم في إفريقيا الوسطى حتى ترتفع نسبة غير المسلمين وتقلّ نسبة المسلمين قدر المستطاع، وقد تكررت هذه الحالة في التسعينيات من القرن الماضي.

(١) انظر: http://reliefweb.int/report/central-african-republic/unhcr-regional-update-59-central-african-republic-situation-26-june.

(٢) Central African Republic court rules refugees have right to vote: http://www.reuters.com/us-centralafrica-election-/21/07/article/2015 refugees

وتدلّ هـذه الأرقـام، مع الحركـة القوية لمنظمات الأمم المتحدة في مخيمات اللاجئين، خصوصاً في جنوب تشاد، بالتنسيق مع مساعي الكنيسـة وبخاصة الكاثوليكية، على أنها تسعى إلى تحقيق عددٍ من مآربها، ومنها تمييع الهوية الإسلامية للمسـلمين في هذه المخيمات عبر برامج تهتم بنشر مفاهيم وتصورات خاطئة عن الإسلام، خصوصاً فيما يتعلق بالمرأة وحقوقها، وكذلـك بثّ برامج ومشـروعات تحت شـعار: (السـلم الاجتماعي)، ومشروعات (دمج المرأة في الحياة العامة)، وهو ما تلمسناه ميدانياً في بعض المخيمات، حيث يتم جمع الفتيان والفتيات في برامج مرسومة مسبقة لتمييع الهوية، ونشر الرذيلـة، بعد إخفاق التنصيـر العلني في هذه المخيمات.

ولعل التقرير الـذي أصدرته منظمة العفو الدولية: (محو الهويّة لمسلمي إفريقيا الوسطى) – المذكور سـابقاً – يشـير إلى حالات الإكراه الديني عبر التخيير بين العودة الآمنة والتنصير أو القتل، وهي حالات أدت في غرب البلاد إلى صراعات شـهدتها هذه المناطق خلال الأشهر الثلاثة الماضية، وأدت إلى مقتل أحد القساوسة وبعـض رجال الكنيسـة، حيـن حاولوا فرض التنصير بالقوة، وهي محاولات يائسة، حيث إنّ الصراع في إفريقيا الوسطى صراعٌ دينيّ، وليس إثنياً أو جهوياً، حيث كان الاسـتهداف المباشر للمسلمين باعتبار ديانتهم وليس لشيء آخر، لذا فإنّ التنصير المباشـر قـد لا ينجح في الوقت الراهن، ولكن مشاريع العلمنة والفسوق وغيرها قد تنجح وسط الفراغ الذي يعيشه الشباب في المخيمـات المختلفة، وعدم وجود برامج نوعية للمنظمات الإسـلامية تعنى بإعداد الشـباب وتوعيتهم، توعية تُسـهم في الحفاظ على دينهم الـذي فرّوا من أجله إلى هذه الدول، وعانوا من أجله القتل والتشريد.

فعلـى المنظمـات الإسـلامية أن تراجع برامجهـا ومشـروعاتها في هـذه المخيمات، فليسـت القضية فـي الوقت الراهـن الغذاء والكسـاء والعلاج، فهي مرحلة آنية وضرورية، ولكن المرحلة المهمّة اليوم تتمثل في:

– إيجاد برامج نوعية تسهم في العودة الآمنة لهم إلى ديارهم.

– إيجاد مراكز للتدريب والتأهيل والتطوير، ومراكز ثقافية دعوية، وسط هذه المخيمات.

– زيادة أعداد الدعاة المفرغين من الرجال والنساء.

– زيـادة الدعم للمدارس المؤقتة الموجودة حالياً فـي معظم هذه المخيمـات في الداخل ودول الجوار.

– كفالة لطلاب جامعة بانقي الوطنية الذين انقطعوا عن الدراسـة، وبعضهـم في المراحل النهائية، ولا توجد إلا جهات قليلة من المنظمات الإسـلامية تعنـى بكفالتهم لإكمال الدراسـة الجامعية في دول الجـوار، خصوصاً أنَّ كثيراً منهم يدرسون في تخصّصات مهمّة جداً.

– مـلء الفراغ الـذي يعانيه الشـباب في المخيمات ببرامـج تربوية ثابتة، قبل أن ينفجر الوضع في أيـة لحظة، ونجد حالات تمرّد على القيم الإسلامية وسط أبناء المهجّرين، خصوصاً أنّ المأسـاة ما زالت في بدايتها، ويمكن تلافي ما حصل من قبل فـي مخيمات لاجئي دارفور في تشاد.

الانتخابات القادمة والآفاق المستقبلية للمسلمين:

مـن أهم بنود اتفاقية السـلام – المذكورة سـابقاً –، التـي حققت ولو جزءاً يسـيراً من طموحات المسلمين، عقد الانتخابات الرئاسية والتشـريعية في ١٨ أكتوبر ٢٠١٥م، في خطوة

مهمّة في الانتقال السلمي للسلطة في الدولة، واختيار حكومة وطنية بعد عامين من الاحتراب الأهلي، وبشرط أن يكون أحد المسؤولين من الطائفة الأخرى، أي إذا كان الرئيس من النصارى فإنّ رئيس الوزراء يكون من المسلمين[1].

وهذه خطوات كلها لو تمّت وفقاً لما تمّ التوافق عليها لأدت إلى تحقيق السِّلم الاجتماعي المفتقد في البلاد، وتُعدّ خطوات أولية لتحقيق طموحات المسلمين وآمالهم المفتقدة منذ نشأة الدولة الحديثة في إفريقيا الوسطى، ولعل البوادر الحالية تشير إلى ذلك.

لقد أضحى للمسلمين اليوم فرصة لم تكن مواتية من قبل، خصوصاً مع التضحية الكبيرة التي قدّمها المسلمون في هذه الدولة، وهي حاجة المجتمع الدولي، ممثلة في فرنسا وأمريكا، وحاجة المجموعات النصرانية، إلى تحقيق السلام والخروج من الوضع الراهن للأزمة، ومحاولة الخروج الآمن للقوات الفرنسية المتورطة بشكلٍ كبيرٍ في الأزمة، وهذه الفرصة إن لم تُستغل بشكلٍ كبيرٍ لتحقيق ما ورد في تلك الاتفاقية وفي غيرها، نخشى أن تحوّل القوى الغربية هذه الاتفاقية لصالحها وصالح المجموعات النصرانية في البلاد، وهي الطرف الأضعف إلى الآن، وبرز ذلك في الانشقاق الذي حدث بين بعض قادتها، وكذلك بين الحكومة التي تمثلها حكومة كاثرين سامبا، حيث كان واضحاً الانشقاق بين الأطراف المشاركة منها في مفاوضات السلام الأخيرة مع المسلمين في برازافيل.

ولعل توحّد المسلمين في مرشّح أو مرشّحَيْن، والمشاركة الفاعلة في انتخاب شخصيةٍ ذات تأثير قبلي، يسهم بلا شك في تعزيز السِّلم الاجتماعي المأمول، وتحقيق السلام المنشود، وحبذا لو كان من أصول غير مسلمة في هذه المرحلة الحرجة من واقع المسلمين في البلاد.

إنَّ الواقع الإسلامي الإقليمي، ومع وصول الرئيس محمد البخاري، يمكن توظيفه التوظيف الأمثل لإحقاق حقوق المسلمين في إفريقيا الوسطى بعد سنواتٍ من الإقصاء والتهميش، وأن يتضمن ذلك بصورةٍ واضحةٍ: (إعادة المهجّرين إلى بلادهم) من دول الجوار، وإعادة التنمية الشاملة في شمال البلاد على غرار جنوبه، وأن يُقتص من أولئك الذين آذوا المسلمين أيّما إيذاء بما يحقق العدالة والسِّلم الاجتماعي في البلاد.

ومع المتغيرات المختلفة على الصعيد الإقليمي والدولي؛ فإنَّ واقع المسلمين في هذه الدولة مبشّرٌ جدّاً بإذن الله تعالى، إذا وُظّف التوظيف الأمثل، مع الحفاظ على وحدة المسلمين العسكرية والسياسية والدينية، والقضاء على المحاولات الجادة من بعض الأطراف المحلية والإقليمية لتفتيت شملهم ■

---

(١) وقد ترشّح لهذه الانتخابات قرابة (٦٠) مرشحاً، ومن أبرزهم:

١ – دلوقلي: رئيس وزراء سابق في عهد الرئيس باتاسي.

٢ – مرتي زقلي: أيضاً رئيس وزراء سابق.

٣ – كريم ماي كامبو: مسلم من قبيلة الهوسا، ووزير خارجية سابق.

٤ – بلال كوليمبا: مسلم، وهو ابن الرئيس كوليمبا، وقد ترشّح لرئاسة الحكومة الانتقالية مع الرئيسة الحالية كاثرين سامبا، وفازت بفارق صوتين فقط، وتُعد قبيلة الأخ بلال من القبائل الأصيلة والمسالمة في إفريقيا الوسطى، لذا له ولاء حتى من غير المسلمين، وتجلّى ذلك في الانتخابات التي أجريت مؤخراً.

٥ – الأمين ميشيل: مسلم من المهتدين الجدد، ومن الشخصيات المؤثرة جداً في إفريقيا الوسطى، حيث ينحدر من القبائل المؤثرة والمهمّة في البلاد.

تجربة مركز يوسف الخليفة في كتابة اللغات الإفريقية

البروفيسور كمال جاه الله

أستاذ اللغويّات بكلية الآداب – جامعة إفريقيا العالمية – السودان

شهد عام ١٩٩٢م توقيعَ اتفاق تعاونٍ بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) وجامعة إفريقيا العالمية، تضمّن التعاون في مشروع (الحرف القرآني) الذي تكتب به الشعوب الإسلامية لغاتها، وبعد عشر سنوات من ذلك الاتفاق، أي في العام ٢٠٠٢م، أنشأت جامعة إفريقيا العالمية وحدة متخصّصة في كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي، وأمدتها بالتقنيات اللازمة والمتخصّصين في علم الأصوات والتربية والحَوْسبة، وكان من أوائل برامجها: حَوْسبة الحرف العربي الذي تُكتب به اللغات الإفريقية.

وكان إنشـــاءُ الوحدة طفرةً تقنيةً تاريخيةً في مجال كتابة لغات المســـلمين بالحرف العربي في قارة إفريقيا.

وبدأت الوحدة تتعاون مع الإيسيسكو في تنفيذ عددٍ من البرامج، لتدريـــب القيادات التربوية في مختلف بلدان إفريقيا على اســـتخدام الحاســـوب في كتابة لغاتهم بالحـــرف العربي، وعقدت لذلك عدة ورشات تدريبية في هذه الجامعة، وفي غرب إفريقيا وشرقها، كما تعاونت الوحدة مع الإيسيسكو في ترجمة عددٍ من كتب الثقافة الإســـلامية إلى أكثر من عشـــر لغات إفريقية باســـتخدام الحرف العربي المحَوْسب، واعتبرت الإيسيسكو: (جامعة إفريقيا العالمية) الذراع المنفّذ لبرامجها في هذا المجال.

ونتيجة للخبرة العلمية والعملية في كتابة اللغات بالحـــرف العربي، التي بدأت بمادة تدرّس في عام ١٩٨٥م، مروراً بإنشاء الوحدة المتخصّصة في عام ٢٠٠٢م، وبنـــاءً على التوصية التي قدّمتها للجامعة اللجنة الدائمة لتقييم مشـــروع الحـــرف العربي (التي ضمّت الإيسيسكو والبنك الإسلامي للتنمية في جدّة) بترفيع هذه الوحدة إلى مركز، خصّصت الجامعة قطعة أرض ليُشـــاد عليها المركز، وقرّر مجلس مدير الجامعة أن يكون هذا المركز باسم: (يوســـف الخليفة أبوبكر) الذي ظـــلّ يرعى هذا المشروع منذ الخمســـينيات من القرن العشرين، وأســـهم في كتابة خمسٍ من لغات جنوب السودان بالحرف العربي؛ بدلاً عن الحرف اللاتيني.

وقد وافـــق مجلس أمناء الجامعـــة على هذه التوصيـــة، وأصبح اســـم المركز: (مركز يوســـف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربي).

وقد أجيز ذلك الترفيع من وحدة إلى مركز في عام ٢٠١١م، وتمّ افتتاح مباني المركز، الذي تكفلت به رئاسة الجمهورية في السودان، في احتفالٍ كبيرٍ إبان انعقاد الدورة الحادية والعشرين لمجلس أمناء

الجامعة، التي انعقدت في ٨ يناير ٢٠١٥م.

وبعد ترفيع الوحدة إلى مركز في عام ٢٠١١م، تمّ النصّ على الأهداف الآتية:

١ - إعـــداد البحـــوث والدراســـات الصوتية والصرفيـــة والنحوية والدلالية لأغراض مشـــروع كتابة اللغات بالحرف العربي.

٢ - اختيار الرموز الكتابية المناســـبة لكتابة اللغات بالحرف العربي.

٣ - حَوْسبة كتابة اللغات بالحرف العربي.

٤ - إعادة كتابة تراث الشـــعوب الإســـلامية المخطوط بالحرف العربي، وطباعته، وحفظه في الحاسوب، وترجمته، وتحقيقه، ثم نشره.

٥ - إعـــداد المواد التعليمية بلغات الشـــعوب الإسلامية.

٦ - تدريب القيـــادات التربويـــة على إعداد المواد التعليمية للكبار والصغار.

٧ - ترجمـــة التراث والثقافة الإســـلامية إلى اللغات الإفريقية المختلفة.

٨ - عمل قاعدة بيانات للمعلومات في شـــتّى مجالات الحرف العربي، وجعلها متاحة للجميع عن

طريق الموقع الإلكتروني وغيره.

٩ – عقد النـــدوات والمؤتمرات وورش العمل في مجال مهامّ المركز.

١٠ – التعاون مع المؤسسات المعنية بمشروع الحرف القرآني لبلوغ المقاصد المشتركة.

استطاعت وحدة كتابة لغات الشعوب بالحرف القرآنـــي بالتعاون مع كلية دراســـات الحاســـوب بجامعة إفريقيا العالمية، فـــي الفترة من ٢٠٠٢م – ٢٠٠٥م، من حَوْســـبة عددٍ مـــن الرموز الكتابية لأصوات عـــددٍ من اللغات الإفريقيـــة، وذلك بعد جهودٍ ومحاولاتٍ استمرت أكثر من سنتين.

لم يكـــن مســـتغرباً أن تواجه كتابـــة اللغات الإفريقيـــة بالحـــرف العربي إشـــكاليات عديدة، خصوصاً فـــي الجانب التقني، لم يكن مســـتغرباً ذلك واللغات الإفريقية، كما يعرف المختصون في اللغويات الإفريقية، تتميز أصواتها عن لغات العالم الأخرى.

يمكن تلخيص المشكلات التي تواجه حَوْسبة الكتابة بالحرف العربي في ثلاث مشكلات أساسية، هي:

١ – لم يكن مناســـباً أن تُكتب أكثر من عشرين لغة بلوحة مفاتيح واحـــدة، حيث ظهرت صعوبات بسبب ترتيب الحروف الذي لا يتناسب معظمها.

٢ – بعض حروف الإيسيســـكو ليست مسجّلة في المخطط العالمي للحروف (يونيكود)، ما يعني أنه لا يمكن تبادلها في برامج الحاسوب والإنترنت.

٣ – لم تصمّـــم لوحات مفاتيح خاصّة باللغات الإفريقية من قبل.

تقف منجـــزات الوحدة، ومن ثمّ المركز، دليلاً واضحـــاً على عِظَم الجهود المبذولة، في الجوانب المختلفة، الفنية والتنسيقية والإدارية والمالية.

ولعلّ من أهم أعمال المركز (والوحدة سابقاً) ومنجزاته ما يأتي:

١ – مشـــاركة المركز الإيسيســـكو في معظم

أنشطتها في مشروع الحرف القرآني، وعلى رأس ذلـــك تدريب القيادات التربوية فـــي إفريقيا على كتابة لغاتها بالحرف القرآني باستخدام الحاسوب.

٢ – إنشاء كرسي الحرف القرآني.

٣ – المشـــاركات الخارجية: شـــارك المركز في معظم أنشـــطة الإيسيسكو في إفريقيا وآسيا، بالتأطير والتدريب والإعداد، وذلك في ورش عُقدت في نيجيريا ويوغندا والنيجر وكينيا وماليزيا.

٤ – إنتاج برنامج حاسوبيّ لنقل النصوص من الحرف اللاتينيّ إلى الحرف العربيّ آلياً.

٥ – منح الدبلوم العاليّ والماجستير في كتابة اللغات بالحرف العربي.

٦ – إنشاء مراكز الحرف القرآني في الجامعات الأخرى.

إصدارات المركز في الفترة من ٢٠٠٤م – ٢٠١٤م:

أما منجزات المركز فـــي مجال الإصدارات، في الفتـــرة مـــن ٢٠٠٤م – ٢٠١٤م، والتي طُبعت بدعمٍ من الإيسيسكو والمؤسسات المتعاونة معها؛ فيكمن استعراضها كما يأتي:

أولاً: كتب الثقافة الإسلامية المترجمة إلى اللغات المختلفة، وغيرها:

– الجزء الثلاثون من القرآن الكريم: (١٠ لغات،

هي: الهوسا، والفولاني، والولوف، والماندينكو، والسواحيلية، والصومالية، والصوصو، والزرما - سنغاي، واللوغندا، واليوروبا).

- سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ لمؤلفه الشيخ محمد قطب: (٦ لغات، هي: الهوسا، والفولاني، واليوروبا، والولوف، والماندينكو، والسواحيلية).

- كتاب تعليم الصلاة؛ للشيخ محمد محمود الصوّاف - الطبعة الثانية: (٥ لغات، هي: الهوسا، والفولاني، والولوف، والسواحيلية، والماندينكو).

- كتاب الأخضريّ في الفقه المالكي؛ لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن الأخضري: (٦ لغات، هي: الهوسا، والفولاني، واليوروبا، والماندينكو، والصوصو، والولوف).

ثانياً: كتب تعليمية أُعدت بلغاتٍ إفريقية مختلفة:

- كتابٌ (تعليم القراءة والكتابة) بلغة الهوسا.

- كتاب (تعليم القراءة والكتابة) باللغة الفولانية.

- كتاب (تعليم القراءة والكتابة) بلغة الولوف.

- كتاب (تعليم القراءة والكتابة) بلغة البجا.

- كتاب (تعليم القراءة والكتابة) بلغة بني عامر.

وغيرها من الإصدارات المهمّة في هذا المجال.

إضافة إلى ذلك؛ فإنّ للمركز مشروعات مستمرة، تتمثّل فيما يأتي:

١ - إعداد كتب تعليم الكتابة والقراءة باللغات الإفريقية بالحرف العربي.

٢ - إعادة كتابة المخطوطات، وحفظها إلكترونياً، وتحقيقها، وترجمتها.

٣ - تدريب القيادات التربوية الإفريقية على كتابة لغاتهم بالحرف العربي، وإعداد دورات تكوين المدربين.

٤ - ترجمة كتب في الثقافة الإسلامية إلى اللغات الإفريقية.

٥ - طباعة معاجم لغات المسلمين بالحرف العربي.

٦ - تطوير تقنيات الحروف والرموز الجديدة التي تُكتب بها لغات المسلمين.

٧ - مشروع كرسي الحرف القرآني (المشروعات المحلية والإقليمية).

ولكي تكتمل صورة منجزات (مركز يوسف الخليفة) في مجال كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي؛ نرى أنه من الأهمية بمكانٍ عرض نموذجين من لغات إفريقية مكتوبة بالحرف العربي:

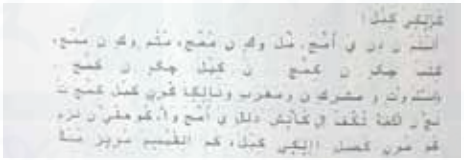

شكل (١) نموذج من كتابة اللغة السواحيلية بالحرف العربي:

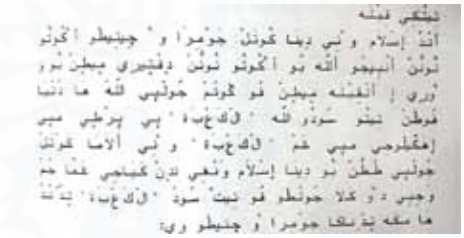

شكل (٢) نموذج من كتابة اللغة الفولانية بالحرف العربي:

الخطط المستقبلية للمركز:

أما في إطار التخطيط لمستقبل (مركز يوسف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربي)؛ فقد فتمّ الاتفاق بين المركز والإيسيسكو على التعاون في تنفيذ خطتين:

الأولى: خطة ثلاثية (٢٠١٥م - ٢٠١٧م).

الثانية: خطة خمسية (٢٠١٥م - ٢٠٢٠م) ■

من الحاكم القوي إلى المؤسسات القوية..

تقييم انتقال إفريقيا إلى التنافسية السياسية

صرّح الرئيس الأمريكي باراك أوباما أمام الاتحاد الإفريقي، في أثناء زيارته الأخيرة لإفريقيا، أنّ هناك «الكثير الذي أود فعله لتظلّ أمريكا فاعلة في الملف الإفريقي، ولكن القانون هو القانون، ولا أحد فوق القانون، حتى الرئيس».

فيرا سونجوي - بروكنجز [1]

ترجمة: قراءات إفريقية

وهذه المشـــاعر التي أفصح عنها الرئيس أوباما، في خطبته أمام الاتحـــاد الإفريقي في يوليو الماضي، تلخّص رســـالة أوباما لإفريقيا عندما يتعلق الأمـــر بالحاجة إلى مؤسســـاتٍ قوية، ففي خطبته ركّـــز على أنّ الرئيس الأول للولايـــات المتحدة، جورج واشـــنطن (١٧٨٩م - ١٧٩٧م)، رفـــض أن يترشـــح لفترة رئاســـة ثالثة عـــام ١٧٩٨م في الســـنوات الأولى للجمهورية الناشئة، بالرغم من الشعبية التي كان يحظى بها، وفي المقابل قرّر التنحي للتأكيد على الانتقال السلمي، وعلى المبادئ الديمقراطية التي آمن بها، كما فعل نيلسون مانديلا الشيء نفسه في جنوب إفريقيا.

ولكن في عام ١٩٤٠م، وفي خطوة غير مســـبوقة في التاريخ الأمريكي، سعى الرئيس فرانكلين روزفلت، وبعدما يقرب من قرن ونصف القرن من حكم جورج واشنطن، إلى الترشح لولاية ثالثة ورابعة، وفاز في الانتخابات، قد يقول البعض إنّ تلك الفترة كانت غير عادية، حيث بدأت الحرب العالمية الثانيـــة، ولكن قبل ولادة الرئيس الرابع والأربعين للولايـــات المتحدة، وقبـــل أن تحصل العديـــد من الدول الإفريقية على استقلالها، تحرك الكونجرس الأمريكي عام ١٩٥١م للتصديق على تعديلٍ في الدستور الأمريكي ليقصر الرئاسة رســـمياً على فترتين فقط، وقد مُرّر القانون عام ١٩٤٧م، وصُدّق عليه بعد ذلك بأربع سنوات.

ولذلـــك؛ فإنّ الأمر اســـتغرق قرناً ونصـــف القرن، من جورج واشـــنطن إلى هاري ترومـــان، من ١٧٩٧م إلى

(١) From strong men to strong institutions: An assessment of Africa's transition towards more political contestability, Vera Songwe, Nonresident Senior Fellow, Global Economy and Development, Africa Growth Initiative, August 4, 2015, on: http://www.brookings.04-/08/edu/blogs/africa-in-focus/posts/2015 africa-transitions-songwe

١٩٥١م، لتقوية هذه المؤسسات واستكمالها، فحتى بناء المؤسسات الأمريكية استغرق وقتاً، ولكن بمجرد بنائها ظلت مؤسسات محترمة؛ فلم يجرؤ أحدٌ منذ ذلك الحين على تغيير التعديل الثاني والعشرين من الدستور، حتى في الوقت الذي سعت فيه الولايات المتحدة إلى بناء اتحادٍ فيدرالي أكثر تماسكاً.

التجارب الإفريقية الأولى في التمثيل السياسي: خطوات على استحياء:

إنّ مفهوم التمثيل الانتخابي (الحكومة التمثيلية) بدأت في القارة مع الاستقلال، منذ خمسينيات القرن الماضي في بعض الدول، وفي الستينيات لمعظم الدول.

ويُظهر (شكل ١) من الخمسينيات وحتى الثمانينيات أنّ عدد الانتخابات اللاتنافسية (حزب واحد) قد زادت بصورة كبيرة، فقد انتقلت القارة من خمسة انتخابات لاتنافسية في الخمسينيات إلى ٣٧ انتخاباً لاتنافسياً في الثمانينيات.

وقد وصف البعض تلك الحقبة بأنها «سنوات التعلم»؛ حيث كانت الدول تجرّب مفاهيم الصناديق وأوراق الاقتراع وقواعد التمثيل الانتخابي.

وفي نهاية ١٩٨٠م كان لدى كلّ الدول تقريباً انتخابات منظمة لثلاث مرات على الأقل، لذا كانت اللحظة مواتية لتمثيلٍ انتخابيٍّ أكثر شمولاً وتنافسية، وقد بدأ المواطنون في طلب المزيد من الانتخابات التمثيلية، ولكن ظلّ القادة مترددين في معظمهم على الانفتاح السياسي، لذا بدأت القلاقل تضرب البلاد.

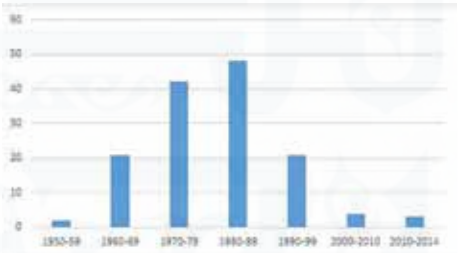

(شكل ١): عدد انتخابات الحزب الواحد في إفريقيا جنوب الصحراء طبقاً للعقد[١]

Source: African Leadership Transitions (١) Tracker, Brookings Africa Growth Initiative, on: http://www.brookings.edu/research/interactives/2015/africa-leadership-transitions

من انتخابات لاتنافسية إلى الانقلابات: انتقال متعرج:

إنّ الانتقال من انتخابات لاتنافسية إلى انتخابات تنافسية لم يكن انتقالاً سلمياً؛ مع وجود تدخلات عسكرية عديدة حول القارة (انظر شكل٢).

وقد شهد العقد، من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٩م، أكثر الانقلابات في تاريخ إفريقيا، وانتقال للحكومات أيضاً، ولكن في بيئة غير تنافسية. وفي نهاية التسعينيات شهدت العديد من الدول تكاليف الانقلابات العسكرية، وكان هناك رفضٌ متزايدٌ للانقلابات العسكرية وظهورٌ لأحزاب المعارضة عبر القارة، وهذه التجربة ساعدت الانتقال الإفريقي من الانتخابات اللاتنافسية إلى الانتخابات التنافسية.

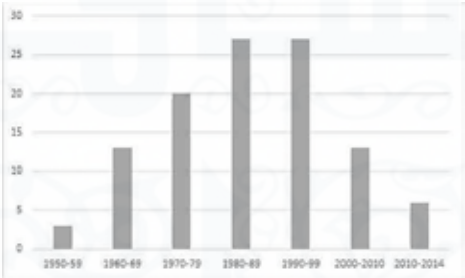

(شكل ٢): عدد الانقلابات العسكرية في إفريقيا جنوب الصحراء طبقاً للعقد[٢]

شيوع الانتخابات التعددية مع عدم الانتقال السياسي الشامل:

بحلول التسعينيات اتجه الانتقال السياسي في الدول الإفريقية من شيوع الانتخابات غير التنافسية إلى انتخابات تنافسية، فقد ازداد عدد الانتخابات التنافسية

Source: African Leadership Transitions (٢) Tracker, Brookings Africa Growth Initiative, on: http://www.brookings.edu/research/interactives/2015/africa-leadership-transitions

بصورةٍ كبيرةٍ، من أقلّ من عشرين في الثمانينيات إلى ٧٢ في التسعينيات، مع دخول نظام تقييد المدد الرئاسية من سبع سنوات إلى خمس سنوات أو أقل، كما تبنّت الدول دساتير جديدة، وقد تعزّز هذا الاتجاه بنهاية العقد الماضي، وشاع نمط الانتخابات التنافسية والتعددية.

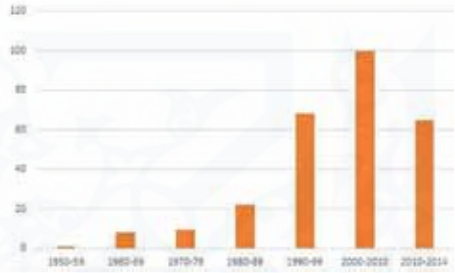

(شكل ٣) عدد الانتخابات التعددية/التنافسية في إفريقيا جنوب الصحراء طبقاً للعقد[١]

من الانتخابات التنافسية إلى الانتقال القيادي: بدء عملية بناء المؤسسات:

أصبحت إفريقيا على مفترق طرقٍ جديدٍ في عملية بناء المؤسسات، فبينما قلّ عدد الانتخابات اللاتنافسية والانقلابات؛ لم تزدد في المقابل عدد الانتخابات التنافسية التي تقود إلى انتقالٍ في القيادة، كما شهدت عدة دول انتقالاً قيادياً واحداً فقط منذ استقلالها، ولم يكن أيٌّ منها تنافسياً.

وبالإضافة إلى طول بقاء العديد من القادة في الحكم كانت هناك مخاوف متزايدة من حدوث انتكاسات، فقد انتُخب هؤلاء القادة عبر عملية تنافسية مفتوحة بدستورٍ واضحٍ وشفاف، ولكن سرعان ما بدأت تلك القيادات في التساؤل حول جدوى قِصَر المدد الرئاسية؛ فانتشرت موجة من المبادرات الرئاسية عبر القارة تحاول أن تغيّر الدساتير؛ مما أدى إلى عدم استقرارٍ في تلك الدول، بل انتكاسة ديمقراطية؛ ففي بوركينافاسو وبوروندي قادت تلك المحاولات إلى قلاقل مدنية ومصرع أشخاص، وقد أشار أوباما إلى تلك المبادرات بقوله: «أعتقد أنني إذا ترشحت مرة ثانية للرئاسة فيمكنني الفوز، لكنني لا أستطيع فعل ذلك»[٢].

ففي العام المقبل ستشهد إفريقيا انتخابات في: جمهورية الكونغو الديمقراطية وأوغندا وجمهورية الكونغو ورواندا والجابون وتشاد وغينيا الاستوائية، وكلّ تلك الدول أنهى رؤساؤها فتراتهم الرئاسية المحددة، وسوف يتشكل مستقبل القارة طبقاً لما سيحدث في تلك الدول، بالإضافة إلى دولٍ أخرى ستخوض انتخابات قبل نهاية ٢٠٢٠م، وستكون قد انتهت فترات رئاسة القادة الحاليين أيضاً.

ملاحظات استشرافية:

أولاً: بينما انتقلت الكثير من الدول من نظام الحزب الواحد إلى انتخاباتٍ تنافسيةٍ بصورةٍ سلمية؛ لا يزال هناك الكثير من أصحاب المناصب الحالية يسيطرون ويفوزون في الانتخابات، وهذا الاتجاه يفيد أنّ العملية التنافسية لم تنضج بصورةٍ كافية لإفراز النتائج التي من المفترض أن تفرزها انتخابات تنافسية.

ثانياً: حتى الدول التي نجحت في تغيير القيادة تمّ إجهاض ثمرة تجربتها؛ مثل نيجيريا وجزر القمر وليبيا وبنين وغانا والصومال، فقد حصلت تلك الدول على انتقالٍ في القيادة، ولكنها لم تكن عبر عملية تنافسية، وكان معظمها عن طريق استيلاء للجيش على السلطة، بل الحقيقة أنّ الدول التي حظيت بأعلى انتقال للسلطة كان ذلك عن طريق انقلابات، فنيجيريا تتصدر عمليات انتقال السلطة بـ ١٦ حالة، منهم ٦ انقلابات، يتبعها دول أخرى مثل جزر القمر بخمسة انقلابات و ١٢ انتقال للقيادة.

والأهم أنّ غانا ونيجيريا انتقلتا من انقلابات إلى

(١) Source: African Leadership Transitions Tracker, Brookings Africa Growth Initiative, on: http://www.brookings.edu/research/interactives/2015/africa-leadership-transitions

(٢) خطاب أوباما، نقلاً عن البيت الأبيض، على الرابط التالي: https://www.whitehouse.gov/the-press-remarks-president-obama-/28/07/office/2015 people-africa

انتخابات تنافسية ولم تتنكسا إلى الانقلابات مرة ثانية، بل استمرتا في إجادة العملية التنافسية، بل إنّ هاتين الدولتين مات لهما رئيسان في أثناء المنصب، ولكن التزاماً بالعملية التنافسية ومؤسساتها تمّ استعادة العملية التنافسية أو الحفاظ عليها في الحالتين.

وبالرغم من تلك التطورات؛ فإنّ العملية التنافسية السلمية لا تزال غريبة على القارة فيما يتعلق بالانتقال القيادي، ولا يزال العكس هو السائد في إفريقيا.

وثالثاً: إنّ الدول التي خاضت انتقالاً تنافسياً مباشرة بعد استقلالها، مثل موريشيوس وزامبيا وبوتسوانا، نجحت في الحفاظ على الزخم، ولم تنزلق إلى الانقلابات أو عمليات أخرى من الانقطاع في القيادة، في حين أنّ دولاً مثل ليبيريا أجرت تنافسات صورية أُعيد فيها انتخاب القادة أنفسهم؛ لينتهي الأمر بانقلاب؛ قبل أن تستقر مرة ثانية في عملية انتخابية تنافسية.

رابعاً: بالنظر إلى بقية العقد الحالي؛ هناك علاماتٌ غير مبشّرة بأنّ المواطنين في الدول التي لم تخض عملية تنافسية حقيقية سيكونون بمثابة الأرض الخصبة لثورات شعبية وحالات من عدم الاستقرار، بما في ذلك للأسف عمليات إرهابية، وكما أشار الرئيس أوباما مؤخراً: «إذا ما ضحينا بالحرية باسم الأمن؛ فإننا نخاطر بفقدان كليهما»، فإنّ هذا الأمر ينطبق بشدة على الدول التي بها عددٌ أكبر من الشباب وبنسب تعليم منخفضة مع ارتفاع في البطالة.

والقارة في المجمل قفزت باتجاه عملية انتخابية تنافسية وتمثيلية، وما استغرقت الولايات المتحدة في إنجازه قرناً ونصف القرن أنجزته بعض الدول الإفريقية في أقلّ من ٤٠ عاماً، وقد كانت تلك العملية في بعض الأحيان مضنية وصعبة، ولا يزال هناك انتكاساتٌ في بعض البلدان، وجمودٌ في البعض الآخر، وعلى الرغم من ذلك ما يتشكّل بوضوح هو خطوات راسخة باتجاه المزيد من الانتخابات التنافسية والانتقال القيادي.

والأهم في غضون السنوات الخمس المقبلة هو أنّ دور المواطنين ودور الاتحاد الإفريقي والقيادة التي أظهرتها دولٌ أخرى، مثل الولايات المتحدة، ستظلّ كلها عوامل حاسمة في تحديد كيفية تشكّل مستقبل القيادة الإفريقية وكتابة التاريخ، فهل سينجح الاتحاد الإفريقي في تبنّي تشريعات تجعل تحديد فترات الرئاسة ملزمة؟ هل تدعم الدول الغربية المجتمعات المدنية من أجل عزل القادة الذين يحاولون التلاعب في دساتيرهم؟ هل سيتخذ الرئيس أوباما خطوات إيجابية لضمان تحقيق أحلام العديد من الشباب الإفريقي - الذي استمع إليه - وذلك مع مغيب شمس هذا العقد؟

وفي الوقت الذي نحتفي فيه بدولٍ، مثل موريشيوس وبوتسوانا والرأس الأخضر وبنين وزامبيا وكينيا وغانا، ودول أخرى كثيرة، فإننا لا نستطيع أن نغضّ النظر عن حقيقة أنه لا يزال هناك الكثير مما يجب فعله لتحسين مؤسسات التمثيل الديمقراطي في تلك البلدان، وفي القارة ككل.

ومن أجل حماية تلك المؤسسات وتقويتها؛ فهناك عددٌ من التحديات التي يجب التغلب عليها، مثل التعامل مع تكلفة الانتخابات التنافسية، وتنمية الشفافية، ومعايير الانتخابات التي تستوعب جميع أطياف المعادلة السياسية، وتوضيح العملية السياسية (في الكثير من الدول لا يتم تحديد يوم الانتخابات في الدستور)، وإتقان أنظمة التصويت، وبناء لجانٍ انتخابية ذات مصداقية، والأهم من كلّ ذلك هو حمايةٍ إرادة الشعوب أولاً من أجل ممارسة واجباتهم المدنية للمشاركة في التنافس، وثانياً لقبول نتائج تلك الانتخابات.

وفي هذا الصدد؛ تستطيع إفريقيا أن تتعلم من تجاربها، ولكن أيضاً من تجارب الدول الأخرى التي تستطيع أن تقدّم حلولاً أفضل لتوظيفها في العالم كله.

إنّ الاتحاد الإفريقي، مثله مثل الكونجرس الأمريكي عام ١٩٤٧م، يستطيع أن يواجه تلك التحديات، وبوقوف شباب إفريقيا إلى جانبه؛ فإنّ قارةً جديدةً ستظهر في نهاية الطريق، بقيادات مختارة شعبياً، وبكرامة وبسلمية تدعمها مؤسساتٌ قوية ■

Central Africa Republic and the achievement of social peace

Dr. Mohammed Al-Bashir Ahmed Musa
aresearcher in African and Legal Studies, Chad

Since the occurrence of changes on the military situation in the conflict of Central Africa republic ,called some leaders of "silika" to separation, Christian militias" anti- Balaka" was in bad position unenviable, especially most of the crimes committed at the hands of these militias , African forces and forces loyal to her, recorded by international organizations, classified as crimes against humanity, and became for the first time in the history of this country was abused against Muslims in this time will not be done before in the eighties of the last century when they were killing and escape of thousands Muslims from their villages to southern of Chad state specifically in the "Gore" area that they could not go back to their home villages up to now.

realized the Western powers that have contributed to the outbreak of the last war to achieve the economic goals at the current stage requires the achievement of peace in the country, so it was pressure on influential in the country and of militia forces "anti- Blaka" Christianity, and the movement of "Silika"to hold peace negotiations, begun in Brazzaville 212014/7 / 23-, passing through Nairobi and in closed meetings under the auspices of the United States of America, France and the Catholic Church and some other , then it was end those negotiations in Brazzaville again, where the agreement was signed in the presence of president "Catherine Samba".

this agreement was similar to was presented by the old government, "silika" Upon arrival at the helm, but not approved by the previous government headed by "Bozizi", as well as former colonial ruler, which led to the last war, however, and after more than a year killed nearly ten thousand person from both sides, and displacement about 400,000 thousand Muslims to neighboring countries, here all sides agree to the signing of this memorandum, which was officially announced at a Bangui forum for peace, which was held in the period: (42015 / 7/ 11-) ■

African languages in informatics technology

Muhammad Tafsir Balde
Ph.D. Student and Researcher in African Studies , Guinee Conakry

Globalization changes the means of life incomparably. With its informatics revolution in all domains of activities, a new technology now allows for recording the world's heritages and thus preserving them from being lost and extinct. This technology also furnishes a fertile ground to preserve and develop the endangered languages, hence the main role of technological knowledge in sustainable development.

One of the huge projects of this new technology is a Google project called *Endangered Languages*. It aims to record 3500 languages at risk of extinction in the next hundred years. Another project is the UNESCO *Memory of the World Program*. It aims to a study and measure multilingualism on the internet, and discuss ways to use all languages in public services websites, especially the minorities' languages.

These digital projects emerged after field studies confirmed that one language disappears almost every forty days. These include African and Asian languages.

This issue is important as far as the future of African linguistic heritage and its continuous evaluation are concerned. Hence, this contribution that investigates the technological growth rate of African languages. In addition, it highlights the scientific efforts that support the African languages content in modern technology, with a focus on computer programs, smart phones, Internet services and the likes ■

Eid al-Adha (The Sacrifice Feast) in African Society:

Civilizationally Significant Manifestations

Dr. Adam Bemba - Academy
of Islamic Studies, University of Malaya, Malaysia.

This paper reviews some general manifestations of Eid al-Adha in the African society. A review of some habits associated with Eid al-Adha in Africa reveals that this ritual contributed significantly to the development of many cultural terms in African communities. One example is the local names of Eid al-Adha which demonstrate its cultural implications on the society. Another example is the personal names of individuals, as Africans name their newborns "Eid" if they are born during this feast. Also, Eid al-Adha is a direct cause of developing many customs and traditions of receiving the holiday, and the popular arts that originated from or evolved around the Rite of Sacrifice, such as songs, poems, stories, dances, and social rituals. In short, Eid al-Adha has major cultural manifestations and effects ■

Saudi Arabia's Role in Developing African Economies: The Saudi Fund for Development as a model

D. jafar Henni Mohamed
Assistant Professor, Economic Depatement, University of Chlef, Algeria

Saudi Arabia's excellent relations with most African countries are illustrated clearly by the high level of financial activity of the Saudi Fund for Development – an official aid channel for economic and social development.

This study aims to highlight and measure Saudi Arabia's role and contribution to developing African countries through certain indicators, including bilateral cooperation agreements, multilateral development assistance, foreign direct investments, and Saudi projects supporting human development in African countries.

The study discusses various forms of Saudi support, including grants for implementing development projects, urgent relief assistance (or disaster mitigation), and soft loans to support development in African countries. In addition, Saudi Arabia played a leading role in providing financial assistance to support African development through a policy aiming at developing political, economic and cultural relations with African countries, and strengthening cooperation in various fields through the Saudi Fund for Development Assistance, which is a main aid channel in the Kingdom. Its assistance covers areas of health, education, agricultural development, energy, infrastructure, and transport ■

Mines in Africa between Security Challenges and Development Constraints

Dr. Sobhy Ramadan Farag Saad
Lecturer, Faculty of Arts, Minofia University, Egypt

Africa has a large proportion of landmines in the world, helped by the large number of wars and conflicts, old and contemporary, on the continent, in addition to the ease and affordability of mine manufacturing.

Mines are dangerous because they cause a loss of humans (both the dead and the injured) and biodiversity, and prevent access to land and reduce its productivity.

The number of mines in Africa at the beginning of current century was about 44.9 million. The states that suffered most were Egypt (23 million mines), Angola (15 million mines) and Mozambique (3 million mines).

Forty nine member states of the African Union joined the Mine Ban Treaty (Ottawa, 1997), along with three others (i.e. Egypt, Libya and Somalia), in addition to the Western Sahara. The Convention obliges States Parties to destroy their stockpiled mines in four years, and remove all anti-personnel landmines in their territories in ten years.

Between 1999 and 2008, the number of mine victims in Africa amounted to 16,390 (22.3% of mine victims in the world), and in Middle East and North Africa 8,558 (11.6%). Angola topped the African countries (2,664 victims), followed by Somalia (2,354 victims). Space spatial mine accidents increased in 2012 and hit 18 African countries, with Sudan (109 victims) in the forefront.

The total international contributions to assist mine-affected countries in 2012 were nearly $497 million, with African countries receiving nearly $142 million.

Mine combating in Africa and the world requires raising awareness of the dangers of mines, more international cooperation, and inventing new untraditional methods of landmine clearance operations ■

Reality of Organized Crime in the Sahel

Nawal Boumelik
MA, Political Science, University of Sidi Bel Abbes, Algeria

Organized crime has become a great danger in the African Sahel countries, especially in the light of its sophisticated, complex and interdependent causes, forms of social life, and economic relations. This paper looks at the regional and international dimensions of organized crime, i.e. beyond the national borders of each State. It defines organized crime as perpetrated by group members in the realization of the objectives of a group that works within existing structures and with the commitment of its members, in violation of the rules of the WTO. The development of transportation and communication has undoubtedly helped the spread of this phenomenon. Not far from the Sahel, the African coast was also hit by organized crime which jumped to the forefront following the increase of security risks produced by global political, economic and social, local conditions. Significant variables in this regard include the ethnic and tribal nature of this region's societies which face very acute crises in the social integration process. This complex composition is difficult to control and monitor. Another cause is the lust for wealth, which led to rebellion, political violence, and political and economic marginalization which produces specific social classes. These conditions led to the easy transformation of the African Sahel into a cradle for the emergence of criminal organizations ■

Political Role of the Judiciary in Democratization and Its Limits in African Political Systems

Elsayed Ali Abo-Farha

Assistant Lecturer, Faculty of Economic Studies and Political Science, Beni Suef University, Egypt

The political role of the judiciary is relatively a new subject of study in political science. This role varies according to many factors, such as the political system, the government, the relations between the political and judicial institutions, and the judiciary institution itself.

Accordingly, this study aims to answer the following questions:

I. What is the political role of the judiciary in contemporary political systems?

II. What are the forms and limits of this role in Africa, with emphasis on South Africa?

To answer these questions, the study presents different definitions and interpretations of the political role of the judiciary, or the involvement of the judiciary in the political process in comparative political systems. It also discusses causes of this political role, then focuses the analysis on the role of the judiciary in the process of democratization and constitution writing in South Africa.

The study concludes that the political role of the judiciary is a new important role and has clear impacts on the interactions of the South African political system ■

Belgian colonialism in Africa: Causes and Consequences

Abeer Shlaighem
Lecturer, Al-Afroon University, Blida, Algeria

The African continent was the object of European expansionist movements, aiming at exploiting the wealth and resources that abound in the continent to serve the interests of European powers. Belgium was an expansionist state that rushed to compete with other such states on the African lands, pursuing a new form of colonialism through economic companies and investments instead of raw military force.

This study sheds light on the subject of Belgian colonialism in Africa. It highlights the role of King Leopold II and his interest in Africa generally and the Congo in particular, as well as the activities of the famous explorer Stanley in the area. It also underlines the Conference of Berlin, which divided "the Africa Cake" among the European colonial powers.

Then, the study traces the evolution of Congo from its annexation to Belgium as a new colony, to the roles of the National Movement and the most important political parties, which sought independence from Belgium. The study attempts to explain the bulk of the problems left behind by Belgian colonialism in the Congo, including the attempted secession of some regions; the repeated crises, political unrests, and anti-government rebellions; and the dramatic economic downturn. The findings are discussed in the conclusion.

Keywords: colonialism, Africa, Belgium, European powers, resources, King Leopold II ■

African pilgrimage trips

Dr. Amal Saleh Al-Shamrani
Assistant Professor, Satam Bin Abdul Aziz University , Saudi Arabia

A man or woman who receives the title "Pilgrim" (which literally means "needy" is highly valued in Africa. This title becomes his or her nickname after performing pilgrimage in which the holy lands in Mecca and Medina are visited. The titleholder carries its aura and relevance, and is cherished among family members and friends.

Africans have been enthusiastic to engage in Islam and perform pilgrimage (or Hajj). Their ultimate and strongest goal was to achieve the effects of pilgrimage. The pilgrims are motivated by their desire to go to the House of God, the place of worship, reward, security and safety.

Pilgrimage had strong impacts: it was a means of calling for Islam and educating pilgrims of Western Sudan. They learned Islamic scholarship at various events on their routes in Islamic countries. After the end of pilgrimage season, they returned to their countries, having finished the religious performance, visited the tombs of the Prophet's companions (God bless them), met scholars, and studied Arabic and Islamic knowledge.

Having become scholars themselves, the returning pilgrims were credited with the spread of Islam among the tribes of Hausa in northern Nigeria as well as the tribes of Alsonnk and Alberno and Alcanm and others. They were also keen on bringing Islamic books with them to use them in explaining the teachings of the Islamic faith, knowledge and various topics of religion and jurisprudence. An example of this keenness is Masnh Islamic library, a private library of Abd al-Rahman al-Saadi. It was marked by the diversity as its books were brought from various Islamic countries such as Hijaz, Yemen, Syria, Iraq, Sudan and Morocco ■

enjoyment of worldly life, but Allah has with Him the best return} [Surat ‹Āli `Imrān: 14].

The ritual of Hajj has a unique character that is almost confined to it: making the pilgrim sacrifice all his beloved habits that compete with the love of Allah, even if they are innate or legal. The pilgrim may leave his infant or his beloved wife or an elderly mother, a fine house or a successful trade or the money and gold that he spent his life in gathering. He just threw all of that behind his back once he embarked on Ihram; he leaves away his desires, with the permitted ones becoming unpermitted once he embarked on Ihram.

In this aspect, we find astonishing African models, notably the Sultan of Mali Mensa Moussa, who, during his journey to Mecca in the year 724 AH / 1324 AD, spent so huge amount of gold that people and even kings competed for it, which made many of the princes of Egypt praise his good morals and generosity. He was described as: "a worshipper that had a steady pattern of worship as if he was praying in the presence of God, and a descent outfit with tranquility and dignity»[1]. During his stay in Egypt, he was described as «a decent generous who is a frequent giver of charity ...»[2]. It is worth mentioning that his bounty was not limited to the Hejaz and Egypt; rather, he was throwing gold here and there, and blessed all the tribes that lived along his way since he left his own town until he arrived in Mecca[3].

The educational benefits of the pilgrimage is not confined on the actions of the heart, but the pilgrimage trips had major benefits in the long history of Africa, each of them presented a viable experiment not only on the life of the African pilgrims, but also it had an impact on a wide spectrum in many aspects, depending on its circumstances and reasons.

In this issue, we offer a detailed study of African pilgrimage trips, with its vitality and activity, and the interaction of social, religious, scientific and cultural factors, with its effects on the religious, scientific, cultural, social, political and economic life of Muslims, which we need to invest to purify the hearts and souls, and also raise the awareness of the faith that contributes to the building of Muslim community in Africa ■

(1) Al Omary, Masalek Alabsar fi Mamalek Alamsar, p: 70.

(2) Al Maqrizy, AlZahab almasbouk fi Zikr Man Haj Men Al kholafaa walmelouk, p. 143.

(3) Hasan Muhammad, Fi Tarikh Afriqia AlMuslima, p: 246.

sincerely, in order to achieve true monotheism through the journey to perform the fifth pillar of Islam.

Concerning sacrifice and striving to the path of Allah, the Hajj journey from Africa, especially the trips from the western regions, presents a prominent model and astonishing picture, which is still engraved in history to learn the striving for Allah, getting closer to Him, and asceticism at the same time.

In order to imagine this and live in its atmosphere, let us contemplate on how many months, or even years, that a pilgrim could spend going to Hajj and return home again in Africa. Pilgrims knew how much effort and money this trip could take, and even the dangers of the roads and diseases they may suffer in their quest for Kaaba. Nevertheless, they were determined to make Hajj, and yarning for Mecca. As history tells us, there were complete households that made Hajj without leaving any one behind. Some of them wrote their wills and carried all their belongings as if they would not return again to their country. However, the numbers of African pilgrims in these past days were enormous, as one source says that the numbers of pilgrims in the (Shanqitian [Mauritanian] convoy) were between 3 and 5 thousand pilgrims – a huge number in this era.[1]

Another aspect of the acts of heart is the detachment from the pleasures of our life and the asceticism, as a servant of Allah may go astray away from fulfilling the will of God and from the Hereafter once he indulges himself in the pleasures of this world, such as the eight beloved ones cited in Surat At-Tawbah: {Say [O Muhammad] If your fathers, your sons, your brothers, your wives, your relatives, wealth which you have obtained, commerce wherein you fear decline, and dwellings with which you are pleased are more beloved to you than Allah and His Messenger and jihad in His cause, then wait until Allah executes His command. And Allah does not guide the defiantly disobedient people}. [At-Tawbah:24], or the seven beloved ones cited in Surat ʻĀli `Imrān: {Beautified for people is the love of that which they desire - of women and sons, heaped-up sums of gold and silver, fine branded horses, and cattle and tilled land. That is the

(1) The Role of Mauritanian Travelers in the Civilizational Encounter between Libya and Mauritania: Ibn Towayer Al-Jannah as an Example, Muhammad Al-Ma'loul, Libyan research and writer, African News Gate.

Editorial: Hajj and the Acts of Heart ... African Models

It is not easy to empty the heart from all distracts and disputes to make it clear and devoted only to God, The Almighty, as the elevation of heart to the rank of pure monotheism requires major sacrifices, diligent efforts and painful training in every moment, to rid it of all impurity that may distract it from the submission and attendance to its Master.

In this context, we may ask: Why did God make Mecca infertile scorching desert, and did not make it green gardens with lush shadows?

The answer - and God knows best - is: to make Muslims desert all other intentions and needs but the ntended aims of God from Hajj. To intensify this delicate meaning, and to raise the heart of the pilgrim into the greatest purpose, that is, worshipping God, The Almighty, and nothing else, it is compulsive on pilgrim to leave his favorites in Mecca, like the Kaaba, the Holy Mosque and the Black Stone, and go to Arafa, which is the greatest pillar of the pilgrimage and the greatest day of its rituals. Arafa is a barren desert that the heeds do not look at and the souls do not yarn to but only on this day, and there is nothing glorified in Arafa, which proves that the main aim is to fulfill the goal of submissive worship and the joy of private prayers to Allah.

So if we apply this on other rituals of Hajj, we can find other images that deepen and prove this meaning, with the goal of making Muslims elevate their hearts to the rank of true monotheism, and explore weaknesses inside their souls, so their need to God reaches its top to reignite and refuel the faith inside them. That makes the Muslim reach the top levels of all acts of heart; feel the need of his Allah, The Almighty; and believe in the great and infinite mercy of God and also his great revenge and might at the same time, in order to further worship and submit himself to Allah.

In this context, we find great African models that were able to reach this high level of acts of the heart, and represented a school that drew people closer to God

قراءات إفريقية
مجلة ثقافية فصلية محكمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية
تصدر عن المنتدى الإسلامي بلندن

مجلة قراءات إفريقية

مصر وإفريقيا :
سعر البيع : 1.5 دولار
اشتراكات : الأفراد 10 دولار المؤسسات : 20 دولار
السعودية والخليج:
سعر البيع : 15 ريال
اشتراكات : الأفراد 60 ريال المؤسسات : 100 ريال
أوروبا وأمريكا :
اشتراكات : الأفراد 60 ريال المؤسسات : 100 ريال

صدر حديثاً

مجلة قراءات إفريقية
المملكة العربية السعودية . الرياض . حي الملك فهد . ١١٦٣٣ ص.ب : ٩١٠٥٩
+966502210920 : +966114942900 : +966114944949 :